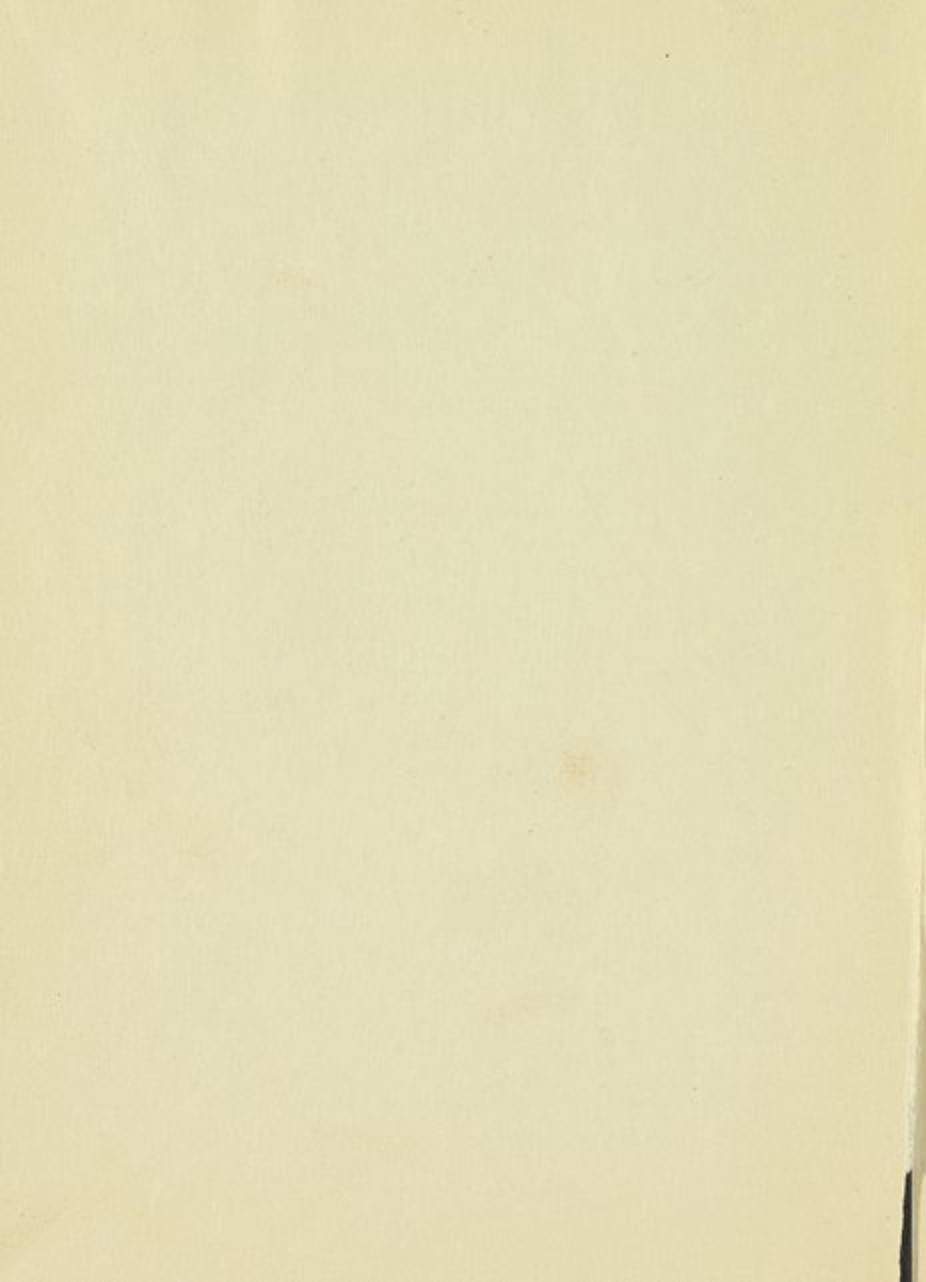




**Columbia University**  
**in the City of New York**

THE LIBRARIES









4  
A 73

# السفر إلى مكة

(وهي الرسائل التي كتبها)

أحمد زكي

مترجم مجلس النظارة

أثناء سياحته بأوروبا حينما توجه إلى لوندرة للنيابة عن الحكومة المصرية  
في مؤتمر المستشرقين الدولي التاسع

سافروا وتصغروا وتغنوا  
حديث كريم

(حقوق الطبع والترجمة محفوظة)

الطبعة الأولى بالمطبعة الكبرى الأميرية ببولاق

س ١٣١١ هـ  
١٨٩٣ م



بسم الله الرحمن الرحيم

سبحان الذي أسرى بعبده ليلاً من المسجد الحرام إلى المسجد  
 الأقصى وصلاة وسلاماً على نبي الهجرة الذي اختصه مولاه بمعامد  
 لا تستقصى وعلى آله وصحبه الذين انتشروا في الأمصار وطافوا  
 الأقطار فرفعوا للعالم أعلى منار وضربوا للناس الأمثال فأصبح  
 التمدن كمازاه جليل المقدار ساعى الاعتبار

(وبعد) فإن لكل عامل غاية يتوخاها ولكل مرتاد ضالة  
 ينشدها وضالتي التي نشدها في هذه المجموعة العناية بتخييل  
 ماشاهده العيان من المناظر الشائقة والمراني الرائقة تخيلاً  
 تنجلي به للفارئ موائيل يتقراها بيده ويسبرها بساعده فأنى  
 حاولت أن أمثل له تأثير الحس وانفعال النفس إذ الباصرة  
 تمقل والخيال ينقل والمفكرة تحجر والضهير على ما يسبر فتتفعل

الحواس فتنبيء بحسب ما يقع عليها من التأثير وحكمها في ذلك راجع  
الى مزاج الانسان وطبيعته ومشربه وتريقه فقد كنت أعرف قبل  
تطوافي ببعض البلدان أمورا كثيرة ولكنني لما طوحت بي الايام الى  
تلك النواحي تناسيت الصور التي كانت مرسومة في مخيلتي فمثلها الى  
الانفعال النفساني بصورة توافق أو تخالف ما كنت أعرفه فهذا  
هو التأثير النفساني الذي ابتغيت المبادرة بتخطيطه بوقته في رسائل  
هذه قبل ان يضيع شيء منه أو يعرض مؤثر آخر عليه حتى اني  
كنت اكتب رسائل هذه وأنا بين حل وترحال تطوح بي الاسفار  
ولا يستقر لي قرار وليس لي من الوقت ما يكفي للمراجعة والتنقيح واعادة  
الغظر والترجيح فقد كنت أخذت على نفسي قبل السفر ان أمضي  
نهاري في التنقل من مكان الى مكان أصعد الى أعالي كل مدينة  
نزلت بها وأدخل في جميع آناها وأطوف كل شوارعها وأزور كافة  
متاحفها وبالجملة أشاهد كل ما يمكن مشاهدته في اليوم وأقضي  
شظرا من الليل ليس بقليل في إتمام ما يتسنى رؤيته بالليل وتعليق  
المفكرات وكتابة البريد وكنت في كل لحظة متخوفا من فوات  
القطار حتى لقد صدق علي قول بديع الزمان الهمداني

اسكندرية داري \* لو قر فيها قراري

لكن بالشام ليلى \* وبالعراق نهاري

Nov 15 1955



أوما قاله السعد التفتازاني

يوما بحدوى ويوما بالعقيق وبأ \* هذيب يوما ويوما بالخليصاء  
بل قد كان وقى من أقصر ما يكون مع مالا ينفسك عن المسافر  
من قلق البال وتشتت الافكار ولقد كنت أسعى في توفير الزمن  
وتكثيره بانعاب نفسي وحرمانها من الراحة حتى انى كنت أفضل  
السفر ليلا في أغلب الاحيان الا اذا لم يكن ذلك في الامكان ولقد  
صدق رسول الله الكريم في قوله (عليكم بالدجلة فان الارض تطوى  
بالليل مالا تطوى بالنهار)

وقد أفرغت وسعى في التحقيق والتدقيق كما يشهد به المنصف  
الذى ينظر في هذه الرسائل التى يعلى من رايها ويرفع من ذكرها  
انى حررتها وأنا أنظر الاشياء بعينى مصرى بحيث يتفعل بانفعال  
المصريين ويكتب للمصريين فلم أعبا بقول مصنف غربي ولم  
ألتفت الى نبا مؤلف عربى الا حينما تدعو الضرورة الى تحقيقات  
جغرافية أو علمية وذ كر بعض الاحصائيات وفيما عدا ذلك أتمهد  
الله انى لم يكن لى من معتد فى استكناه الحقائق واستجلاء الماهيات  
سوى شعورى المصرى الخالص من أثر الشوائب والاستفسار من  
يوثق بعلمه وخبرته من أهل هاتيك الديار هذا وقد باشرت طبعها  
بغاية العناية مع اصلاح الكثير من غلطات المطبعة وارىاد بعض  
الجل التى كانت حذف فى غيبتي لاسباب اقتضاها الزمان فرددتها

كما كانت يوم كتبها باوروبا بالتمام غيراني أضفت كثيرا من الحواشي  
والتعليقات لزيادة التحقيق والتدقيق في بعض المواضع  
وهنا انبه القارئ الى ان الرسالة الكبيرة على باريس لم يسبق  
طبعها قبل الآن هي وكلمة الرسالة الاندلسية في بيان امتزاج  
العرب بالعجم في اسبانيا والاستشهاد على ذلك بالاعلام وكذلك  
الخاتمة وانني استلفت النظر بنوع خصوصي الى رسالة باريس  
الثانية فانها تصور هذه المدينة للقارئ تصويرا وافيا جامعاً  
بحيث ان من تعانها وصبر على قراءتها يمكنه ان يقول انه يعرف  
باريس وما فيها مما قد لا يعرفه كثير من المقيمين فيها سواء كانوا من  
أهلها أو النازلين بها وأكثر مما يقف عليه السائح الذي قديم في  
شهر أو أكثر من شهر وأما كلمة الرسالة الاندلسية فهي تستحق من  
العناية ما لا يقل عن ذلك وحسبي اني طرقت بها بابا جديدا  
توصلت منه الى منهاج من التحقيق يشهد الله بمقدار ما عانيت فيه  
من التعب والتنقيب والمراجعة وكل ذلك لا يخفى على فطانة أهل  
الانصاف ومحبي الحقائق العلمية

وأقول ان مادونته في هذه الرسائل هو شيء قليل في جانب  
ما عندي من البيانات والمعلومات التي عنيت بتعاينها وجمعها  
لتدوينها في الرحلة الكبرى ونغاية سوء الى الملك المتعالى ان يقدرني

على اتمام تدوينها وييسر الطريق الى طبعها وتعميمها فانني عازمت  
على ادارة سياجها وانتهاج منهاجها وجعل موضوعها فلسفيا  
محضا أتحرى البحث فيها بصفة كوني مسلما شرقيا يعنيني من عملي  
التنقيب عن آداب الشرقيين والغربيين والمقارنة بين اخلاقهم  
وعلمهم ومذاهبهم ونحلهم ومبلغ ارتقائهم ومقدار تأثير الاولين  
على الاخرين أو الاخرين على الاولين في القديم أو الحديث  
ومرجع ذلك في الاغلب الى دواوين الفلاسفة ومصنفات الجهابذة  
من الفريقين والله الهادي الى سواء السبيل

احمد زكي



(الرسالة الأولى)

عن نابولي في يوم السبت ٢٧ محرم سنة ١٣١٠ - ٢١ أغسطس

سنة ١٨٩٢

حقا لقد صدق من قال انه اذا كان للعلم مجال فللعمل ألف مجال فراقم الوطن  
وان حقائق الاشياء وهى فى عالم القوة أقل منها بكثير حينما تبرز  
الى حيز الوجود وتبجل فى مظاهر الشهود فطلما قرأت ما أتى به  
الكتاب من الآيات البينات وما ترنم به الشعراء من الابيات الابيات  
فى الحنين الى الاوطان والتشوق الى الاهل والخلان والتوجع  
من مفارقة المؤلف والتفجع من مبارحة الديار والرروع ولم تكن  
نفسى تتأثر من ذلك الا بقدر اعجابها ببراعة الكاتب واقتران الناظم  
على صوغ المعانى فى أجمل القوال وسبك الالفاظ على أبداع طراز  
وتمثيل التخيل بما ترتاح له النفس وينشرح منه الفؤاد وكنت  
اظن ان ذلك انما مصدره تلميح الكتاب وتزويق الشعراء حتى قضى  
على طلب المعالى بمفارقة مصر السعيدة المحروسة وديارها المحبوبة  
المأنوسة فانجلى لى هذه العواطف الجليلة فى أجلى جلابيها وحتت  
هذه الشعائر الحميدة فى فؤادى باحلى معانيها فتمنيت حينئذ لو كنت  
من المنتمين المجيدين لاصور لآيها القارئ العزيز والمواطن الفطين  
حُب الوطن مجسما فى أجمل حال وعلى أكل منوال ليكون ذلك

باعثا يدفعك الى تعزيز شأنه والسعي بما في قدرتك على رفع مناره  
والاجتهاد بما قسمه الله لك من العرفان في تهذيب ابنائنا وبتثاق  
العلم في انحاءه فاني وعينيك حينما اقترب الوقت المضروب لمبا  
القاهرة (يوم السبت ١٣ أغسطس سنة ١٨٩٢) كنت أ  
الطرف وأزود الناظر بما في القاهرة من باهر المناظر وأجتملى محاس  
الكرة بعد الكرة وأتملى من رؤية معاهدها المرة بعد المرة ليكون لي  
ذخر منها الى أن أعود اليها بسلامة الله وحسن توفيقه وما زلت  
على هذه الحال مشغول البال مشتمت البلبال وأنا كالباهت الحيران  
حتى حان وقت السفر

احتفال  
الاخوان

فاحتشد الاخوان الافاضل وانخلان الامائل لتوديعي على  
محطة العاصمة وكان الكثير منهم يقول «انما جئنا لتودعك حتى  
تتقوى بنا عزيزتك وينشرح برويتنا صدرك فتبذل قصارى  
ماعتدك في حسن القيام بالأمورية الجاهيلة التي عهدت اليك  
وتأقني باصدق برهان على ان في مصر من الشبان من اذا شملهم  
بنظره الكريم أمير مصر مولانا العباس أصبحوا من أفاضل  
الناس وجعلوا للوطن العزيزين الامم المتمدنة مقاما محمودا وفضلا  
مشهودا»

فكنت أنظر الى نفسي ومن أنا ثم أردت الفمكر في هذا



الاحتفال وفي أمثال هذا المقال فأرى أن هذا النظائر العظيم وان  
هذا الاحتفال والتكريم انما يقصد به اعلاء كلمة الوطنية واتحاد  
الرب على تشييط كل من يقوم بعمل يربح منه نفع البلاد بقطع النظر  
مقام القائم بهذا العمل في هيئتنا الاجتماعية صغيرة كان أو  
كبيرة فاني لم أبلغ الى الآن من مناصب الرأسة ومراتب العظمة  
والوجاهة ما يجعل القوم يتقاطرون على التقرب مني والتزلف الى  
من باب الرهبة أو من باب الرغبة فلا ريب في ان الباعث لذلك  
الاحتفال والاجلال هو الاخلاص في التكاتف على تأييد كل  
مسيحي علمي وتعضيد كل عمل وطني وان اخواننا أيدهم الله بروح  
منه قد احسوا بوجوب الدعوة الى رفع شأن الوطن وتعزيزه فلهم  
من وطنهم أخلص الشكر واجزل التناء اذ ليس في وسعي ان أوفيهم  
حقهم من الاعتراف بمجميل فضلهم

ولقد لاقيت في الاسكندرية (عروس المشرق وعنوان المغرب)  
عند مقدمي اليها وقيامي منها مثل مالقيت في القاهرة وفي ذلك  
برهان قاطع على ان الشعور بحب الوطن والدأب على استمرار  
حركة النهضة الوطنية قد سرى في عامة الفضلاء سريان الارواح في  
الاجساد وكيف لا يكون الامر كذلك وأميرنا الهمام وولي نعمتنا  
المقدام مولانا العباس وطمد الله دعائم ملكه ونشر في الخافقين ألوية

مجده لنا به أحسن اسوة وأتم قدوة فانه أول من يسهم في  
التنهوض بالوطن المحبوب الى ذروة العز ومنصة الشرف  
وقد قال لي حينما تشرفت بلم أيديه الكريمة وشكر يديه  
العميمة ان بعضهم اعترض على تعييني في هذه المأمورية العلمية  
العلمية بانى مازات في دور الشيبية والقموة فأجاب بلفظه الفاخر  
المنيف

شرف المشول  
بين يدي ولي  
النعيم

«ان هذا هو ذات الواجب وعين الصواب فان زكي من نوابغ  
الشبان وبه يمكننا أن نبرهن لعلماء أوروبا على ان عندنا من  
الشبان من يجارونهم في ميادين الفضل والعرفان»  
فكيف لا أتية فخارا واختال ابتهاجا بهذا القول الذى هو  
أفضل من جميع علامات التشريف ودرجات التكريم وكيف  
لأدأب على البحث والاجتهاد حتى يبقى اعتقاد ولي النعم في عبده  
المخلص هكذا على الدوام وكيف لا يكون في ذلك المقال أعظم  
تنشيط لامثالى من الشبان يدعوهم الى اطراح الكسل وترك الخمول  
والاقبال على كل عمل يرفع شأن وطنهم ويستوجب رضا ولي  
نعمتهم ولمثل هذا فليعمل العاملون ويمثل هذا فليتنافس المتنافسون  
تحت من الاسكندرية في صباح يوم الثلاثاء ١٦ أغسطس سنة  
١٩٢٠ في باخرة من بواخر شركة الأويد النمساوية اسمها فورورود قد

ركوب البحر  
وزيادة الاحتضان

جعت الى النظافة أسباب الراحة بحيث لم يكن ينقصنا فيها شيء مما  
نراه في المدائن سوى قرب تناوله وسهولة الحصول عليه بمجرد الضغط  
على الجرس الكهربائي ولم يكن فيها كثير من السواح ولكنها  
أقلعت (أو أخرجت من البخار) بعد الوقت المضروب بربع ساعة على  
التقريب وسارت الى ان خرجت من بوعاز الاسكندرية وابتعدت  
عن الشطوط المصرية في كنت أحرق النظر المجرد ومستعينا  
بالنظارة المقربة إلى رؤية اطراف الاراضي المصرية حتى سترها  
حجاب الافق واذنالك أخذتني كآبة وتولاني حزن وتملكني انقباض  
مما لم يكن لي به عهد من ذى قبل فاعرورت الدموع في قلب  
فؤادي وتلهفت نفسي الى معاهد بلادي ولم تذهب عني هذه  
اللوعة الا بعد ان أطلت الفكرة في اني أسعي الى مجد مؤمل قد  
يدركه أممالي وأعود الى وطني سالما غانما راجحانا بماذن الله تعالى  
فشاغلت نفسي عن تيار هذه الافكار بالنظر الى تمايل السفينة  
ذات اليمين وذات اليسار وتلاعب الامواج وصفاء الماء الذي  
اكتسب فيما امام الاسكندرية لونا ازرق باهيا جعل اللجة كأنها  
قطعة واحدة من الفيروز الجليل

وما زالت السفينة توالي سيرها حتى أتى ميعاد الطعام فاكات  
قليلاً منه لاني عجزت عن الاتمام ولم أكن وحقق من القادرين بسبب

تعب البحر

لكننا اسعى الجرس  
وغيره من الجرس  
الذي



ما اعتداني من دوار البحر وان كانت الدوخة خفيفة جدا فقد  
أخبرنا أهل الخبرة ان هذه الحالة من اخف السيئات شدة  
على من ليس لهم عادة بالاسفار في البحار ولكن هذا القول لم يمكنني  
من الامتناع عن الاضطجاع على فراشي فلما حان العصر خرجت  
الى ظهر السفينة لاجرب الحالة فعاودتني الدوخة ودوران الرأس  
فقلقت مجالا الى مضجعي ولم تيسر لي الاستراحة الا بعد ان  
صارت معدتي صفراء من الصفراء مدة الليلة الاولى واليوم الثاني  
والليلة الثانية ولم اتمكن من تناول شيء سوى قليل من اللبن  
بالقهوة وبعض الفاكهة وقد كان صاحبي حضرة الشيخ محمد راشد  
قد أصابه ما أصابني فلبننا في حجرتنا مضطجعين على الاسرة متقابلين  
فكنا في هذه الحالة أشبه بالمرضى في المستشفى التماسوي ووجه  
الشبه الجامعة في الجنسية بين المستشفى والباخرة ونظافة الخدمة  
واتقانها وقيام عمال من صنف واحد بها وقد شعرنا بشدة اضطراب  
السفينة وتزايد ارتجاجها (أو نودانها أو ميديانها) حينما اقتربنا من  
جزيرة كريد (اكريطش عند القدماء أو قنديا عند الافرنج الا ان  
باسم مدينة فيها ينسب اليها العسل الجيد وربما نحت منه العرب  
اسم السكر فقالوا القند وان كانت هذه الكلمة واردة في الشعر  
القصيح وقيل انها فارسية)

وفي اليوم الثالث مررنا امام سواحل اليونان وبين بعض  
جزائرها وكان من معنا من بنى الاغريق (الجرج) فرحين مبهتهجين  
برؤية سواحل بلادهم يرفون اليها بلحظ متوال والانشراح ملء  
فؤادهم ثم مررنا قبال جزيرة كورفو (قرفس في كتب العرب) ذات  
المنظر الجميلة والحدائق الغناء التي اشتهرت في السنة الماضية بقيام  
أهلها على بنى اسرائيل وفتكهم بهم الفتك الذريع

وما زال البحر صاحيا والهواء موافقا والشهية حاضرة حتى  
عوضنا ما فاتنا من الطعام وخسر متعهده ما كسبه اياه اشتداد  
البحر في اليومين الاولين حتى وصلنا الى برندزي واسمها في كتب  
العرب ابرندس وعند الفرنسيين برند (Brindes) وعند الرومانيين  
برنديسيون او برندزيوم (Brindisium و Brintision) وكنا  
نعقد اننا نجد من وكلاء كوك فيها أعظم مساعدة فلم يتحقق  
فيهم أماننا وأقول انه اذا كان جميع وكلائه في الجهات الاخرى من  
الكسل والتحول مثل ما هم عليه في هذه الفرضة فالاحسن  
للغريب ان يسترشد بكتب الدليل ويأشر شؤنه بنفسه ولعلمهم  
لا يكونون كذلك في بقية المدائن التي سنمر عليها وقد سمعنا عنهم  
خيرا كثيرا ونحن بمصر وسنكتب عما نشاهده منهم بعد ذلك ان  
شاء الله

كان وصولنا الى ابرندس أو ابرنطس كما يسميها العرب بعد قيام قطار الصباح (الساعة السادسة) المتوجه الى نابولي عن الطريق القريب فخرنايين المقام في هذه المدينة الحقيمة (بالنسبة لاروبا) وبين اتباع الطريق المنحني مع القطار الذي يقوم الساعة تسعة وخمسة وعشرين ففضانا الرأي الثاني لكي نتخلص من اخلاق أهل برنديس واخلاقها الذين هم أحط في المدينة من جميعية مصر وارذل من سفهائها واشد الخافا والحاخا من شحاذي السيدة زينب

فتوجهنا الى المحطة وكان مع رفيق شنتطان ومعي أيضا اثنتان فابي رجال المحطة الا أن يكون ارسال شنتطين منها بعد دفع الاجرة عنهما فامتثلنا ودفعنا نحو من ستة وثلاثين قرشا وهذا ليس من الغرابة في شيء بل الاغرب ان أحد مستخدمى المحطة (وهو الذي الزمنا بحمل متاعنا الى المخزن) جاء الينا بعد ان تبوأنا مقعدنا في القطار وطلب منا ان نتحفظه بشيء من النقود فقلنا عجبنا منك ومن فعالك تغرنا ما ليس بواجب علينا للسكة الحديدية ثم تجيء وتطلب منا الاحسان ولكنه أظهر المذلة والمسكنة وباء فرحا مبتهجا حينما اتحفظه بنصف فرنك ثم قام القطار فاذا الارض حوالى ابرندس مكتسبة بحلة خضراء مزينة بانجاز

الطريق من  
برندزي الى  
نابولي



مورقة كل ذلك والارض حجرية صخرية قد اذابت الامطار قشرتها  
واودعت فيها الخصبية والبركة باذن الله بحيث اننا كنا نرى كثيرا  
من الاشجار نابتة بين شقوق الاجار ونرى الاراضي بارترفاع  
وانخفاض واستواء وانحدار وكلاهما مجللة بثياب سندسية في غاية  
الهاء وقد رأينا الكرم فيها وفي بعض جزائر اغيريقية (Grèce)  
أى بلاد اليونان لا يرتفع عن شبرين فكان منظره كنبات الخس  
في مصر ولكنه يأتي بالمحصول الكثير والعنب الجيد اللذيذ على  
ما بلغنا من اهل هاتيك الديار

وهذا دليل على ان اتخاذ العروش والتكاعيب لاشجار الكرم مما  
لا يجديها نفعا بل قد يترتب عليه قلة المحصول لان العصاره تتصرف  
في ساق النبات واغصانه بدلا من ان تتكون ثمرا جنيا ومع ذلك  
فالحكيم لعلماء النبات وبعد ان ابتعدنا عن ابرندس (برندزى)  
رأينا الارض قاحلة فيها نبات شاهدا رأينا القوم يحرقونه في بعض  
الجهات لتسميد الارض كما يفعل بعض اهل مصر

ولما تجاوزنا هذه الضواحي رأينا السهول قاحلة ماحلة ثم  
مررنا على بلاد عامرة وكان مرورنا على ساحل البحر الادرياتيكي  
(المعروف عند العرب ببجون البنادقيين) وكانت معناني الوابور فرقة من  
الجنود فلما مررنا على محطة اوستوني (Ostuni) رأينا فيها كثيرا من

النساء العجائز ينتظرن من لهن من الاقارب فكن يودعنهم ويقبلنهم  
ببكاء وانحباب مثل ما يراه الانسان ببعض محاط مصر سوى انهن  
لا يولون بالعويل والصياح وما زال الواوور يسير بنا بين جبال  
وتلال وقيعان ووديان حتى قدمنا مدينة نابولي الزاهرة الباهرة بعد  
ان اخترقنا ثلاث مقاطعات في الجنوب والشرق الشمالي بجنوب  
ايطاليا وكلها تستقى من مياه الامطار تخزنها في صهاريج ورأينا  
فيها سواقي ونواعير وآبارا يشبه ماؤها مياه الابار في مصر وقد علمت  
ان المهندس (زباري) قدم مشروعا مقتضاه شق ترعة تأتي بالمياه  
من نهر سيلى (Sele) الذي يصب في خليج سالرنو (Salerno)  
لتروى منه مقاطعات فودجا وبارى ولتشى (Bari و Foggia)  
و Lecce وفي كتب العرب فوج وبارى وبلج) وان نفقاته تبلغ  
مائة مليون ليرة طليانية (نحو أربعة الاف جنيه انكليزي) قدم هذا  
المشروع من نحو ١٥ أو ٢٠ سنة ولكنه لم يبرز الى حين  
الوجود لقلته المال وعدم تيسر الحصول عليه  
هذه بحالة يسيرة من أمور كثيرة علق بها مذكرات  
ومفكرات سأفصلها في الرحلة ان شاء الله



## الرسالة الثانية

عن رومه في يوم الاثنين ۲۹ محرم سنة ۱۳۱۰ (۲۳ اغسطس سنة ۱۸۹۲)

فوائد السفر  
وتسهيلاته

لعل الكون احزرت برسالتى الاولى رضا حضرات القراء  
الالباء والافان العذر واضح لكون كما بهما كانت بعد تعب شديد  
عائته من سفر ثلاثة أيام في البحر تناولها عشر ساعات بلا انقطاع  
في باخرة البروليس في ذلك من غرابة لعدم العادة واقد كان سمى  
ينبوه من مقال القائل (بل العذاب قطعة من السفر) فلما حقق  
الخبر الخبر زال عن الاستنكاف مما كنت أحسبه ضربا من المجازفة  
في المبالغة خصوصا وان أسلافنا لم يكن لهم ما نفاضه عرفان هذا  
القرن (التاسع عشر) على أبنائه من تسهيل الانتقال وتأمين  
الارتمال وتقليل المسافات وتناهي البخس في النفقات بالنسبة لما  
كان ينبغي صرفه في هاتيك الاوقات وتيسير أسباب السير والنظر  
والتأمل في آثار من غير ومصنوعات من حضر وتوسيع دائرة العقل  
بالاطلاع على نتائج أفكار الغير الى ما هنالك من الفوائد والمكاسب  
في المتاجر والمصانع مما لا ينكره الا المكابر ولذلك فاني بعد المقارنة  
أحسب هذا التعب راحة وهذا الشقاء نعيما فلم اتر بص حتى تجيئني  
الانباء من الاصدقاء بما كان لبا كورة رسائلي من الشأن عند الادياب

فاني (على كل حال) أشعر في نفسي بما يدفعني بالرغم عني الى  
الكتابة حتى اكون كأني بين الخلان والاخذان فقد وجدت  
مجال القول ذاسعة وألفت مقام الكتابة صالحا فأقول

ان نابولي والحق يقال لتستحق ان يكتب عليها مجلد ضخيم نابولي ورؤية  
أول مدينة  
من أوروبا  
لاصفحات قليلة تتلى (أولا تتلى) ثم تتطير في الهواء وذلك لانها  
جمعت الى بهاء المنظر جمال الطبيعة وقرنت بين حسن الصناعة  
ونشاط السكان مما يجعلها جديرة بان تشهد اليها الرحال وينزل بها  
اولوا البصائر والابصار الايام الطوال بل الشهور بل الاعوام

والذي يضاعف حسنها في نظر القادم اليها من الطريق التي عود لوصف  
الطريق الى  
نابولي  
اتخذناها (طريق فودجا) انه يوافيها بعد ان يقطع كثيرا من الغيابة  
والثقل ويسير خلال الجبال الموحشة والارض اليباب وتحت  
السراديب المنقورة في الصخور وفوق القناطر المقامة على الوديان  
والاغوار وبين الهاويات الخاويات وكل ذلك يجعله غير مستأنس  
ولا بنفسه متوجسا خيفة من كل ما يحيط به حتى ان الخيال  
(أو الحقيقة) ليصور له ان باخرة البر ذاتها قد انعمت بقوة الحياة  
فتولاها الرعب وتملكها الجزع فأخذت تتلمس في مشيتها وتسير  
الهيونا (لاعن تجتر) بعد ان كانت تسمى على عجل فينقلب  
الصغير الخارج من صدرها زحيرا يازجه صوت أبح خافت يعاون

على إكمال الوحشة وابعاد الاثناس وهي في غضون ذلك تنساب فوق الوهاد وتحت النجاد كأنها الافعوان (يخرج ليكون فاذلاً أو مقتولا) ولا يزال هذا حال الراحل وحال مطيته حتى يصل بالسلامة الى نابلس الغرب الاوروبي ولكن (شتان بين مشرق ومغرب) فيحمد غيب السرى اذ يرى نفسه في مدينة هي في الحقيقة كالحديقة الابنية ناعم البال منشرح الفؤاد ويصدق قول من انشا (وبضدها تميز الاشياء) ولكنني أترك الاسترسال مع هذا التيار فقد القيت عصا التسيار وقرت العين باجتلاء محاسن هذه المدينة البانعة الرائعة الناصعة ومعاهدها الباهرة الزاهرة الفاخرة وخدمني حديثنا وجيزاً على بجملة وانتظر اذا أردت التفصيل في الرحلة

هذه المدينة أسسها أقدم قدماء الاغريق في الزمان العتيق عجالة على نابولي العتيق ومموها بلسانهم نيبوليس (Neapolis) أي المدينة الحديثة وكان لها اسم آخر غير شائع وهو پارثنوب (Parthenope) وقد حرف الطليانيون اسمها المشهور الى نيباولي ثم نابولي (Napoli, Neapoli) والفـرنساوية الى نابل (Naples) وعرب هذا الزمان الى نابولي وقد ورد اسمها في كتب الجغرافية العربية القديمة (نابل ونابل الساحلية ونابل السكتان لكثرة هذا الصنف ومنسوجاته بها في قديم الزمان) واما نابلس



(اونابولوس) المعروفة في الشام فقد أطلق الرومان عليها هذا الاسم غضبا والغوا اسمها القديم وهو شكيم (Sichem) الوارد في التوراة وقصص الانبياء ولقد اخطأ ياقوت حيث جهل الاصل اليوناني لهذه التسمية فانتحل لها اشتقاقا من عندياته أو نقلًا من غير تثبت فقال في مجمه انها مركبة من « ناب » أى سن ومن « لوس » أى التنين بلسان السامرة فيكون الحاصل من معنى اسمها « ناب التنين »

وايست أهمية هذه المدينة وبهجتها بسبب أقدميتها وما بقي بهما من آثار أهلها السالفين فانها خلو من المخلفات والاطلال التي يقصد اعادة الزوار في المدائن القديمة العهد مثل نابولي وانما هو موقعها الذي لا يزيد عليه في العالم كله سوى موقع القسطنطينية وحسبي هذا التمثيل للدلالة على انها جمعت المحاسن الطبيعية الشائقة والمناظر البهيجة الرائقة فهي على هيئة مدرج ينحدر على سفح تلال تنهى الى البحر وفي شرقها بركان فيزوفيو (Vesuvio) المعروف عند العرب بجبل النار) وحواليها تلال ترى المنازل نازلة من أعلى قلها تترى الى منتهى سفحها فاذا ارتقى الانسان احدها نظر الى المدينة بجملتها فرأى من شوارعها الصاعد والنازل والمنحدر والمستوى والمنحط والعالي ومع ذلك فالهواء فيها كاهو جيد والحركة

مستديعة لانها من أهم موانى هذه الديار وأكثر مدائنها فى العمار  
ويعتبرها أهل السياحة والاسفار من أجل الامصار وأبهج  
مواقع الدنيا على الاطلاق وقد كان خليجها العجيب يجذب الى  
نواديها الاغراب من جميع الاصقاع وما زالت الآلاف منهم تتردد  
أيضا فى هذا الزمان على ربوعها الغناء وحدائقها الفيحاء  
للايضاة والتزاهة ومن الغريب أن حسن موقعها جعل الاجانب  
يطمعون اليها كما ان رخاء العيش فيها أوجب رخاوة أهاليها فلم  
يزودوا عن حياضهم ولم يصدوا الفاتحين وغاراتهم فتوالى عليهم حكم  
اليونان فالأوسكيين (Osques) فالرومانيين فالقوط فالبورنظميين  
فالنورمانديين (الذين يذكرونهم العرب باسم الجوس) فالالمانيين  
فالأسبانيين

ومدينة نابولى المذكورة هى مدينة كبيرة ذات شوارع واسعة  
ومبان شاهقة تفرجنا فيها على مربي الاسماك (Aquarium)  
ورأينا معيشتها وهى فى نفس ماء البحر على أشجار الصخر وفى خلال  
الاعشاب المائية بشكل غريب ومنظر معجب وتفرجنا على  
القصر الملوكى وقد كان تشييده فى سنة ١٦٠٠ وفيه من الصور  
والرسوم والتماثيل والموائد ما يدهش الانظار ويحير أفكار أولى  
الالباب ويقضى بالعجب العجاب وهو متسع الارضاء فيه منازة

فسيحة جدا ترى الاشجار فيه منضودة على شكل الاسوار وهيئات  
المثلثات والمربعات والمنحنيات وأغصانها مشتبكة محتبكة منضودة  
مدودة مقصوفة مرصوفة بحيث تتكون منها أشكال  
وتراكيب على طراز غريب وترتيب عجيب ورأينا فيها مربى للطيور  
ولكنه ليس بالثى العظيم ورأينا الاشجار الباسقة والمياه الدافقة  
والخضرة النظرة التي تتشعذ بمرآها الازهان وتكتحل بطلمعة نورها  
الاجفان فلا عجب اذا كان بنو الطليان من أجود أهل الارض في  
اتقان الشعر واجادة التصوير واحكام الرسم والبلوغ في الصنائع  
المستظرفة والفنون الجميلة غاية الاتكاد تدرکہم فيها أمة أخرى  
فقد رأينا في هذا القصر الطائل من الرسوم والنقوش وأساليب  
العمارة والتفنن في النحت والاعراب في التمثيل والتخييل مالاتفي  
هذه الجمالة بعشر معشار ما يستحقه من البیان ثم جلنا في شوارع  
المدينة صاعدين هابطين متأملين اقتدار الالهالى وشغفهم بتجميل  
أماكنهم وتزييقها بما يستوقف الانظار ويقضى على الناقد المنصف  
بان يقضى لهم بسلامة الذوق وحسن الاختراع

لخليفة في  
الحاسن

وهذا استمحك أيها القارئ ان تقف معي برهة امام الجمال وتؤدى  
له واجب الاتاوة مقرونة بالنسبيج والتهليل والتكبير (سبحان الله -  
الله الله - ماشاء الله - الله أكبر - ان الله جميل يحب الجمال)



فأنا من عهد مابارحنا الاسكندرية وفارقنا سان ستفانو (ملتقى  
الغادات الحسان وجمع الغانيات المعجبات) لم يستقر طير نظرنا على  
شيء من اغصان الملاحه سوى اتنا كنا نرى في طريقنا من برندى  
الى فودجا الى نابولى بعض أشباح يتسبن الى حواء ولانسبة وهن  
من قبح الصورة وسماجة الوجه بحيث لو رأهن شيخ الابالسة لعدل  
عن الوسوسة واستبدل الاغواء بالفرار والاعرب من ذلك ان  
وجوههن تكون جافية واقدامهن حافية وشعورهن منتوفة  
ورؤسهن مكشوفة ومع ذلك فلا بد لهن من العظامة أو ما يقوم  
مقامها كان تمتاز الواحدة بالفسستان وتنشع بالصدر لاطهار قد  
هو أشبه بالقدر وما زلنا على هذه الحال حتى ظننا ان أوروبا انما  
ترسل الى بلادنا أفضل ما فيها من العيون الناحرات الساحرات  
والمعاط الفاتنات الفاتكات فلما قدمنا هذه المدينة رأينا الخير فيها  
والحسن في أهلها فحمدنا الله وقلنا هذه بشائر الخيرات وبأكورة  
الحسنات ولقد كان منظرنا وخصوصا الرفيق الموافق والصديق  
الصادق الشيخ محمد راشد يسترعى منهن الانتظار فكان لى بذلك  
فرصة أغتمها لتعويض مافات والتأمل فى صنع ربك ذى الجلال  
والاكرام فكانت الواحدة تحملق الينا فترسل سهامها من فاتر

الاحباط والاخرى تستغرب من شكلنا فيضترفها عن درّ يأخذ  
بجيمات القلوب ومنهن من كانت تترك عملها الذي خرجت لاجله  
من كناسها وتسعى خلفنا تستغرب شكلنا بينما نحن معجبون بشكلها  
ومنهن من كنّ يطلن من الشبابتك فيشبعن الفؤاد ولا حرج  
عليهن ومنهن من كانت انخوامم بخصورهن اليق من الحياصي وغير  
ذلك مما يطول شرحه ويقصر يراعى عن بيانه حتى اننا لم نرحيله  
للتخلص من شرك هذه الشبابتك سوى التعميل بالرحيل فقصدنا  
المحطة

المتاع  
وعذابه  
في السفر

فوقعنا في شبكة لم ~~تسكن~~ لنا في حسبان ولم نخطر لنا على  
بال وذلك ان عمال السكة الحديدية ابوا الا ان يدفعونا الرسم على  
ثلاث شنطات من متاعنا وابقاء شنطة واحدة تحت يدنا فاطهرنا  
لهم شدة الغرابة من تنوع المعاملة في برندزي أولا وفي نابولي ثانيا  
وقلنا لهم أليس القانون واحدا في ايطاليا كلها أم هل يختلف  
تطبيقه بحسب الازمنة والامكنة والاشخاص فكان جوابهم لنا  
(برندزي هي برندزي وأما نابولي فهي نابولي) فلم نربدا من نقدهم  
ماطلبوا ولكنى حررت هذه الجملته في مذكراتي واذ لم يكن لي من  
الوقت ما يكفي للتعق في البحث عما حوته هذه الكلمة الجامعة  
من دقائق المعاني وعويص الافكار آثرت ان أطرحها الآن على



حضرات علماءنا الاعلام ليجعلوها موضوعا للتمون والشروح  
والحواشي والتتميمات والتكميلات والتذييلات والتعليقات والاخذ  
والرد والتوجيه والاعتراض والقييل والقال حتى اذا رجعت  
بالسلامة ووقفت على خلاصة الابحاث أخذتها عن الثقات غنمة  
باردة وزينت بها صفحات الرحلة

الطريق  
لرومة

ثم سارت بنا باخرة البرالى رومة فى طريق تحف به من الجانبين  
أشجار مدت أغصانها فاشتبكت فكانت أشبه بعدارى الجان خرجن  
من الجبال المحيطة وتهميان للرقص على أجمل منوال فمدت كل واحدة  
منهن ذراعها الى اختها ذات اليمين والى تربها ذات الشمال ووقفن  
فى انتظار القطار حتى اذا اقترب منهن تحسرن حركات منتظمة  
معجبة بقدود مياسة واصوات مطربة واستمر الحال على هذا  
المنوال بين الجبال الصماء تتخللها الخضرة الزهراء والاشجار السماء  
حتى بلغنا رومة بسلام وتوجهنا الى الفندق واسترحنا

الرسالة الثالثة

رومه

الاندهاش من رؤية رومية ورومية الكبرى ورومية المدائن في كتب العرب  
من فلورانس في الثلاثاء غرة صفر الخير سنة ١٣١٠  
(٢٣ أغسطس سنة ١٨٩٦)

رومة

يا للعجب يا للعجب كائني نسيت الكتابة بلسان العرب أو كأن  
مقامي بهذا البلد أضاع اللب وازهد الرشد فكيف العمل فكيف  
العمل وأنا كلما حاولت التحرير أو أخذت في التخيير استعصى القلم  
وحن جواد التفكير وانهاأت على المطالب انهي الا لا يجعلني أعرف  
بم يجب الاستهلال ومتى يكون الختام وكيف أتخلص الى الخييص  
شيء من المذكرات الجمة والمفكرات العديدة التي اقتطفتها أو جمعتها  
على هذه المدينة المختالة في حلال البهاء والجمال المجللة بما أودع فيها  
من آثار العظمة ومشاهد الجلال ففيها العماير الفاخرة الفائقة  
والقصور الواسعة الشاهقة والمزارات المتعددة المتنوعة والبقايا  
الكثيرة مما خلفه فيها القياصرة والامبراطرة والقناصل والامراء  
والاشراف والكبراء والسادات والبابوات فانها من يوم نشأتها الى  
الآن ما زالت عاصمة السياسة والحل والعقد وكعبة الديانة الوثنية

نخامة  
رومة

ثم النصرانية وكل من تولى الامر فيها يسعى بما في وسعه لتوسيع نطاقها ويبذل جهده في زخرفتها بما يوجب له الفخار ويستبقى ذكره على ممر الايام فلذلك ترى شوارعها فسيحة وميادينها أنيقة وفي كل ساحة فسقية يتدفق الماء منها وفيها باشكال معجبة واصوات مطربة وقد نصبوا فيها كثيرا من المسلات التي استجلبوها من بلادنا مع ان عاصمتنا القاهرة خلومنها بالمرّة (والذي بقى عندنا من المسلات مازال في موضعه يندب التمدن الذي كان حوله ويتحسر على عدم العناية به مثل أمثاله في أوروبا وأمريكا) وللباني في رومة منظر رائق بهيج بألوان زاهية براقة تعجب النظر وعلى جميع جدرانها وأبوابها ونوافذها ومظلاتها وشرفاتها وأفاريزها ترى التماثيل من النقوش البارزة والتصاوير المختلفة والرسوم المتعددة كأن كل واحد من أهاليها أراد ان يستوقف السائحين والجارئين والرائحين والجارئين بل هذا غرام قام بهم وشغف لازمهم فلا مندوحة لهم عنه لانك ترى حتى الجزار يزوق حانوته بأغصان الاشجار ويعرض اللحم على الانظار مقطعا قطعاً ملتقاً أعلاها بقراطيس من الورق الايض تنضم ثيابه الى بعضها فتجمعها زهرة من الزهر المختلف الألوان ومثله بائع الخضار في حسن الترتيب وجمال العرض ولا ينقص عنهما غيرهما فكل واحد يتفنن فيما يلزم الخلائق بالاقبال عليه (واللى ما يشترى يتمرج)

غرام أهلها  
بالجمال  
والجمال



كائس رومة وقد اغتبتنا فرصة مقامنا بهذا البلد لزيارة مابيه من الكائس التي  
يضربها المثل في الضخامة والفخامة والمتانة والحلافة والتناهي في  
الابداع واللاتناهي في الاغراب والتشييد الهائل والزخرفة التي تلهي  
ولاشك المتعبدين والمتعبدات وتشغل المتنسكين والمنسكات بالنظر اليها  
(والى بعضهم اخصوصا) وان العقل ليحار في كيفية تشييدها ويذعن  
باقتدار ذلك الذي صورها بالقلم على القرطاس ثم ابرزها مجسمة على  
سطح البسيطة حاوية كمال التناسق وتمام التناسب واحكام الصنع  
وانقان الوضع في كل نوع من جدرانها وعمدانها وسواريتها الى  
عقودها الى سقوفها الى قبابها حتى انه لم يترك مقالا لقائل ولم يدع  
مجالا لاستعمال ليت ولو وفوق ذلك فان للقوم بحفظها عناية لابعدها  
ولا قبلها ففي كل كنيسة منها سلالم للتعمير والترميم والتجبير والتميم  
ومع كثرة الكائس والبيع بها (فانها تكاد تناهز نصف الالف)  
رأينا القوم مشتغلين بتشديد غيرها وأنت تعلم ما حاق في هذا الزمان  
بالحكومة البابوية والسلطة الدينية من الضعف والاضمحلال في  
بلاد أوروبا على العموم وايطاليا على الخصوص

بعض  
مشاهد  
رومة

هذا وقد زرنا معرض الصور والرسوم ومصنع الفصوص والفسيفساء  
في قصر القاتيكان ورأينا بهما من الغرائب والعجائب التي يقصر  
عن تفصيلها هذا الاجال ثم شاهدنا مابا المدينة من آثار القدماء

والمتاحف والمعارض والقصر الملوكي والاطلال القديمة والسراديب  
المنقورة في قلب الجبل حيث كان النصرى في مبدأ أمرهم يلحون  
اليها أيام الاضطهاد ويتقون بالاختفاء فيها شرعياد الاوثان

وقدرأينا في كل ساحاتها وباحاتها وميادينها وبساتينها وفي كافة  
الارحاء من منازلها وشوارعها تماثيل كبارهم وعظمائهم الذين  
قاموا بخدمة الوطن وترقية شأن البلاد وتعزيز مقام الامة بحيث  
ان ذكرهم لا يمكن ان يحوه الزمان وبذلك عرف الالهون عالمهم  
وجاهلهم كبسيرهم وحقيرهم مقدار الاجر العظيم الذي يصيبه من  
ينفع الوطن من أى وجهه كان وبأى عمل كان ووقف السكان  
عموما على نواريح أولئك الذين استفادت منهم البلاد فائدة حسية  
أو معنوية قليلة أو جلييلة واتخذوهم نمودجا لتهديب الابناء  
الناشئين وتربيتهم على السير في جاداتهم ومحاماتهم في خدمة  
الايوان

وهنا ينبغي لى ان أقف قليلا كاسف البال متحسرا على  
اهمال أهل بلادنا هذا الامر الذى هو أفضل الاعمال وأجل  
ماتشد لاجله الرجال فان الذى يعلم انه اذا خدم وطنه عرف قومه  
قدره وأجلوا ذكره وشادوا له الاثار والمباني التى تضمن له عمرا  
غير العمر الفانى وتستديم حياته الى كل جيل لاشك انه يفضى

تأسف على  
عقلاء مصر  
واهمال  
ذكرهم

النفوس والنفيس ويواظب على السعي والعمل لنيل هذا الشرف  
الذي ليس بعده شرف . ألا ترى ان الكثير من علماءنا  
وفضلائنا قد انقرض ذكرهم بمجرد دخولهم في رسمهم اللهم  
الا أن يكون لهم كتاب متداول مشهور (وهم الاقلون) وهل  
يصح لي أن أعترف بنى وطنى الكرام بان السعي فى تحلisd ذ كر  
الاماجسد الامائل الذين يخدمون الوطن هو أكبر باعث ينهض  
بالنفوس ويحرك العزائم ويحدد القرائح ويوجب الاقدام على  
العظام فمغتتم الامة والوطن أجل المغامير ويربحان باجتهاد أفرادهما  
وسعى أبنائهما من غير أن يكونا على الدوام فى حاجة الى الاجنبى  
والدخيل لانسير الابعسكة نورهما ولا نهتدى الابهدياتهما  
وارشادهما أما ان لنا ان نغتنم الى هذه الحقائق ونذكر ما وراءها  
من المنافع فنطرح الحسد منا لبعضنا ونسعى جميعا فى وجهة  
واحدة لصالح الوطن العزيز كل بقدر ما عنده ونعصد بعضنا لنكون  
كالبنيان المرصوص فلعل أهل بلادنا تهزم الاريحية المصرية  
وتشور فيهم النخوة الوطنية والحمة الاهلية فيتشبهون بأمم أوروبا  
لنوال الفلاح والنجاح

أواه . تحدى نفسى عند كتابة هذه السطور بان الكثير  
من القراء لابد ان يستخف بهم هذا المقال ولكنى أنادى من له حياة



أو كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد فتلك لعمرك عواطف  
وطنية واحساسات قومية وددت لو يشعر بها أهلى كما تملكنى  
حينما رأيت الخاصة والعامه فى هذه المدينة واقفين تمام الوقوف  
على جميع ماجريات أولئك العظام الذين أقيمت لهم التماثيل  
والانصاب وتزينت بصورهم قصور الملوك وقاعات الدواوين حتى  
كان ذلك باعنا للامه الطليانية على مباراة الامم العظيمة ففتحت  
المعامل الكبيرة ووافقت الشركات الجليلة وأقدمت على مهام الاعمال  
حفظت ثروة البلاد فى البلاد وروجت الصنائع الوطنية فاكسبت  
أيما اكساب نعم لانكر ان الدولة الطليانية واقعة الآن فى أزمة  
مالية وقد برك فيها جبل الفقر ولكن لها عذر واضح من حيث انها  
فى وقت قصير انشأت موانى حربية بحرية وأنجزت كثيرا من الاعمال  
العظيمة ذات المنفعة العمومية لى تضاهاى الدول الكبيرة والامم  
المثرية فكانت كالزراع ينفق كل ما عنده ثم ينتظر الغلة والربح  
وقد بدأت تجنى ثمار ما غرست وأخذ الخير يدر عليها واطن أنه لا يمضى  
عليها نحو النصف مائة حتى تنفض ما عليها من غبار الفاقة وتقيم  
مما حاق بها من الارتباك والاعسار

وكأنى بك أيها القارئ قد مللت من هذا الاستطراد ونوتت منى  
بدر ذلك اننا كاشفك بما رأيته فى هذه البلاد من الامور العرضية  
أمور نافوية والقيظ باوروبا

الثانوية التي قد يكون وراءها فائدة مجلبة جزئية يمكن ادخالها في بلادنا مثل العربات والسكة الحديدية والبوستة والتلغراف والبواخر والبوليس وما أشبه ذلك من التنظيمات من انهم يضعون اسماء الشوارع على رقع مربعة من الرخام لكي لا يتطرق اليها البلاء بسرعة كما حصل عندنا في الاخشاب التي وضعتها نظارة الاشغال في القاهرة بمصاريف باهظة ولكني أقول لك ان الحزب شديد جدا واني أقاسي منه أكثر منك من عهد مبارحتي للاسكندرية الى هذا اليوم حتى كأنني ذهبت الى اسوان أو السودان فعافني من ذلك الآن عافاك الله واعتقد ان الحر في هذا العام بأوروبا اشد منه في كل عام بل لم يعهد القوم له مثيلا قبل الآن ولقد كنت أستغرب ذلك في أرض أوروبا حتى قرأت في جريدة الترييونا المصادرة في يوم الاثنين ٢٢ أغسطس تلغرافا من باريس ينبئها بان اشتداد الحر فوق العادة قد أتلف صحة الجنود الذين في المناورات في جملة جهات وآخر من ويانه يقول ان القيظ مستمر فيها وانه وردت عليها الاخبار من جملة مدائن ان الحر سبب وفيات كثيرة وان سبعة من العساكر زهقت أرواحهم من اشتداد الحر بينما كانوا في المناورات وان الفلاحين قد اضطروا وترك أعمالهم وان الفاكهة قد أصابها ضرر



بليغة فكيف لا تشفق عليّ مع ذلك كله وقد كنت أيضا بالامس  
(يوم الاحد) أترى في رومة ورأيت في منازهما من رأيت  
وما رأيت وحسبك مني هذه الاشارة

الرسالة الرابعة

مدينة فلورانس

ولواجوب الوجود بلندره في يوم موعود وميقات محدود لحضور تأسف  
احتفال مشهود والاشترالك في مؤتمر معدود لا طلت المقام برياض لفرانك  
رومة الغناء وأكثر من التجول في ساحاتها الفيحاء ولكنني تزودت رومة  
من شميم عرارها وتشبعت من محاسن آثارها فودعتها بالعين  
والنفس متطلعة اليها والقلب شغف بها ورددت الدعاء لدولتها  
بالثروة واليسار وما ركبت القطار حتى بادرت فأعقبت ذلك بالدعوات  
الصالحات المستجابات لوطني وخلاني وأهلي ونفسي وذلك لانه خيل  
لي ان الدعوة مقبولة في هذه الاقطار لاني ما خرجت منها الا بعد  
ان التزمت بالمساعدة على اتمام ماليها (وأول ما يجني على المراهجتهاده)  
فان عمال المحطة قالوا لا بد من دفع أجرة النقل على الشنطات مذاب  
الاربع التي مع رفيقي ومعى فأفهمت ناظر المحطة ما وقع ببرندزي المتاع  
ثم بناولني من أخذ الاجر في الاولى على ثنتين ثم في الثانية على

ثلاث فقال ان هذه الشنطات تزيد طولاً وعرضاً في القياس عما  
يبيحه القانون لافراد الناس فأخذ العجب من كل مأخذ اذ لم يكن  
لى ذلك في حساب وقت لعل القوم لا يعرفون الهندسة وقد اتقنوا  
المتوالية العددية من علم الحساب فتوليت الدفع في المدينة الثالثة  
من ايطاليا على الشنطات الاربع ووطنت نفسي على اتباع هذه  
الخطة في كل محطة حتى يقضى الله أمراً كان مفعولاً

وصول  
فلورنسة  
ثم سار بنا القطار بموجب البلاد جوباً وينهب الارض منها الى  
ان بلغ بنا مدينة فلورنسة المصطلح على تسميتها عند أهلها بمدينة  
فيرنزا التي تكلم عليها الشريف الادريسي في نزهة المشتاق وسمها  
فلرنسة من غير اشباع كما نفعل نحن اليوم تقرباً من اللفظ الافرنجي  
فترنا فندقاً لمنا فيه ريثما استرحنا ونفضنا غبار السفر (هذه  
العبارة من باب المجاز لوجهين الاول ان سفرنا كان بالليل والثاني  
ان السكة الحديدية في ايطاليا لا تثير قط عتيراً مهما كانت سرعة  
القطار لان المصلحة معنية كل الاعتناء بوضع الزلط والحصاء على  
طول الطريق فهى نعمة للمسافر تتمعه بما يبدو أمامه من المناظر  
من غير ان يخشى ضرراً ماعلى النواظر) وبعد ذلك خرجنا لترقح  
الروح بارواح ريحان هذه المدينة ونتره الطرف في طرفها القديمة  
وتحفها الثمينة فأخذنا عربية قلنا لسائقها ان يدلنا على دليل خبير  
عليك  
بالشباب  
نخبرنا بين شاب وشيخ كبير وقال لنا ان الثاني أفضل معرفته بالمدينة

وطول ممارسته لهذه الصناعة فاختترناه على بركة الله راجين منه  
الافادة بالدلالة اللفظية والمعنوية ولكن وقار الشيب كان مستويا  
عليه أكثر من دلالة اللزوم حتى أزمه السكوت والسكون فكان  
جالسا امامنا كأنه ثالثنا بل رابعنا (بحسب العريبي) يجيل ناظره  
ذات الشمال وذات اليمين يتأمل ويتفكر أشبهها بالمتصوفين  
أو المتفلسفين ولا يجيب عن أسئلتنا المتعددة إلا بما فيه قلب  
القائدة فأسفنا على اختيار الاختيار ورجعنا على أنفسنا باللامه  
ولات حين ندامة ولكننا تسلينا أملا بان غيرنا يكون له خير موعظة  
بما جرى لنا والعاقل من تعظ بغيره

أما المدينة فلها من الداخل منظر بعيد من الرشاقة مجرد  
من الملاحه لانك ترى القصور القديمة فيها شاهقة متواصلة  
والعمائر الجسيمة شاهقة هائلة وعليها من الرزانه جلباب ومن الجوده  
والحفوة أبواب ليست قائمه من الخارج على أعمدة ولا يواك معقدة  
ولا امامها أشجار نضرة أو خضرة مزدهرة حتى تروق خاطر الخطار  
وتقر ناظر النظار فهي بالمعقل والمخاصن أشبه منها بما كان  
المساكن شادها سادات المدينة وأشرفها في القرون الوسطى للتحرز  
بها والالتجاء اليها ولكنك اذا سرت بعيدا عن سره المدينة سررت  
برؤية الرياض الاربضة والجنات الطويلة العريضة والساحات التي

هيئة  
فلورانه  
ومحاجنها



هي أكثر من أن تحصى والميادين الشائقة بما حولها من الأشجار  
والازهار التي أوجبت تسميتها بمدينة الازهار فترى حينئذ عليها  
من الجمال حلة باهية ومن المحاسن ما تحتال فيه كالعادة الهيفاء  
خصوصا اذا ارتقيت ربواتها أو قصدت منتزهاتها ولا سيما المنتزه  
الكبير فإنه من أنزه المنازه التي رأيناها وأبهج المباحج التي عرفناها  
اذ هو من الاتساع والامتداد وجمال المنظر ورونقة الترتيب بحيث  
يجيد الفكر ويحسن الذوق ويجلو صدأ العقل ويغذى الروح  
ويصفي القرائح فلا يحب اذا تفرد أهلها في تعشيق الطبيعة

استعداد  
الطليانية  
الفنون  
المستظرفة

وبرعوا في الفنون الظريفة ولا بدع اذا قلت في هذا المقام ان كل  
طلياني لا بد ان يُخلاق نابغا بالطبع في الرسم والتصوير والنقش والنحت  
والتعمير أو التجميل والتحرير أو الموسيقى والاعاني ونظم القريض  
والمعاني فقد زرت معرض الصور المعروف بالرواق ورأيت فيه آثارا  
صناعية جليلة وبقايا فنية جميلة أوفوق جميلة مما لا تكاد تضاهيه  
مجموعة في الدنيا القديمة والجديدة حتى لقد ملت من كثرة التأمل  
والمشاهدة وتعبت من الاستمرار في التسيار مع تيار هذا المعرض  
العريض الطويل فعذلت (لعمري لانقص) عن اتمام مناظرة ما به  
من التحف الثمينة العجيبة وعولت على الخروج منه معجبا بما فيه  
قادرا اياه حق قدره ثم طفنا بالمدينة وتفرجنا على ما فيها من بدائع

الصناعة وبجانب الطبيعة مما أذخر شرحه للرحلة فرأيت في منزهها <sup>عناية</sup>  
هرما صغيرا مبنيا بالأحجار الكبيرة فحسبته من مصنوعات أجدادنا <sup>الأفرينج</sup>  
المصريين وقد نقل الى هذه الديار كإنقل غيره من أحاسن الآثار <sup>بالصغار</sup>  
ووضع بجانب المنزه عناية به وحفاوة ولكني علمت من التماسل  
ان بعض العمال ابتناه على نفقته لاصطناع الثلج وحفظه بدفجبت  
من هذا التفنن في الاتقان واستغربت من اقتدار بنى الانسان وعلى  
ذكر الثلج والتفنن أذكر انى رأيت رجلا يبيع الماء المثلج في برميل  
لطيف ظريف نظيف خفيف ذى حنفيتين من الخارج وانبوبة  
لوضع الثلج من الداخل يحمله على ظهره ويسعى به لبيع الماء من  
غير عناء أينما شاء واحدى الحنفيتين مخصصة لغسل الكاس التى  
يستقى منها الناس وقيل لى ان الرجل اخترع ذلك الطراز منذ عشرة  
أيام وأما غيره فلا يزال يبيع الماء المثلج فى أحواض من الاخشاب  
يقف بجانبها ولا بد للظمان من الورود اليها وقد رأيت فى جميع  
المحاط التى مررت عليها شبانا وقميات بل قتيات وشبانا يحملن  
ويحملون بأيديهن وأيديهم شيئا شبيها بالاسفاط مربكا من اسلاك  
ينقسم الى عيون عدتها ثمان أو عشر فيها اكواب مترعة يمررن  
ويعرون بها على القطار لتقديم الماء المثلج لمن شاء من المسافرين  
فى نظير صلدى واحد (أكثر من ملايين بشئ قليل)

ومما رأيت به هذه المدينة رجل مقعد شطيح ولكنه يسي بنفسه  
كما يسي غيره بقدمه ويستمتع الاحسان من كل انسان في أى  
مكان فانه اتخذ عربة صغيرة بقدر ما يجلس عليها ولها أربع  
عجلات وبما أن الشوارع منتظمة والارض ممهدة والسير يسرفى  
جميع أنحاء المدينة فما على صاحبنا الآن يضغط بيده على الارض  
قليلا لتحريك العجلات والتنقل من طريق الى طريق وقد استغنى  
بهذه الكيفية عن اتخاذ أعمى يحمله ويسعى به في نظير  
ارشاده اياه على الطريق ومقامته ما يصيبه من الرزق ولا شك  
عندى أنى سأرى رفيقه الاعمى (بحسب ما جاء في حكايات فلوريان) يدبر له  
وسيلة يتوصل بها الى نوال الحسنة من غير احتياج لنظر المقعد  
وتكلفه جملة على كتفه لان أهل هذه البلاد بلاد أوروبا أهل  
التشوق حركة وعزيمة وتفنن واقدام وهنا استوقف القلم مرة ثانية بالرغم  
للوطن عن البواعث الكثيرة التى تجيش فى الصدر كغليان القدر فتدعوه  
للاندفاع فى هذا التيار وانى لاعانى هذا العناء خشية على القارئ  
من الملل وشفقة على نفسى فقد بترج بى التشوق الى الاوطان  
واشتهى التشوق الى الاخوان لعدم استقرارى فى مكان وتعذر  
استطلاعى الاخبار التى تتوق اليها النفس ويحوم حولها القواد  
فيا لله من البعاد ويا لله من غالب شعرائنا كيف يصنون وهم فى



مستقرهم عواطف واحساسات لا يشعرون بها ولكنها بجي كالمها  
طبق المراد أهذا من صدق الحدس أو من سلامة الفطرة . . . . .  
وباليتنى كنت تخرجت في الشعر حتى كان ينفتح امامى المجال  
ويتسع لى المقال

الرسالة الخامسة

(مدينة بيزا Pisa)

لقد أبدعتم يا أهل البديع فى تنويع الطبايق فهو لعمركم من سلامة  
الاختراع ولقد برعتم يا أهل المنطق والكلام فى بيان التناقض  
والتضاد ومعانى الاجتماع والارتفاع فان وقتى على كل حال أعتبره  
ثميناً نفيساً ولكنى أجده الآن طويلاً قصيراً - أما الاول -  
فلكثرة الشجن بالحنين الى الامل والوطن - وأما الثانى - فلتقصيره  
عن مساعدتى على زيارة مدينة البندقية (فونسيا) فانى كنت  
بفلورنسه وليس بينى وبينها سوى ست ساعات ومع ذلك لا يصح لى  
ان أتعب وأقول ان المشتهى قريب وماليه وصول فان الطريق  
ميسر والوصول أسهل من ان يدبر والبخار مسخر والقطار حاضر  
ولكن الوقت سلطان قاهر فكيف لا أتمكن من زيارة تلك المدينة

( ٣ - رسائل )

التي قامت فيها الخلبان مقام الحارات والجداول مقام الشوارع  
والمراكب مقام المركبات والزوارق مقام العربات والمقاذيف  
والمدارى مقام الخيول الجوارى ... ألام الوقت محسوب  
والقيام الى جنوة أمر محتوم فالبدار البدار الى دار الوفادة والعجل  
العجل لتأدية واجب الرسالة ولكنى أستعصت عما فاتنى بقسمة  
طريقي الى قسامين للوقوف فى بيشة أكثر من ساعتين كاتانى  
الحقيقة أبرك من يومين فاتخذت دليلا من أهل الشباب معدن  
القوة والفتوة وأمل المستقبل فطاف بنا المدينة وأطلعنا على  
محاسنها فعوض علينا ما خسرنا بسبب اختيار الشيخ فى فلورنسه  
رأيت أمورا كثيرة فى هذه المدينة الصغيرة (التي لا يتجاوز  
عدد سكانها ٤٠٠٠٠ نسمة ومصرنا القاهرة فيها نحو ٤٠٠٠٠٠  
نفس) وانى أحيط علم حضرات القراء بالنبا القليل من غير  
تفصيل

عجالة على بيشة هذه المدينة تسمى فى كتب الجغرافية العربية القديمة بيش  
ويشسة وقد وردت باسم بيضا فى كتابه الشريف الادريسي مر  
عليها حين من الدهر كانت فيه خاضعة للملك تونس فى أيام دولة  
الموحدين (أو الملمين لا أتذكر الآن ذلك بالتحقيق) فانى رأيت  
بدار المحفوظات فيها التى تشبهه الدفترخانه المصرية عندنا (من

غير تشبيه ولا تمثيل) صكوكا كثيرة وعهودا متنوعة وإجازات غير قليلة وبعضها يتضمن الضمان لاهلها بالحرية التامة والامان في كافة المعاملات واقامة شعائر الاديان وهي صادرة لهم من أولئك الملوك (وقد اعتمى العالم الطلياني أمارى بنشرها وترجمتها) ورأيت اسم البلد فيها هكذا - بيثة - وقد شاهدت في هذه الدار أيضا غير ذلك من الاوراق الرسمية التي اتخذتها كل دولة تولت عليها أو كان لها علاقة بها ورأيت فيها على صغرها كثيرا من التماثيل التي تحيي ذكر أهم رجال ايطاليا أخص بالذكر منها تمثال الطيب الذكر فكتور عمانويل مؤسس الدولة الطليانية الحالية الملقب عندهم بأبي الوطن ولكنه كان كله مغطى بالاخشاب المنضودة بحيث لا يرى منه شيء ما وذلك لانه أقيم حديثا وسيحتفل بإزاحة الستار عنه قريبا بحضرة الملك والملكة والاسرة الحاكمة ورجال الدولة وأهل الحل والعقد ثم زرت المدرسة الجامعة ومكتبتها نظام المكتبة العظيمة ورأيت فيها من النظام ما يوجب الإعجاب بها مثال ذلك والمتاحف ان الكتاب الذى يستعار منها يوضع مكانه قطعة من الخشب بمقدار حجمة وعلى شكل الكتاب وتكتب عليها غرته وعنوانه الى ان يرده الكتاب الى محله وفى ذلك فائدتان أولاهما حفظ نظام الكتب وعدم ميلها على بعضها بسبب الخلو بينها مما يضيع



استقامتها واعتدالها وثابتها التنبيه على ان هذا المكان يشغله  
كتاب مستعار الآن مع حفظ عنوانه وعمره لاعلام من يريد ان  
يجيب ناظره على الكتب فقط ورأيت فيها أيضا صناديق من  
الخشب على شكل الكتب توضع فيها المجلات الدورية وأخرى  
لحفظ الكرايس والاجزاء التي تظهر في أوقات معينة من كتاب  
واسع كبير حتى لا يتولاها التلف والضياع ومتى تمت الكراسات  
والاجزاء جلدوها مع بعضها وأودعوها في المحل اللائق بها ثم زرنا  
مدرسة المعلمين العليا وتفريجتنا على معرض التاريخ الطبيعي وهو  
وان لم يكن لكنه حاو لكثير من التحف والاطيار وأسماك  
الحيوانات النادرة الغريبة من حشرات ودبابات وأطيوار وأسماك  
ومعادن وأحجار ونباتات وأشجار وثمار وأزهار وغير ذلك مما يدخل في  
البرج المائل هذه الدائرة ثم زرنا كنائسها وبيعها وأغربها كنيسة بجانبها برج  
وغرائب للناقوس منعزل عنها وهو شامخ في الهواء لا باعتدال بل بانحراف  
الصدى فإنه يميل بكنيته على سطح الارض بمقدار خمسة أمتار أي انه  
إذا أنزلت من أعلى قمته خطا عموديا على مستوى الارض لكانت  
المسافة بين نقطة مسقطه وبين جدار الاساس خمسة أمتار  
بالقياس ثم عمدنا الى قبة التعميد وهي بناء آخر مستدير بجانب  
الكنيسة من الجهة الأخرى وبينما نحن نتأمل في عجيب تركيبها

وبدع هندامها وحسن نظامها واتقان رسومها و... و...  
و... الخ وإذا بالدليل صفتك بيديه مرتين ثنتين فأزبجنا منها  
ازعاجا شديدا لا يخظر على الببال إذ أعقبهما دوى ولا قصيف  
الرعود وهزيم أين منه قرعة المدافع المتواليمة في ساحة الوغى  
حتى ظننا ان القيامة قد قامت وان الارض زلزلت زلزالها وأخرجت  
الارض اذقالها وان الجبال اندكت والسماء انفطرت (وامؤتراه  
وامؤتراه) واستمر الصدى على هذا المدى عشرة ثوان فمجيئنا كل  
الاجباب من هذا الصنع المحكم الذى لا يحاكيه صنع فى العالم  
وقد كنا رأينا شيئا مثل ذلك فى كنيسة رومة من حيث  
تدبير الهواء فى صلب البناء اذ يقف الانسان بجانب سارية من  
سوارىها ويكلم صاحبه من خرق صغير فيها فيسمع كلامه واضحا  
ظاهرا من خرق آخر فى السارية الثانية أو ان يقف بجانب  
باب فى أعلى القبة ويسمع صاحبه وهو يناجيه بجانب الباب  
المحاذى له على مسافة تقرب من المائتى متر ولكن ذلك كله ليس  
شيئا فى جانب ما رأيناه فى ينشئة ثم أخذ الدليل يوهوه ويوهوه  
على عادة الافرنج فى المغنى والصدى يجيبه باجل أسلوب وألطف  
معنى

جبانه بيشة ثم تفرجنا على قرافة المدينة ويدعونها ( كامبوسانتو ) أى  
الميدان المقدس أو ما أشبه ذلك فرأينا فيها رسوما كثيرة بارزة  
ومجوفة وقبوراً فى صلب الحيطان وتحت الاقدام ولكن ذلك  
ليس من الغرابة فى شئ بل الغريب أن فى وسطها مربعا كبيرا  
طينه كاه مجلوب من أرض بيت المقدس (أورشليم) جلبته من  
الشام ٦٦ مربعا من سفائنهم تبركا بتلك الطينة الطيبة ولكي  
يكون فى بلدهم قطعة من الارض المقدسة تخرج الازهار  
والاعشاب الخاصة بتربتها فى معدنها الاصلى وقد دعانى الدليل  
لاخذ شئ من تلك الازهار على سبيل التذكار

كنيسة بهجة وقد رأيت أيضا بيعة صغيرة على حافة النهر لا يفصلها عن  
الماء شئ وهى فى غاية الابداع والجمال مبنية بقطع صغيرة من المرمر  
المختلف الالوان على شكل معجب وأسلوب جميل وأغرب ما فيها أن  
سقفها من الداخل يشبه السقوف المصرية العربية القديمة من  
حيث التطعيم بالخشب والابنوس والتلقيم بالصدف والعاج ولكنه  
ليس كذلك بل كاه من الحجر المركب مع بعضه على شكل الفص  
والقسيفساء فله منظر جميل بهيج يزيد فى محاسن المنتزه الكائن  
على الضفة الاخرى من النهر وهو فى غاية الحسن  
أحسن بيشة وبودى ان أختم هذه الرسالة بذكر شئ من الجمال فى بيشة



فلا شك عندى انه كان أكبر شفيح لنوالها الحرية والامان من ملوك  
نونس أيام كانت خاضعة لهم ولا يمنعنى من الافاضة فى هذا  
الموضوع سوى خوفى من ان تتناول على السنة السوء ولكنى  
أقطعها واستريح منها حتى لا تبقى لى بالمرصاد فيما ربما ينساق  
اليه الحديث فى غير هذا المدينة مما لا يرى الكاتب بدا من ذكره  
من باب الاحاطة ليس الا فقد كان مرورى عليها وقت الظهيرة  
وقت القيلولة وقت اشتداد الحرارة ومع ذلك رأيت الغائبات  
الرأجمات والغادات الغاديات المشوقات المشوقات الهائجات  
المهفهفات ذوات القدود والحدود والصدور والنحور والخصور  
والشعور . . . وغير ذلك مما ألقىه على الشعراء ذوى  
الوهم والخيال ليتكفلوا بشرح حقيقة الحال

الرسالة السادسة

(مدينة جنوة)

لم أبارح مدينة من ايطاليا وفى جوانحى من اللهف عليها والشغف فراق بيشة  
بها مثل ما حصل لى فى بيشة حتى ان قلبى قد طغى على ويود  
لا يتكلم الا عليها ولم يكن فى وسعى سوى مفارقتها ولسانى يكرر  
على جناتى ما فى وطابه من قليل الاشعار الخاصة بالغزل والنسيب

وفراق بيشة  
ووصف  
الانفاق

والغرام والتشبيب ولكن أين ذلك كله مما كنت أشعر به  
ومما زاد توجعي على مفارقة محاسنها وأحاسسها ان القطار صار  
يسير بين الجبال وعلى حافة البحر بالتمام فبينما هو يجرى تحت  
الجبل وفي ظلام حالك اذ ترى نوافذ منقورة في الصخر الذي يحيط  
بك من الجهات الست ترسل النور الى النفق والامواج الى جسر  
السكة والطمانينة والسكينة الى الباخزة ومن فيها فتجدد فيها  
وفيهم عوامل القوة وتدب روح النشاط

ثم استمر الامر على هذا النهج فخرج من نفق وندخل في  
نفق يوصلنا الى ثالث يتبعه آخر فآخر وهكذا والمسافة بين كل  
واحد والذي يليه قدر الدقيقة أو أقل ترى الواوور يقرب فيها  
من الطود الشاخ اقتربا شديدا حتى كأنه يستند عليه أو يأوى اليه  
ليعصمه من الانزلاق في بحر الروم ولكنه متى دخل النفق  
يجل السير واندفع بسرعة كأنه نجيا من خطر لاقل منه أولشجاعة  
اوجدتها فيه العادة بل . . . في المسافر الذي مر تحت كثير  
من الانفاق فابقي يعباؤها أو يسأل عنها فضلا عن ان أرضها  
ممهدة مطمئنة وليست منحدره كإفي جنوبي ايطاليا والخلاصة اننا  
وصلنا جنوة وزلنا بها لنتفرج عليها أولآثم على مظاهر الاحتمال

الذى سمي مقام بها احياء لذكرى أحد بنينا وهو الخلد الذكر  
كرستوف كولب مكتشف قارة أمريكا

هذه المدينة تسمى جنوا Genova في لغة أهلها وحين Gènes اسم جنوة  
عند الفرنسيين وورد اسمها كإرسمته في كتب الجغرافية العربية  
القديمة وان كان أبناء العرب في هذا الزمان يكتبونها جنوا  
أو جنوى و كثيرا ما كان اسمها موجبا للخلط بينها وبين مدينة  
جنيف Genève في سويسرة عند بعض الذين لم يعتادوا التحقيق  
والبحث بالتدقيق أما الذين وقفوا على الفرق وعرفوا وجوب التمييز  
فيسمون الثانية (أى مدينة سويسرة) جنيفة أو جنيفا ولكنها  
وردت في كتابة الشريف الإدريسي هكذا (جنبرة) وسأبين لك  
تعليل هذه التسمية وكثير من أمثالها بالتفصيل في الرحلة ان شاء الله

أما منظرها ففي غاية البهجة والجمال ولا أقول مثل كتاب الأفرنج  
منظر جنوة أو الذين حدوا حدوهم من أبناء العرب انها على شكل نعل الفرس  
أو حدوته بل أقول انها كالنون وجوفها هو جونها ومتى خيم  
الليل ترى هذه النون ساطعة كالهلال بل تتلاقى من طرفيها  
بأضواء السفائن الراسية فيها فتكون كحلقة مفرغة قد ملئت من  
الانوار ثم ألقى بها في تيار البحار ولا يقرب من مشابها فيها أعلم  
سوى مدينة دمياط في أيام الزينة والمواسم الكبيرة



ولما أصبح الصباح نزلنا من نزلنا واتخذنا دليلا لنا (من الشبان) فشهدنا عظمة المعدات وجمال الاحتفال الذي سيكون لمن جعل العالم نوأمين وبلغنا ان الاسطول البريطاني بعد ان رسا قبل غيره على مقربة من المدينة أفلح (أوابخر) على نية الرجوع قبل الاجل المضروب ولم يكن في الميناء سوى ثلاث مراقب طليانية وواحدة هولندية فوطنا النفس على زيارتها في عصارى النهار

براهين  
الوطنية  
في أوروبا

ثم طفنا المدينة صاعدين هابطين وشاهدنا حصونها وابراجها وآثارها ومفاخرها ثم دخلنا دار البلدية فأنسستنا نظيرتها في الاسكندرية فان كل غرفة من غرفها وكل قاعة من قاعاتها مفروشة بالاثاث الفاخر وزينة بالنقوش الاصلية البالغة في الاتقان وفيها من التماثيل والرسوم والابسطة والستائر والموائد والمعدات ما يجعلها أشبه بديار التحف منها بديار الادارة والسياسة ورأيت في احدى قاعاتها تمثال كرسنوف كولب وتحت التمثال صندوق من المرمر مغلق منيع فيه كتابات ورسائل الرجل التي كتبها بخط يده لكنهم لاجل ان لا يحرموا الناس من مشاهدتها وقراءتها أخذوا صورتها بالفوتوغراف وعرضوها على الانظار تحت الواح من الزجاج ثم انك ترى صور وقائعه واسمائه واكتشافاته وكل

ما قاساه في آخر أيامه مصورا محفوظا فيها بحيث انك بمجرد  
الاطلاع عليها تعرف تاريخه وما جريته عن ظهر قلب وفي دار  
البلدية المذكورة غير ذلك من تماثيل العظماء مما لا أرى حاجة  
للإكلام عليه الا ان غيراني أقول ان القصر الفاخر الذي هي فيه  
كان ملكا لاحدى العائلات الكبيرة فتنازت عنه لها وعلى  
ذكر ذلك أقول أيضا ان أعظم منتزه في وسط البلد كان لعائلة  
غنية أخرى فتنازلت عنه للبلدية وهي جعلته منتزها للعامة  
ومر بي لبعض الاطيار الغريبة والازهار النادرة ومتحفا للتاريخ  
الطبيعي ولقد باغنى ان احدى السيدات تبرعت للمدينة أيام  
حروبها بمبلغ يوازي ٢٠٠٠٠٠ فرنك لتعزيز الحصون وتقوية  
القتلاع والمحافظة على أكبر أبواب المدينة فأقامت لها البلدية  
بعد موتها التماثيل والانصاب اقرارا بفضلها على وطنها واشهارا  
لحبها لقومها وعلى ذكر ذلك أقول وأقول وأعيد وأعيد ماستراه  
منصلا في الرحلة وان غد الناظره قريب

غيراني أسألك كلمة واحدة ثم أنتقل من هذا الموضوع وذلك  
انى قرأت تواريخ بلادى ووقفت على وقائع قومية وتحسرت لما  
رأيت انى لا أتدكر شيئا يشبه ذلك أو يقرب منه فان كنت على  
بالك أمر من هذا القبيل أو أقل منه بقليل فانى أناشدك الوطنية

الاما التحفتني به لتزول عني الغصة وليكون في تذكير القوم به  
أعظم اسوة

العمامة هل أحدثك بحديث العمامة والطرشوش في أكبر كنائس  
والطرشوش هذه المدينة فانه يدل على انه لم يزرها أحد قبلنا بشكلنا وان  
في أوروبا قسوسها لم يبرحوا قط منها . دخلنا هذه الكنيسة وقتنا لسائق  
العربة ينتظرنا ولكنه لما رآنا دخلنا من الباب ولم نرفع عمائرنا  
(العمارة في اللغة كل ما يوضع على الرأس من طربوش وعمة وطرطور  
وبرطول وقلنسوة الخ وتقابلها بالفرنسوية لفظة Couvre-chef  
و Coiffure) أشار الينا باتباع هذه السنة فلم ألتفت اليه ولما  
دخلنا نبهنا الدليل الى ذلك فأضفت جهله الى جهل السائق  
وأفهمته ان ذلك غير لائق وبعد خطوتين جاء الحارس يتخترق في  
ملبوسه الارجواني وأزراره النحاسية ويتوكأ على صولجانه  
وقال لنا لا بد من كشف الرأس احتراماً للمعبد الكاثوليكي فأفهمته  
ان هذه عادتنا في بلادنا فذهب وأحضر لنا شماساً أو شكت ان  
أقنعه ولكن رأنا المطران فاقبل الينا ووافق على ملاحظات  
أولئك فقلت له ياسيدي اننا والله الحمد نعرف واجب الادب في  
كل مقام ونعتبر كشف الرأس اخلاقاً بالاحترام فلا ندخل قط على  
عظيم أو في مسجد الاورثووسنا مغطاة ولا شك انه سيقدم اليكم



كثير من أمثالنا بمناسبة الاحتفال بمهرجان كرسوف كولب  
وكلهم يصنعون صنعا

فأظهر الاقتناع ثم قال لي سلنا بذلك لرفيقك فان شكله شرق  
فتح وأما أنت فانك بالملابس الاوروبية وحيث انك قد اخترت  
ملبوس الافرنج على ملبوس بلدك فاقصد بالافرنج في نزع القبعة  
قلت له كلا فهذا هو الشكل الرسمي في بلادنا وهذا الذي على  
رأسي ليس بقبعة وقد زرنا قبل الآن كثيرا من الكنائس  
وأهمها كنيسة مار بطرس برومة فحيثما نراها واكرموا مشوانا  
وكلونا بالعربية واطلعونا على ذخائرنا ونفائسها وفرحونا على  
الاعمة الرخامية التي أرسلها اليها ساكن الجنان أفندينا محمد على  
باشا حينما احترقت وساعد ملوك الارض على اقامتها وحينئذ  
اقتنع تماما وقال للحارس يطلعنا على ما عندهم من الذخائر القديمة  
الصحيحة من سلاسل وأخشاب وغير ذلك مما لا يحتمل المقام  
تفصيله

ثم خرجت من الكنيسة وفي نفسي غصة من ملبوسى هذا الذى  
ترتب على اتخاذه في بلادنا إمامة كثيرا من صناعاتنا وصناعتنا  
واحياء صناعات الافرنج السريعة العطب ومساعدة التجارة  
الاجنبية على انتزاف ما بقى لنا من قليل الثروة فضلا عن أن  
الضررى  
اتخاذ الملابس  
الافرنجية

الحذاء الفرنجى يوجب فى الارجل سقاما قد تكون سببا فى  
نكد العيش ومراة الحياة اما البنطلون المحدث والصدىرى  
المضيق والسترة أو الجاكته أو السالك أو الردنجوت أو السموكن  
أو الفراك والقميص المكوى ورباط الرقبة الملوى وغير ذلك من  
الازياء والانواع فانها ليست موافقة لطبيعة الاقليم فى بلادنا بل مرة  
وأما الطربوش فليس فيه من مزينة سوى حبس الهواء فوق  
المنخ وعدم تمكينه من الخروج لاحتمالك اطرافه على الرأس فهو  
أجود وأنفع فى البلاد الباردة وليس وراءه الا الضرر فى البلاد  
الحارة وباليقينا حينما اتخذنا الملبوس الاوروبى اتخذنا القبعة  
أيضا فانها ليست محرمة لاشرا ولا عقلا فضلا عن ان عرب  
عرا كس لا يزالون الى الآن (وهم على ما هم عليه من التمسك  
بالاسلام) يلبسون شيئا شبيها بالقبعة له حواف تمنع وهج الشمس  
عن الوجه وعما يجاذيه وفوق ذلك فان كلمة شاپو (Chapeau)  
التي تدل على البرنيطة أو القبعة عند الفرنج محرفة عن كلمة عبرية  
لا أتذكرها الآن (وربما كانت القبعة) لنوع من العماير كان  
يلبسه مسلموا الاندلس (وسأين ذلك بالرحلة)  
هذه ملحوظات عنت لى إثر دخولى الكنيسة وقد كان شئ  
شبيه بها دار فى رأس حينما رأيت ان الملبوس الشرقى أجلب

للانظار ( كما وقع في نابولي وغيرها ) فكنت ان اودان اكون  
مشا كلا لرفيتي بعمامة وقفطان وجبة مرخية الاردان ولا أبقى  
على هذه الحالة التي اختارها أهل بلادنا فكانوا أشبه بالغرب  
أراد ان يتشبه بمشية طائر جيل ( هو الطاووس أو غيره ) فلم  
يتمكن من التقليد ونسى سيره القديم - لكن الطربوش  
والحق يقال جعل لي في أوروبا مزايا كثيرة منها ان القوم  
كانوا يفسحون لي في كل مكان واذا قبلت على حانوت قبالوني  
بالباشمة والا كرام ولا بد أن يكون السبب في ذلك أن بعض  
أغنياءنا وكبرائنا الذين يتوجهون بشكل مثل شكلي وينفقون  
الدرهم والدينار من غير حساب يأخذون ما حصلوا عليه في  
بلادهم بأية الوسائط وينفقون في أوروبا من غير فائدة لهم  
ولا لأوطانهم بل في قضاء أوطار باطله وخدمات زائلة تبقى  
بعدها حسرات متواصلة والشواهد أكثر من أن تعد واني  
لأشكرهم مطلقا على كونهم جعلوا أهل التجارة يرحبون بي  
ويوسعون لي مقاما محمودا بل كان أولى لهم وأولى لهم أن يتخبروا  
الصرف في نفس بلادهم بما هو أفضل لهم وأجدي لوطنهم كما  
رأينا في مدائن أوروبا - هذا موضوع يدوخ منه رأس الكاتب  
والقارئ فأتركه لغيري وأريح منه نفسي



معامل ولما كانت مدينة جنوة متفردة على غيرها باصطناع الشفتشى  
الشفشى توجهنا الى أحد المعامل ورأينا كيفية الاصطناع من أولها الى  
آخرها من أخذ الفضة وهي كتلة قائمة واصطناعها أسلاكاً  
مختلفة في الحجم تتراكم مع بعضها بجميع الاشكال مما يندش  
له العقل خصوصاً وان القائمين بها أطفال وطفلات تحت ادارة  
معين ومعلمات وسأكتب عليها بالتفصيل عند التيسير

أول رؤية ولما خرجنا من المعمل تلاقينا برجل لابس طربوشاً فوقف  
مسلماً بأوروبا ووقفنا ثم تبادلنا التحية بالعربية وحصل لنا برؤيته فرح كثير إذ  
لم نصادف أحداً من أبناء الشرق من يوم خروجنا من الاسكندرية  
الى ٢٥ أغسطس يوم وجودنا بجنوة ثم عرّفنا انه السيد محمد بن عبد  
الغنى وكيل سلطان مراکش في ايطاليا وأراد أن يستضيفنا فاعتذرنا  
لان الوقت لا يساعدنا وبعد ذلك أردنا ان نزر السفاش البحرية  
فأخذنا زورقاً كانت الامواج تصده والتيار يمنعه الى أن أقررنا  
بوجوب الرجوع وسلمنا النفس باننا سنجد في انكتره ما هو أعظم  
وأكمل

الرسالة السابعة

(من توريثي مودان الى باريس)

فأرقت جنوة وأنا معجب بنشاط أهلها ووطنيتهم وغريب فراق جنوة  
أقدامهم حتى لقد رأيتهم يزحزحون الصخور ويقومون مكانها وقرافتها  
القصور ويصعدون الى أعلى الجبل فينبون المساكن الانيقة والدور  
الرشيقة ولقد أطلت التفكير في زخرفتهم حتى لقرافتهم التي فاقت  
كل ما رأيته في غير مدينتهم بأبداع التماثيل وكثرة العناية بحيث انها  
تعد من أحسن منازلهم وأنظفها وأبهجها ولا يصح للسائح ان  
لا يزورها وقد رأيت بعض العائلات تقيم لمن يتوفى من أفرادها  
أثرا جليلا من المرص الناصع بالتمثيل المحكم والاتقان التام مما  
يكافها ..... فرنك فنازلا واعتنت البلدية بتنظيمها على هذا  
النسق المعجب وقسمتها أقساما بقدر اللحد تبعها لمن يريد وهي  
تتكلف بتشييد القبور وإقامة الانصاب لمشاهير المدينة قديما  
وحديثا

وكانت جنوة أول مدينة شعرنا فيها بالبرد الخفيف وفيها  
تنازل الويل علينا مسرارا ثم قمنا منها قاصدين باريس ولنا

التقينا في القطار برجل من أهل تورينو أشار علينا بشطر الطريق  
نصفين حتى لا تفوتنا الفرصة من مشاهدة هذه المدينة الفاخرة التي  
تسمى في كتب قدماء العرب طرون وطرونة واطرونة وحتى  
لا تتبع من طول الطريق

منظر تورينو

فعلما بنصيحة شاكرين وكنا أرسلنا متاعنا كله الى باريس  
فدخلنا المدينة وقد أرنى الليل سـداله وجر الظلام أذياله فرأينا  
شوارعها فسيحة أنيقة تضيء الكهربائية أرجاءها فتساعد على  
زيادة جمال المباني الفخيمة التي تحف بها وأمضينا بقيمة الليلة  
بنياب النهار حتى اذا أصبح الصباح (وانتشر نوره ولاح) قمنا من  
الفندق وطلبنا من البواب أن يتحفنا بدليل من أولى الالباب  
فاحضر لنا رجلا لتشويه خلقته كانه من عجائب الزمان ثم ركبنا  
عربة وهو معنا نتفرج على المدينة وما فيها من الغرائب وكانت  
كلها تزيد في عيني جمالا واعتمادا وليس الفضل في ذلك لمنظر  
صاحبنا فقط بل لانها في الحقيقة تحتوي بعد استهلاكهم (عاصمة  
السويد) على أجمل حداثات الدنيا وقد طقمنا منازلها وارتقمنا  
ربواتها وأهم مرتقى صعدنا اليه هو جبل شاخ يكاد يكون رأسيا  
عليه أربعة قضبان كشريط السكة الحديدية وفوق كل اثنين  
منهما عربة عجلاتها السفلية كبيرة والعلوية صغيرة جدا بحيث



يكون الجالس على هذه العربة كأنه على الأرض المنبسطة ومتى  
دق الحارس الجرس الكهربي صعدت بانتظام من غير أدنى  
ارتجاج تجذبها قوة الغاز ثم ترسلها بالثاني إلى مكانها الأول عندما  
تجىء الإشارة وسأصف لك هذه الآلة في رحاتي فقد كتبت إلى  
مختبرها أطلب منه البيان الشافي ولما تسنمذروة هذه الربوة رأينا  
متحفا فيه الحيوانات والاجار والاعشاب والازهار الخاصة بالقسم  
من جبال الالب المجاور للمدينة ثم صعدنا على سطح المتحف فرأينا  
النظارات المقربة قد قربت لنا الجبال حتى كأنها صارت تحت  
يدالمتناول وقد كل الثلج هاماتها فكانها هرمت من طول العهد  
ترى السحب فوقها متراكمة على الدوام ولكن سفحها مازالت فيه  
قوة الشيبية والانبات فتراه مجللا بالخلل السندسية البديعة

ثم هبطنا هذه الربوة وقصدنا متاحف المدينة ولاأذكر منها آثار مصر  
الآن الاالقسم المصرى فقد رأيت لهم عناية تامة بحفظ الآثار  
التي صرفوا في جلبها من بلادنا الابيض الوضاح والاصفر الرنان  
ورأيت فيه مجموعة كاملة من ورق البردى المزين بالاشكال  
والرسوم الباهية فيها تصوير الاحوال التي تمر على المصرى القديم  
من يوم منبته الى يوم منيته الى يوم دينوته الى يوم مستقره في جنة  
أو جهنم ثم نزلنا تحت الأرض في قاعات طويلة فيها الآثار

المصرية الضخمة كالمسلة وصورة لابي الهول وهي في غاية الجمال  
وانى لا عجب كيف يصح اطلاق لفظ ابي الهول على هذا التمثال  
الذى وجهه وجه عادة مصرية مفرطة في الملاحظة اللهم الا ان  
يقال ان حسنه بهول من يراه كما يقال في لغتنا الواسعة (لهذه  
الفتاة محاسن رائعة) ولولم يكن التمثال الهائل الذى يجازى الاهرام  
ما كان هذا التعبير يصح فى الاذهان ولكن قد كان ما كان فالاجدر  
بأن نحمل هوله على ما به من فرط الحسن وصباحة المحيا

ثم خرجنا من هذا المتصف الى غيره مما فى المدينة فرأينا  
أسواقها عامرة وحوانيتها مشحونة باصناف البضائع والفاكهة  
فيها بل وفى كل ايطاليا من أجود ما يكون حتى انى رأيت  
البرقوق فيها بحجم الكثرى بحيث لا يصح ان نسمى نظيره فى  
بلادنا الا بلانطة بريقيق (بالتصغير) ثم خرجنا منها قاصدين  
بلاد «فرانسة الغراء» فسار القطار تجره باخرة من الامام  
وتدفعه أخرى من الخلف لان الارض كانت آخذة فى الارتفاع  
وقبل ان نصل الى مدينة مودان الفاصلة بين تخوم فرنسا  
وايطاليا دخلنا نفقا منقورا فى جبل يناطح السحاب فداخلنى  
منه خوف شديد ورعب زائد فاخرجت الساعة بنوع من  
الاهام لكثرة فرعى من هذه الكتلة المتناهية فى الجسامة

نفق  
جبل سان  
ستيس

والضخامة التي ستكون فوقنا وقد كنت أحسب نفسي قد  
تعدت على السير في الاتفاق فإذا الامر ليس كذلك لان  
القطار صار يسير ويتعثر في مشيته ثم يخفف من وطأته ثم يستريح  
ثم يصفر ثم يتهد ثم ينحدر فيكمث نفسه خوفا من الانزلاق على  
المنحدر وينتقل على قضبان توشك ان تكون مخرسة لحفظه من  
السقوط وقد استطال السير حتى كادت النفوس تزهد من انحصار  
الهواء ومن الرعب الشديد الذي قد تضاعف بمرور باخرة أخرى  
بجانبا مالبت ان بارحتنا وتركت باخرتنا كالفرس أجهدتها الضني  
وحضرتها ساعة الوفاة ومع ذلك لا يرجعها الفارس بل ينخسها  
ويستنزف ما بقي فيها من حول وقوة (ولا حول ولا قوة) وكنت  
وانا تحت هذا الجبل المتعالى أخشى أن يسقط حجر واحد منه  
فينهار ويروح القطار شهيد هذا الدمار الذي ليس بعده دمار  
وكنت أخشى أن يصح على السائق نص الحديث النبوي  
(الأرض قطع ولاظهورا أبقي) وكان الظل متساقطا والنور في العربية  
أصفر باهتا (مثل فانوس اللصوص) فتوسلت الى الله جيل شأنه  
أن يهبي لنا الخروج من هوة الظلمات الى فضاء النور فتقبل  
الدعاء وانعش أرواحنا بالضيياء وليس هذا الوصف الحقيق شياً  
بجانبا الحقيقة على الاطلاق وان لم تصدقني فتعال ايطاليا ومتر



بهذا النفق (ولاتنس ببسنة) فانك ستمضى به ان شاء الله تعالى  
أكثر من نصف ساعة وترى أكثر مما جاء في هذا البيان وليس  
الخبر كالعيان

واقدا عترفت بصدق من قال ان الحاديات تمر على الانسان  
ثم ينساها حتى كأن لم يكن منها ما كان وانه عرضة للنسيان  
في كل زمان ومكان فاني بعد الخروج من هذا المسلك الحرج  
افتكرت اني نسيت أمرا خطيرا وذلك اني خرجت من ايطاليا  
ولم أتناول شيئا من المكرونة أو المعكرونة أو المقرونة (طعامها  
المشهور) حتى وددت لو رجعت اليها لاكل منها بالارطال أو بالامتار  
(فقد بلغني وأنا بمصر انها تؤكل في بعض النواحي من هذه البلاد  
بالامتار) ولكن هيئات هيئات رد مافات ولو أني تذكرت حينئذ  
الجران بار (أرجوك السماح فان المقرونة مقرونة فيه بالاتفان)

وصف جنوب فرنسا  
ولما وصلنا الى مودان نزل الركب يهني بعضهم بعضا على  
السلامة من ذلك الجبل المريع واستنشقتنا حينئذ هواء فرنسا  
وقد كانت رئاتنا في احتياج اليه وتسلمنا عمال السكة الحديدية  
الفرنسوية ثم سار بنا القطار بين جبال شامخة شماء يشق من  
أعالها الماء فيكون غدرانها وانهارها تنساب بجانب الوابور وتحتته  
بمنظر رائع جميل والهواء صاف عليل يروح النفس ويرد اليها

الحياة ولا أعلم لماذا اعترتني هزة الفرح ونشوة السرور وأنا أمر  
بينها مجعبا بهذه المحاسن الطبيعية وقد رأيت في بعض حقولها  
وفي بعض مزارع ايطاليا شادوفنا المصرى بالتمام ولولا وجود  
الجبال وكون الذى يسقى الارض بالشادوف لابس القبعية  
والبنطلون لظننت انى فى أرياف مصر أشاهد فلاحنا المعهود

وستان بين مالقيته فى جنوب ايطاليا مما قبض الصدر  
وضيق على القلب وبين ماشاهدته فى جنوب فرنسا مما يسر  
ال خاطر ويقر الناظر . أما المسدائن التى مررنا عليها فى جنوب  
فرنسا فانما هى قرى خلوية ليس فيها شئ من الجمال الذى رأيناه  
فى مسدن ايطاليا وكنت عند كل محطة أسمع القوم وخصوصا  
النساء يملأون الافواه عند النطق باسم باريس فيقلن ( پارى  
والا كثر ياغى بغمة ومدة فيها الترخيم ) ثم أقبل الليل فشدت  
حلقة فى أعلى الكرسي فانقلب سريرا بل فراشا ونيرا فتمت  
متوكلا على الله ولسان طالى يكرر مايقوله المصريون ( على  
قلها لطيلون ) وبعد ١٩ ساعة قضاها الواور فى السير الحثيث  
وصلنا مدينة باريس

وقبل ان انتقل الى الكلام على هذه المدينة الحسناء أرى  
من الواجب على أن أفى بوعده قد أخذته على نفسى وهو ذكر

ما ألقىه من عمال كوك فاني لا يسعني الا أن أو فيهم هنا حقهم  
من الشناء فقد قاموا بخدمتنا في جميع المدائن التي نزلنا بها  
أحسن قيام وساعدونا في كل طلباتنا فوق المرام وأمدونا بجميع  
أنواع لتسهيلات والايضاحات خصوصا في فلورنسة ونورينوحى  
محو الهفوة التي وقعت ببرندزى فقله دركوك أحسن الله مشواه  
بقدر احسانه الى نفسه والى العالم كله

الرسالة الثامنة

باريس

الانهار من هذه باريس تحفة الدنيا وزهرة العالم وزهرة الكون . هذه  
رؤية باريس باريس جنة الجنائن ومدينة المدائن وعاصمة العواصم . هذه  
باريس منبع البهاء والمحاسن ومرتع الأطباء الاحسان . هذه  
باريس تمتاز الفخامة والجلال وشخص الخفة والرفقة والجمال .  
هذه باريس معبد العلوم ومركز دائرة العرفان في هذا الزمان .  
هذه باريس التي مهما بالغت عنها في الوصف والمقال فاني بعيد  
عن حقيقة الحال بعدا ليس له مثال ولا يكاد يخطر على بال



فليس لي حينئذ الا الاكتفاء بانها فردوس الفراديس

بل هي هي باريس

قدمت اليها في بكرة النهار (من يوم ٢٧ أغسطس) ورأيت فيها من الحركة والنشاط ما هالني وراعى وأزمنى الاقرار بالعجز عن التعبير والحيرة في التحرير فكيف يتسنى لي أن أوافيكم يا قوم بما شاهدته فيها من التناهي والبلوغ الى غايات الكمال في كل موضوع وباب واني اذا أرخيت للفكر العنان ومكنت القلم من الجولان في أي ميدان أملى عليكم ما يملأ الاوراق ويدهش القراء ولكني أوجب التلخيص الى عودتي اليها بعد اتمام المأمورية والتنقل في بعض مدائن الانكيزا لكي تكون كتابتي عليها عن تحقيق وتدقيق فانها تملك فتوادى واستوتت على لبي حتى اني فارقتها مضطرا بعد ما قضيت بها يومين وما قضيت منها وطرا موطننا النفس على الرجوع اليها واستجلاء مشاهدتها ومعاهدتها . وهل تكفون بذلك متى الآن أم تريدون أن أوافيكم بمجالة فيها نبأ له شان

أريد أن أتكلم على أحسن نصف في بني الانسان ولكني أهمية المرأة في الوجود أخاف اللوام فاسمحوا لي بالله عليكم هذه المرة بمعاودة الوجود

الكلام على المرأة وأعدكم انى لأعود وما عهدتمونى انقض  
العهود وكيف ألام على الدخول فى هذا الموضوع المخرج  
الواسع وقد كان للمرأة ولايزال لها الشأن الاول واليد الطولى فى  
الانقلابات الدولية والنظامات السياسية والترتيبات الدينية بل فى  
كل شأن من شؤون العمران وفى كل عمل من أعمال الانسان فاننا  
اذا صرفنا النظر عن أم الامهات وتصفحنا التاريخ العنام وجدنا  
لها أثرا ظاهرا وعلاما معروفا فى كل الاديان التى نزل بها الوحي  
أوزينها الوهم واخترعها الخيال وهذه الاشارة الوجيزة تكفى من له  
أقل اطلاع

ثم اذا نظرنا بوجه الاجمال الى تاريخ القدماء من مصريين  
وأشوريين ويونانيين ورومانيين وغيرهم وجدنا المرأة هى دون  
سواها سبب التقدم والارتقاء أو علة التمهقرو الانحطاط وعلى يدها  
تم تشييد الدول العظيمة أو تبديد سطوتها ومحو أثرها من الوجود  
وظلما اشتبك القتال وتفاى الابطال لاجل امرأة واحدة وكذلك  
الحال فى تاريخ الامم الحديثة . هذا أمر كان وكائن ويكون  
الى يوم تحشرون وانى أذكر لكم ما يحضرنى الآن من الشواهد  
القليلة مثال ذلك دلوكة العجوز فى التاريخ المصرى القديم  
والمرأة التى كانت سببا فى حروب تروادة الشهيرة ولوكريس

وفرجينيا في التاريخ الروماني ومثلهما تلك الغادة الكيميائية التي  
جاء في بعض الروايات انها كانت سببا في القبض على انيبال الافريقي قائد  
قرطاجه بعد ان أذاق الرومانيين من العذاب ما اذاقهم ثم رينى (Irène)  
في تاريخ بوزنطيا وتلك الحسناء الفلستينية التي احتالت على  
سمسون الجبار فأخضعتة وأوقعته في يد أعدائه بعد ان أوقع بهم  
وعجزوا كلهم عنه بمفرده وتلك الفتن التي أثار غبارها نساء داود  
عليه السلام في آخر أيامه وتوصلت احداهن بالحيلة والديسة  
(على ما جاء في التوراة) حتى ألزمته بان يجعل ابنها سليمان (عليه  
السلام) خليفة له والبسوس والزباء في تاريخ العرب وطومريس  
مملكة المساجيت التي طلب كورس ملك فارس أن يتزوج بها  
فامتنعت فأقام عليها حربا كانت عاقبتها وبالا عليه وعلى قومه  
واليصامؤسسة قرطاجة وكليوبطرة ملكة مصر الشهيرة  
ودخول العرب في الاندلس وخروجهم منه كان سببه المرأة وهذه  
خديجة وعائشة رضي الله عنهما وشجر الدر وغـ. يرهن في تاريخ  
الاسلام وقتك الرشيد بالبرامكة على ما في بعض الروايات سببه  
المرأة ولاتنس زوجة الزمخشري فانها على ما يروى عنها هي التي  
أرجعته بالبرهان الفعلي لا القولي عن القول بخلق الافعال واجنيس  
سوريل التي كانت سببا في سقوط الدولة الفرنساوية ثم حيات



دارلر راعية الغنم التي طردت جيوش الانكليز من أرض فرنسا  
والشواهد أكثر من أن أتذكرها الآن أنا وفي بلاد الانكليز  
وربما توسعت في سردها في الرحلة اذا يسر الله

وكان أحد القضاة في أوروبا كلما نيط به تحقيق واقعة جنائية  
يقول للشرطة (ابحثوا عن المرأة) وبذلك كان يصل لاكتشاف  
الحقيقة على الدوام مهما كانت وقائع الدعوى تصرف الظنون  
عن وجود أصبع للمرأة فيها ولم يكن فعله هذا من ضرور النبوة  
أو الاطلاع على ما وراء الحجاب وانما هو من قبيل الاستقراء  
والاستنتاج ومن تمام معرفة تأثير المرأة في أعمال الناس ولقد  
أحسن شاعرنا العربي اذ يقول

اذا رأيت أمورا \* منها الفؤاد تفتت

فنش علمها تجدها \* من النساء تأت

وأذكر بيتين آخرين يختصان بالمرأة لأدري أيهما الاحق بأن  
يقال عنده صدق . أذلك الذي قال

ان النساء شياطين خالقن لنا \* أعوذ بالله من شر الشياطين

ام تلك التي اجابته في الحال واجادت في المقال

ان النساء رياحين خلقن لكم \* وكلكم يشتمى شم الرياحين

أما أنا فأحكم بعد الحيرة الطويلة بارجحية القول الثاني

وليس من شيمتي ان استبد عليك لموافقتي بل أترك حرا فاختر  
لنفسك ما يحلو

ولاشك ان الفرنسيين نظروا الى كل هذه الملاحظات وما المرأة في  
يناسبها بنظر الناقد البصير والمتدبر الحكيم فأرسلوا مثلا تناقلته  
الافسواه وهو ( ان ماتريده المرأة يريد الله Ce que femme  
veut, Dieu veut. ) لذلك كان لها عندهم الكلمة النافذة  
والامر الطاع فلا يقدم الرجل منهم على أمر لا ترضاه زوجته  
ومتى أقدمت هي على عمل أو تعلقت به مشيئتها وجب عليه  
الرضى به والاقرار بوجوده وان لامندوحة عنه وهم يبالغون  
في اكرام المرأة والتأدب في حقها (ولو ظاهرا) بما يفوق الوصف  
وفي تثقيف عقلها بجميع أنواع العلوم والمعارف ( حتى التي  
لا يقدم عليها الاقوال الرجال) ولذلك نبغ منهن الكاتبات  
المحركات الشاعرات الخطيبات المصورات المشخصات المحاميات  
الطبيبات المخترعات في كل أمر ذي بال أو غير ذي بال

الى هنا أتبه قلبى للعسول عما استطرده فيه الى ما ينتظره أحاسن  
منه بعض القراء عقيب ما صدرت به الكلام من التخوف من اللوام  
وقد تعلقت آمال ذلك البعض ( اذا صح التعبير بالبعض عن  
الكل ) بان أحدهه على فسحتي في باريس يوم الاحد الرابع

أحاسن  
باريس في  
غاية بولونيا

من أغسطس بعد أن أمضيت الاحد الثمانى منه فى سان ستافانو  
بالاسكندرية والثالث فى منازة رومة وجمائلها السندسية  
ولعمري انه يحق لهم ذلك الانتظار ولا يحق لى ان يحل  
عليهم ببعض ماشاهدته اذ الاحاطة متعسرة بل متعذرة فانى  
أمضيت يوم الاثنين وصبيحة ذلك اليوم الاحد البهيج فى السؤال  
عن كثير من العلماء الذين سبقت لى بهم معرفة بالذات أو بمحض  
العلاقة الادبية ولم يسعدنى الحظ بمقابلة أحد منهم على الاطلاق  
لانهم كلهم قصدوا الخلووات طلبا للرياضة والتمتع بالسكينة  
والهواء السليم (وربما كان هربا من الهواء الاصفر وقي الله  
بلادنا منه) ولذلك أخذتني الغيرة منهم فأحبيت أن أنسبه بهم  
فى استنشاق النسيم وامتاع النواظر برؤية العيون المراض الصحاح  
ومشاهدة مافى الطبيعة والصناعة من باهى المحاسن وباهر الاطاسن  
وما هو الا ان حانت ساعة التزهة حتى علوت عربية توتمت فى  
سائقها النهم والنباهة وركب على يمينى رفيقى الاستاذ الشيخ محمد  
راشد وقلنا لسائقى العربية ان يغدوبنا الى حيث يخرج القوم  
بمحجة التزهة والرياضة وترويح الفكر وإراحة البال فأرسل الخيل  
تعدو فى شوارع منتظمة عامرة أهله حتى اذا اقتربنا من غابة  
بولونيا أخذ يسير الهويبا ونحن نتمتع النواظر برؤية الوجوه



النواضر واللحاظ الفواتر والشغور البواسم والحدود النواعم  
والقدود المياسة والصور التحيلة الى ما وراء ذلك مما هو وراء  
الوصف والبيان وقد كان منهن الخاطرات بالدلال والاعتدال  
في حال البهاء والجمال وملبوس أنغر يزيد الملاحظة بما لا يقدر  
ومشية متوازنة بحركات متجانسة ممزوجة بركة و إعجاب  
لا يصح ان تسمى بالتختر ومنهن الراكبات في العربات وبجانبهن  
أو أمامهن رجال من عائلتهن (أو غيرها) ولكنهن لا ينظرن اليهم  
ولا هم ينظرون اليهن بل كل من القريقين مشغول عن صاحبه  
(لذي تمتلكه اليد) من يسعى أمامه أو يمر بجانبه أو يعدو خلفه  
وكل واحدة من هذه الجوارى المملكات المائكات تبذل غاية  
جهدها ومنتهى فنها لكي تتجلى في مظهر أنيق رشيق يسبي  
ويصبي ثم لا تكتفي بخطف العقول والارواح بل هي فوق ذلك فتاكة  
فتانة (والفتنة أشد من القتل) ومازلنا ننتقل من منظر الى أبداع  
الى أروع الى أبهج الى أبهر حتى انبهرنا واندهشنا وضاعت  
مناصيغ أفعال التفضيل التي كنا حفظناها مثل هذه الفرصة  
وقد كل البصر وارتد الطرف حسيرا فافتكرت حينئذ أن البخار  
تكفل بتقريب المسافات فاغنانا عن استعارة أجنحة القطا  
الطيران الى موضع الحب والهوى ولكنني في عوز زائد الى كثرة

النواظر لان العينين اللتين منحهما لى البارى لاتسكفيا فى لرؤية  
هذه المناظر التى أمامى وتأسفت على كونى لم أتزود قبل الرحيل  
بشئ من العيون التى كانت تنفعنى وتنفع أصحابها فى مثل هذه  
الحال التى ليس بعدها حال ولكن لله الحمد فان الباب ما زال  
مفتوحا والامر ميسورا لاني سأرجع الى باريس وأقيم بها نحو  
من أسبوعين أو أكثر فكل من يهزه الشوق لاستجلاء هذه المحاسن  
بنفسه من غير أن يتحمل عن مجلسه فليساعدنى بما هو لازم (ع)  
ومتى انصرفت عن هذه المدينة أرجعت اليه العين بالعين  
فوجدته بما رأيت وتوكد له صدق من قال وليس الخبر كالعيان  
فلما رأيت ما رأيت من التناهى فى التبرج والبهرجة والتغالى  
فى التزويق والزبرقة والتهالك على النماكة والغندرة خطر على بالى  
انى لو كنت من قدماء اليونان الذين يعتقدون بتعدد الآهة  
لكنت أقول ان إله الجمال بالغ فى الاتقان وبذل كل ما فى وسعه  
من حسن الصنع عند ما كان مشغولا بالخليقة فى هذه البلاد  
ولكنى بفضل الله من المؤمنين الموحدىن المسلمين الذين يقولون  
تبارك الله أحسن الخالقين

وقد تذكرت حينئذ عبارة لاتينية كان القدماء يكتبونها  
على الساعات رمزاً الى انقضاء الحياة بمرور الاوقات وهذه ترجمتها

( كاهن جارحات والاخيرة تقتيلُ Vulmerant omnes, ultima necat. ) ولو كنت من الشعر بمكانة القادرين على سبكه  
والجيسدين طبعك لصغت هذا المعنى في أبيات بديعسة في الكلام  
على النساء ولكنني لأتصور انه فات شعراءنا البلغاء  
أقول الحق اني لم أستغرب بعد ذلك كله من تلف بعض  
الشبان الذين توجهوا الى أوروبا فان المجرى والمكبب والمقرب  
والمحدث والمعقد وخصوصا الشريط الذي يعقد على الخصر  
ويتطاير في الهواء من وراء الذي يسميه الباريسيات بما معناه  
( اتبعني يا فتى Suivez-moi, jeune homme ) كل ذلك يجزى الى  
الغرور من غير شعور ويهوى باهل الهوى الى - هاوية الغواية  
والشور الامن عصم ربك وهم والله الحمد كثيرون . وقد قال  
لنا سائق العربنة ان ما رأيناك ليس بالشئ الذي يذكرك لان المدينة  
الآن صفر من أهلها المقصودة بالذات وأكبر القوم كلهم في  
الخلوات

وهنا أنتقل من هذا الموضوع الى موضوع آخر له به تمام وجوب محجب  
الارتباط وهو انى من أهل المذهب القائل بعدم اطلاق الحرية  
للساء الى هذه الدرجة التي تجاوزت الاعتدال الى التطرف في الافراط  
النساء



فان المرأة بعد كل تعليم وتهذيب أراها ضعيفة ميالة أكثر من الرجل لداعي الشهوات والنفساني في الملاذ فالواجب أن تكون الحرية لهن كالمخ في الطعام فان التعليم ليس بقادر ان ينزع منهن هذه الاميال وان نزع منهن الخرافات التي يثبتنها في عقول الاطفال

أقول ذلك بمناسبة ما رأيته في ( تقويم ترويح النفوس Calendrier Amusant ) المكتوب باللغة الفرنسية عن سنة ٩٣ القادمة . قال في النهر الثاني من صحيفة ٢٣ والاول من صحيفة ٢٦ ما خلاصته : ان العلامة كستر (Kœstner) أحد أساتذة ليبسيك وصاحب التصانيف العديدة المشهورة نشر كتابا فيه ابحاث علمية دقيقة مستوفاة تكلم فيه على حركة ازدياد المواليد ونقصها في البلدان المختلفة مستندا على الارقام وقد أدته ملحوظاته وحساباته الى اثبات النتائج الآتية بحسب التعديل المتوسط وهي

ان المرأة الالمانية تخون زوجها في عرضه ٧ مرات  
والبلجيكية تخون زوجها في عرضه أيضا ست مرات وأربعة  
أخماس مرة (بحسب التعديل المتوسط) والانكليزية تخون زوجها  
خمس مرات والنمساوية أربع مرات ونصف مرة والهولندية

أربع مرات والسويدية أو الدنيمركية مرتين والاطليانية مرة  
وخمسة اسداس المرة والفرنساوية مرة واحدة والاسبانية سبعة  
ثمان المرة والبرتغالية واليونانية خمسة اسداس المرة والصرية  
والبشناقية والتي من الجبل الاسود والبلغارية ثلثي مرة والتركية  
(ويعنون بهذه اللفظة المسلمة وغير المسلمة من الشرفيات) عشر  
المرة الواحدة اه

فذا سلمنا بهذا الحساب الذي استنتجته ذلك الاستاذ الالماني رأينا  
أن في التحجب وفيما يقرب منه فائدة عظيمة في صيانة الاعراض  
وبعد ان طفنا هذا المنترة مرتين رجعنا الى فندقنا فعملنا <sup>زيارة سفير</sup>  
بكل سرور وانشرح آن دولتلو أسعد باشا سفير الدولة العلية في <sup>الدولة</sup>  
باريس حضر لزيارتنا وترك لنا ورقة الزيارة وقد كنا نوجهنا الى  
السفارة في صبيحة ذلك اليوم (الاحد) البهيج وحظينا بمقابلة دولته  
ولبتنا معه مدة انصرفنا بعدها شاكرين مالاقينا من لطفه  
وبشاشته وجميل مؤانسته ومحدثه

ثم أمضيت الليلة وأنا احلم أنى في غاية بولونيا وانه لاتصح  
مؤاخذتى على وصف مارأيته فيها الابعد أن يؤاخذ بها الدين  
العاملى على وصف النساء فى الارجوزة الشهيرة التى كتبها على  
رحلتيه فى بلج وأوردها فى أوائل الجزء الثانى من الكشكول

وبعد ان يؤخذ الكثير من فحول العلماء وأكابر الاتقياء الذين لم يأنفوا ورود هذا الروض الانف وهكذا الى ان أشرفت الغزاة فقلنا امتعنا ثم ركبنا القطار السريع قاصدين لندره عاصمة بلاد الانكليز التي لاتغرب الشمس عن ممالكها ومستعمراتها

### الرسالة التاسعة

من باريس الى لوندرة

وخلاصة وجيزة على المؤتمر

اشتهر الانكليز عند الخاص والعام بالاختصار في الكتابة والكلام على الهجوم والمقصود من غير تقديم مقدمة أو استفتاح بفتحة وسأتكلم عن أخلاقهم بالتفصيل في الرحلة وأكتفي الآن بمجاراتهم في هذا السبيل

وصف بحر  
المانش

قت من باريس الى ديب ( Dieppe ) أحد ثغور فرنسا في الشمال الغربي وركبت الباخرة وأنا مرتجف من هول بحر المانش ودواره اذ انى قرأت في كل كتب السياحة انه من أشد الابحر اضطرابا وهيجانا لانحصاره ما بين شطوط فرنسا وانكلترا واندفاع التيار فيه ولذلك كان الاوربيون بل الامريكويون أنفسهم



يعترفون بشدة هوله ويفزعون دائما من اجتيازه حتى لقد حمل  
ذلك بعض المهندسين من فرنسا على تقديم مشروع مقتضاه خرق  
نفق تحت قاع البحر تسير فيه السكة الحديد للسهولة والراحة  
وتقريب المسافة ولكن انكلترا عارضت في إنجاز هذا المشروع  
خوفا من تعدى قوة حربية بربية عليها من فرنسا فجاءة ( كما يتولى  
الفرنساويون ) . ولقد ازداد رعي حينما سألت أحد المسافرين  
وأجابني بالكثير مما قرأت وتمكن كل التمكن بعد أن أنذرتني  
القبودان أيضا باضعاف ما أفادني الاول فكاد يفعل بي الوهم  
ما يقصر عنه دوار البحر لولا اني تجللت واذ كنت مضطرا للسفر  
وليس لدى من المراكب سوى ركوب هذا المركب ولا يمكنني  
الانتظار حتى تعترف انكلترا بفائدة النفق ( كما اعترفت بفائدة  
قنال السويس فيما بعد ) فقد اعتمدت على الله وعملت بنصيحة  
بعض الخبسين الذين تعرفت بهم في باخرة البر فيادرت لتناول  
قليل من الطعام قبل قيام السفينة حتى يكون في المعدة شيء  
يقاوم تأثير الدوار باديءه فلا يقع على الامعاء مباشرة  
فجاءني الغلام وكلني بالانكليزية وكنيت قد نسبت اليه السير  
الذي كنت تعلمته قبيل سفري من القطر المصري بسبب استعمال  
الطلياني في ايطاليا والفرنساوي في فرنسا فضلا عما في رطانة

الانكليز من الصعوبة والدمدمة والهمهمة واهمال المقاطع الاخيرة  
من الكلمات فتذكرت ان احسن طعام يجيد القوم صناعته  
هو الرزيف والبقصيد (أو البكيد) بحسب رواية البعض في  
بلادنا) فذكرت اسم اللون الاول فعاد ومعه قطعتان كبيرتان  
حواليهما من الدهن سواران بل سوران وبجانهما قليل من شبه  
المرق فغست لقمته في هذا السائل ثم وضعتهما في فم فكادت  
تحدث عندي ما هو أشد من دوار البحر ودوخة الرأس واضطراب  
الامعاء لولا أن تداركت نفسي فأهويت الى فم بكية عظيمة من  
الملح والفلقل والخردل وذلك لان الانكليز يصنعون ما كلهم من  
غير ملح ويتركون تملحها للآكل بقدر ما يريد وخلاصة القول اني  
أكلت كما أكلت (لاهنياً ولا مريئاً)

وأما رفيفي فقد أثر النوم على كل شيء عملاً بما كتبه من

التجربة في بحر الروم

ثم اني سعدت على ظهر السفينة لانتع بمنظر البحر ومشاهدة  
المدينة ولوان ذلك يزيد في أعراض الدوار ولا أصف اعتدال  
الجو بهاء السماء وصفاء اللجة وجمال المدينة واجرافها العجزية  
الشامخة التي تتأطم الامواج تحت اقدامها بل أقول اني كنت  
أستغرب من تحسن الحال كلما تقدمت السفينة الى الامام وأنا

لأشعر بالاضطراب ولكن القبودان كان يقولى (بالفرنساوية)  
تربص قليلا ريثما تعارض السفينة التيار . وما زال الحال  
على هذا المنوال حتى بدت لنا شطوط انكلترا والفرح يداخلى  
قليلا قليلا الى أن دخلنا ميناء نيوهافن ( New Haven )  
بسلامة الله تعالى وحسن معونته بعد مسير أربع ساعات ونصف  
وكان عدد المسافرين ١٤٠ فى الدرجة الاولى و ٨٠ فى الثانية  
لم يؤثر الدوار الا على ستة من الستات واثنين من الخواجات وقد  
أجمع الخبيريون على ان مثل هذا اليوم لا يجىء الا فيماندر فقلت  
لعل هذا من كرامات المؤتمر أو ان أحد أصحابنا فى مصر قرأ  
لنا حزب البحر

ثم نزلنا فى المدينة فاستقبلنا أعوان الكبرك يسألوننا هل معنا  
شئ من الدخان والسجائر ثم وضعوا أمتعة المسافرين على كثرتها  
فى مخزن كبير بحسب ترتيب عددها فى التسجيل ووضعوا النمرة  
على الارض بالطباشير لكل متاع مسافر وعدد مامعه من  
الشنطات وما يتبعها لكي يتوجه كل أحد بحسب تذكرته الى  
موضع نمرة فىرى متاعه بدون أن يكون ازدحام أو اختلاط  
أوضحة أوجه فأعجبني هذا الترتيب وبعد التفطيش سار بنا

دخول  
انكلترا



القطار الى لوندرة فيما بين حقول خضراء ناضرة ومراع واسعة زاهرة

وصول لوندرة فلما وصلنا المحطة المقصودة من لوندرة في مساء ١٩ أغسطس

تلقانا عامل من بيت كوك ومعته كثير من مكاتب اخواني الذين تركتهم في مصر وصلت قبل وصولي فتنظها لي عامل كوك وقد تلوتها باشتياق زائد قبل ان انتقل خطوة واحدة وشكرت الله على هذه النصف مشاهدة مسرورا بها شاكر الله ذا كرامته على ما لهم من الفضل والعناية ثم ركبنا العربة قاصدين الفندق فاذا المدينة كبيرة ضخمة بحسبة هائلة لا يصح ان تسمى مدينة أو عاصمة بل هي قطر كبير واذا حق لي تسمية باريس (بجنة الدنيا) فلا بد لي من تسمية لوندرة موساعات العالم

وقد نزلنا في أهم فندق بأهم حي من احياء هذا القطر اعلاء اشأن الأمورية واعتبارا لمقام حكومتنا السنية وهو المعروف بـ (ألبارل هوتيل) وهو من الطبقة الاولى ولا ينزل به أحد من المسافرين الا بتوصية أوتقديم وكان نزلا لاعضاء العائلات الملوكية الذين جاؤا الى هذه الديار وقد كان النور الكهربائي فيه طوع بناني طول الليل وطول النهار وان البراع عاجز عن

وصف ما عليه الفندق ولكني أقول ان بذل الدنانير الوافرة أجرة  
للتزول فيه كبذل الدراهم في غيره وسأصفه بما في المقدور في  
الرحلة ان شاء الله تعالى

وفي صباح النهار نزلنا الى قاعة الاستقبال فرأينا ثلاثة من بعض زيارات  
أبناء بلدنا قد حضروا للسلام علينا وكنا لا نتوقع ان أحدا يعرف  
مكثنا في تلك الساعة فحصل لنا برؤيتهم ومكالمتهم مزيد السرور  
وهم من التسلامدة الذين أرسلتهم الحكومة الخديوية للتعلم  
في بلاد الانكليز

ثم حضر لزيارتنا في الفندق سعادة الجنرال السير غرنفل باشا  
سردار الجيش المصرى سابقا فاستقبلنا سعادتة بواجب الاحترام  
اللائق بمكانته من الفضل والعلم وهو الذى ساعدنا في مأموريتنا  
هذه كما سيمر على نظر القارئ ثم حضر لنا رفيقنا الثالث وهو  
الدكتور فوللرس وقد رددنا له الزيارة بعد ذلك

فلما جاء يوم افتتاح المؤتمر أرسل لنا سعادة سردارنا أعمال المؤتمر  
السابق عبرته لتقلنا الى محل الاجتماع فلما وصلناه رأيناه <sup>بغاية</sup> الأبحار  
يوج بالناس ولا يجهل القارئ ان جميع من يضمه المكان هو  
من مشاهير العلماء وشخبة الفضلاء من كل أمة ولم يحضر المؤتمر

أحد من العائلات الملوكية بل كلهم اعتذروا برسائل برفيعة  
وغير برفيعة

وأفتتح حضرة الرئيس الاستاذ مكس ملر أعمال المؤتمر  
بخطبة قد كانوا طبعوها في ٦٣ صحيفة ووزعوها علينا وكلها  
غرر ودرر وربما نخصتها في الرحلة أما الرئاسة الادارية فقد كانت  
في يد اللورد نورثبروك (الذي كان حاكما على الهند وقد جاء مصر  
من زمن غير بعيد) ولاحظ الجميع ان الوقت المقرر قد مضى ولم  
يتم العمل المحدد في البيان الرسمي ليوم الافتتاح بل انه لم يتكلم  
أحد غير الرئيس وآخر اثنى عليه وثالث تكلم بالظلمانية وعلى  
ذلك انقضت الجلسة الافتتاحية وفي المساء كانت مأدبة اللورد  
نورثبروك لاربعة وعشرين مدعوا من أهل المؤتمر لم يكن بينهم شرقي  
غيري وقد أجلسوني على المائدة والى يميني الدكتور بوهرلر  
وهو من أشهر مشاهير العلماء في أوروبا والى يساري السير غرنفل باشا  
وكانت المأدبة أشبه شئ بما آدب الملوك على ما سمعت لا ما عرفت  
وفي الايام التالية كانت الاقسام تشتغل بمباحثها وفي جلستها  
الفرع الثاني من القسم الثاني انخاص بالساميات الذي كنا فيه  
فلما جاء دورنا تكلم الدكتور فولرس على رسالة كتبها في الاصوات  
العربية مستندا على مارواه ابن يعيش شارح المفصل وما جاء به سيبويه



التحوى ثم تلوته بالفرنساوية مبينا إجمال مافى الرسائل التى قدمتها  
للمؤتمر ثم قام حضرة الاستاذ الشيخ محمد راشد وتكلم على رسالته  
التى كتبها فى الكلام الدارج بمصر القاهرة وأورد كثيرا من أرجال  
العوام والحائهم وموشحاتهم وموالياتهم وأدوارهم ثم قدم شرحا  
مطولا كتبه على خطبة مقامات الحريرى

وفى اليوم الرابع عينوا لجنة دولية للنظر فى شؤون المؤتمر  
الآتى والاقرار على وقت انعقاده ومحلّه وتعينت فيها عضوا  
نائباً عن الديار المصرية وكان الحاضرون ٢٥ بما فيهم الرئيس  
فعلت الخطبات الواردة بهذا الصدودارت المذاكرة على  
تعيين وقت انعقاد المؤتمر الآتى فقال الكونز داجوبيرانتى  
مندوب ايطاليا ان اللازم عقده بعد ثلاث سنوات حتى يتيسر  
للعلماء فى خلال هذه المدة أن يحضروا مباحث يقدمونها فيه  
فقلت حينئذ (ان القاعدة التى تقررت فى أول الامر لاجل عقد  
المؤتمر كل ثلاث سنوات انما كانت لقلّة المستشرقين وأما الآن فقد  
انتشروا حتى كان لهم من أمريكا مشاركون كثيرون والواجب  
علينا أن نوجد لهم فرصا كثيرة يعرضون فيها أعمالهم لئلا يزداد  
الشقاق بين أجزاء هذه الجمعية فتضيع القاعدة الأولى بالكلية  
وتذهب ثمرات هذا الجمع ادراج الرياح وبصر علماء كل دولة على

عقد مؤتمر في عاصمتها كل عام أو عامين فيتفرق العمل شذرمذرم  
ولهذا فاني بمناسبة الشقاق الحاصل الآن في لاسمبون أرى وجوب  
الاقرار على عقد المؤتمر في سنة ٩٤ أي بعد سنتين فقط)  
فطرح الرئيس هذين الرأيين على الاعضاء وحسبت الاصوات  
فاذا هي متساوية في كل فريق ١٣ عضوا وبقى الترجيح له  
فأطال الامعان ثم انحاز الى رأينا وتقرر الاجتماع في سنة ٩٤ ثم  
تقرر أن يكون من كزه مدينة جنيفا (جنوبه) ببلاد السويسره  
ثم تقدم مشروع خاص بتنظيم أعمال المؤتمرات في المستقبل  
وجعلها تسير على وتيرة واحدة فتقرر بعد بعض تعديلات

ولما حل اليوم المحدد لانفضاض المؤتمر اجتمع فيه خلق  
أقل من الذين حضروا يوم الافتتاح ودارت المذاكرة على ماقرنه  
اللجنة الدولية التي سبقت الاشارة اليها ثم أعلنوا بالاختتام

وفي المساء توجهنا الى مأدبة أعدتها لجنة تنظيم المؤتمر لجميع  
الاعضاء في قاعة (هوتيل متروبول) وهو من أكبر فنادق لوندن وكان  
عدد الحاضرين فيها ٣٠٠ مدعو وكان السير غرنفل باشا على يميني  
والاستاذ الفاضل الشيخ محمد راشد على شمالي ولا يخطيء من  
يشبه هذه الحفلة ببرج بابل من حيث اختلاف الالسنه الا أنها  
بالغة في الكمال والاتقان جمعت أصنافا كثيرة من بني آدم ولغات

متخالفه تكلم بها القوم الواحد بعد الآخر وقال رفيق شياً  
يناسب المقام ثم تكلمت بالعربية حسب مقتضى الحال واعلم  
انه لكبر هذه المدينة واتساعها لم يظهر فيها أثر ما لانعقاد  
مؤتمر المستشرقين فيها بل ولا أقل أثر لمؤتمرات غيره كانت منعقدة  
في الوقت الذي انعقد مؤتمرنا فيه وهي مؤتمر للعملة (بفتح الميم)  
ومؤتمر للعامل وثالث للصحة وكل هذه منزوية في غضون جوف  
هذه المدينة التي تسمى في كتب العرب (لندرس) كما يسمون  
عاصمة فرنسا (بريس) وأما اسمها في لغة أهلها فهو لندن ولكن  
الفرنساويين يسمونها (Londres) ويضعون في آخرها سينا  
لا ينطق بها فاذا أرادوا النسبة اليها رجعوا للاصل اللاتيني الذي  
يقرب من اللفظ الانكليزي فقالوا لندنيان (Londonnien)

وفي الاسبوع الذي كان المؤتمر منعقد فيه (من ٥ الى ١٢

سبتمبر) دعينا لما آدب كثيرة ونزه مفيدة للجسم والفكر  
يسمونها رياضة رياضية وبلغتهم جاردن پارتي (Garden  
party) لكنهم ينطقون بها جادن پارتي بجيم وألف مفخمتين  
ونون لا تكاد تظهر وكذلك الباء الفارسية والالف في التفتيح  
والتاء والياء في عدم الظهور (فهذا درس من اللسان الانكليزي  
وان كنت لأعرف منه الآن الا قليلا) ولا أذكر من هذه



الرياضات الرياضية في هذا المقام سوى مأدبة أعدها لنا اللورد امهرست (وهو غير الذي كان حاكما على بلاد الهند) فقد دعانا في يوم ١٣ سبتمبر الى قصره الكائن على مسافة أربع ساعات من لوندرة فركبنا القطار وزاننا عند وصولنا في عربات فاخرة أرسلها لثارب الضيافة ومنزله أشبه شئ بمدينة عامرة فيها الرياض الغناء ومن ألطف ما يروق النظر فيها أما كن أعدها للعب فسيحة الارعاء مفروشة بالاعشاب الطبيعية وفيها الغابات والبحيرات لصيد الطيور والاسماك ومعمل للغاز وآخر للكهربائية وآخر لاصطناع العربات وترميم آلات الزراعة وخزانة للاسلحة وغير ذلك مما يدل على الحضارة و ضخامة الثروة واصالتها وأذكر انه جمع في روضته هذه كثيرا من الاشجار النادرة الغربية من أقاصى المشرق والمغرب وله عناية بالازهار والفواكه فوق العقل وقد رأيت عنده صنفا من العنب كبير الحجم لذيد الطعم أبيض اللون وله خاصية الرائحة الذكية فيضوع أريجه عند أكله

وقد اصطنع فيه زهرية على مثال بستان الازهار الذى كان فى قصر الحمراء بغرناطة أيام دولة عرب الاندلس وشكلها آخذ بالبصيرمجة ورونقا

أما داخل القصر فحدث عنه ولا حرج وقل ما شئت ففيه دار  
تحف مصرية وبابلية وعمومية ولاجل أن يتصور القارئ مقدار  
التحف التي فيه وعظيم أهميتها أقول أنه يوجد لديه ١٣ صندوقا  
كبيرا كلها مشحونة بآثار مستخرجة فقط من تل العمارنة في ديارنا  
قريبا من ملوى بمديرية أسيوط وهو ينظر الآن في بناء محل متسع  
لعرض هذه الآثار فيه وأما المكتبة فهي كبيرة جدا وفيها نسخ  
كثيرة بخط اليد من المصاحف الشريفة وكثير من الكتب العربية  
والفارسية والهندية مما له قيمة وذلك عدا الكتب الأخرنجية  
المنسوخة بخط اليد المحلاة بالصور والرسوم البالغة حد الاتقان  
والكتب التي كانت باسكورة اختراع المطبعة في أوروبا وفي  
انكلترة وهي الآن نادرة الوجود ولما توجد في المكتبات  
العمومية التي من الدرجة الأولى وأحسن شيء رأيناه نسق وضعها  
وترتيبها المدهش للعقول وقد أعدت للكتب النادرة المتال خزائن  
من الحديد خشبية عليها من الحريق اذا شئت الناروان كان  
محفظا على جميعها كما ينبغي

وفي المنزل غرفة ورقها من الجلد الأندلسي القديم وعليه  
أشكال ورسوم صورها احد المعلمين النابغين وأما الاواني والفرش  
والاثاث والاستعداد وكثرة الرسوم والطيور والحيوانات المصبرة

فذلك مما لاحد لوصفه ولا تسلب بعد هذا عن بقية قاعات النوم  
والجلوس والاكل وما تحتوى عليه من الاثاث والنور والاشكال  
والاوضاع فكله من وراء مقعد دور البراع وصفه وفي الدار كلها  
اسطوانات عليها اعلانات تفصيلية بكيفية استعمالها بالسهولة  
لايجاد النار اذا شئت في أى مكان وخلاصة القول انه اذا كان في  
الدنيا نعيم فهو في منزل هذا الرجل

أما دمانه أخلاق حضرة اللورد وحسن معاملته لنا هو  
وزوجته وبناته الست فذلك بمقدار ثروتهم وحضارتهم وقد  
أحرزوا من شكرنا لهم بمقدار ما كان لهم من مكارم الاخلاق  
ومن بناته ثلاث أو اثنتان جئن مصر واللباني لم يزرنها ولو كنهن  
يقرأن الحروف العربية ويقدرن على كتابة بعض الكلمات  
بخلاف اخواتهن الأخرى وقد كان بود هذه العائلة الكريمة  
ان تبقىنا عندها أياما كثيرة ولكنا اعتذرنا لان حضرة الشيخ كان  
لابد من رجوعه الى مصر في يوم ١٦ سبتمبر فودعناهم بعد  
ان أخذت احدى كرىماته صورتنا بالتقوغراف وبعد  
ان استكثبونا أسماءنا بالعربية والافرنجية

أما نزهتنا في لوندرة فلا أتكلم عليها الان وانما أذكر اني  
شفت الغليل برؤية شبيه مدينة البندقية في احدى ضواحيها



وهو محل متسع فيه تيار ورحب وفيه مهمل للزجاج يشبه معامل  
البندقية وفيه شوارع مائية ومراكب ومراكبية تمثل للانسان  
مدينة البندقية بالتمام

فحمدت الله على هذه الفرصة الذي جعلت لي فكرة على  
هذه المدينة المائية حتى كأني شاهدتها بالعين فما لا يدركه  
لا يتبرك كما

وقد توجهنا في يوم من الايام الى معرض التاريخ الطبيعي  
البريطاني وكان مرشدنا فيه حضرة وطنينا الفاضل المنفرد  
بالشهرة في هذا الفن الدكتور عثمان بك غالب فاستفدنا من  
دقائق المعرض وحقائقه أشياء كثيرة وأقول الآن ان الحكومة  
تنفق عليه وحده في السنة خمسمائة ألف جنيه انكليزي وقد  
كان في الاول فرعا من المتحف البريطاني فلما اتسع نطاقه  
وازدادت معروضاته نقلوه الى هذا المكان المخصوص وهو في غاية  
الترتيب ونهاية الكمال

## الرسالة العاشرة

### لوندرة

بودى لويتيسرلى أن أكتب الآن ولو كلمتين على هذه  
المدينة بل على هذا القطر الواسع الذى يسمونه لوندرة ولكنى  
أقف امام هذا الموضوع الهائل شبيها بالتملة بجانب مسجد  
السلطان حسن أو كالزورق الصغير فى البحر المحيط تتلاعب به  
الامواج وأنى له أن يهتدى الى بر السلامة فعلى م أكتب وماذا  
أصف وفيه أخوض فلقد اشتملت متاجرها على جميع أصناف  
العالم ومحصولاته كما ان بضائعها ومعاملها بلغت من الاتساع  
والاتفان فوق ما يتصوره الادراك حتى إن مجرد الدخان الذى  
ينبعث منها الى سمائها يتحد مع ضبابها ويزيد فى تكدير جوها  
ثم يتساقط على مبانيها وعمارتها وتماثيلها وانصابها فيجعل منظرها  
أسود قائما كثيبا محزنا تنقبض منه النفوس ويذهب بالانشراح  
ادراج الرياح وفيها من الاقبال على الشؤون واغتنام الفرص ومعرفة  
قيمة الوقت ما يحير الافكار ويهز الابصار ورجال الشرطة فيها  
بلغوا من الانتظام وحسن الدراية وكمال الدربة ومعرفة الواجبات  
ملايكاد يضاهيهم فيه غيرهم فى الكون بأسره حتى صار لهم مهابة

عظمة لوندرة  
وجسامتها

في النفوس وسيطرة حقيقية على كافة الافراد بحيث ان أقل اشارة  
منهم تكفي لمنع أى خلل أو اضطراب

أما استمرار الحركة في شوارعها فما لا يتصوره الانسان حركة لوندرة  
الابعد المناظرة بالعيان فانها في أقل الايام (ماعداد يوم الاحد)  
تشبه يوم مهرجان النيل أو ليلة احتفال الاجسام في العاشر من  
محرم الحرام أو موسم المولد النبوي أو الاجدى فترى العربات  
العمومية ذوات العجلتين وذوات الاربع تتقاطر وراء بعضها  
وبجانها عربات الاومنيبوس شبيهة بالمنازل والدور كسلسلة  
متصلة الاطراف والناس يتبع بعضهم بعضا كأنهم يساقون الى  
المحشر الى غير ذلك مما يقتضى التعريف به أن تظهر الحقيقة  
فوق الاغراق والغلو في المبالغة ولكنى لا يصح لى أن أعتذر  
بتعذر الاحاطة باطراف هذا الموضوع عن كتابة ما شعر به الوجدان  
وتأثر به الجنان وانى أحاول ذ كر قليل مما تسرى الوقوف عليه  
من الاجاليات ومن أمور شتى ومنشورات متنوعة تصور للقارئ  
بعضا من كل من جسامه هذه المدينة العظيمة واتساع نطاقها  
وامتداد أعمالها وكيفية الحركة فيها

فأقول شئ يؤثر على عقل القادم اليها ما يراه فيها من حركة  
الوابورات وسرعة مسيرها وكثرة عددها وتنوع اتجاهاتها واختلاف  
واورات لوندرة



أوضاعها في الارتفاع والانخفاض حتى يكاد يعتبره دوار في الرأس  
يشبه دوخة البحر ويدخله خوف شديد من امكان حصول  
الاصطدام في كل لحظة أو خروج القطار عن الشريط في كل  
خطوة حتى اذا وصل المحطة زادت الدهشة مما يراه فيها من الاتساع  
وكثرة الارصفة وحسامة المباني وتعدد صنوف المنحلوقات وتناهي  
صفوف العربات مما يضيع اللب ويذهب بالرشاد ثم متى دخل  
في شوارعها وسار في طرقاتها ومسالكها بهت وبلغ الاضطراب  
منه منتهاه

ومهما وصفت ومهما شرحت ومهما بالغت فاني لا أبلغ  
عشر معشار الحقيقة ولذلك رأيت ان الطريقة المثلى هي أن  
أكتفي الآن بذكر بعض أمور متفرقة تجعل للقارئ فكرة صغيرة  
من عظمة هذه المدينة الكبيرة

ولكني أقول قبل ذلك ان الشركات والجمعيات وما بينها  
من المزاج الممدوحة والمناظرة المحموده هي روح هذه الحركة  
وأس هذا الارتقاء فهما نظر الانسان الى أي عمل من الاعمال  
راه في يد شركة من الشركات وليس للحكومة دخل في شيء ماسوى  
المراقبة العالية التي تجعل الجمهور في أمان من اغتيال هذه  
الشركات وفيما عدا ذلك فان الامة فائمة بنفسها مكتة في طلب

فوائد  
الشركات

المكاسب والمعالي بما يفيدها ويرفع شأن دولتها من غير أن تتنازل  
وتقد يدها لامداد الحكومة ماديا أو معونتها معنويا حتى ان  
الانسان ليتساءل بعد ما يراه من تنوع الشركات وتناولها كل شأن  
من شؤون العقليات والمحسوسات كيف ان مثل البوستة  
والتلغراف والكمرك والدخاوية والبوايس والجيش ليس في يد  
الشركات نعم فقد كانت البوستة والتلغراف خاضعين لهذا القانون  
العام في هذه البلاد بلاد التعاضد على الاعمال والتباعد عن  
الانحول والاهمال ومعرفة ثمرات الاجتهاد والاتحاد والاقتدار على  
انماء المال ولقد كان فتح الهند كما لا يخفى واضافتها للدولة  
الانكليزية على يد شركة تجارية

وذلك لان أفراد الامة البريطانية يرون أنهم لم يخلقوا الالعمل  
والاكتساب ولقد بلغت محبة الاستقلال فيهم مبالغا لا يكاد  
يتصوره العقل حتى ان بعض البنات في العائلات الكبيرة تذهب  
للرسم والتصوير أو التطريز والتدبيج أو التعليم والتدريس  
لتكتسب بنفسها ولا تكون كالأولى عواتق أهلها مع ما هم  
فيه من الثروة والرفاهية ومنهن من يؤثرن التغرب في بلاد الهند  
واستراليا وكندا بصفة وصائف أولى من البقاء في منازلهن  
خاليات من العمل منغمسات في البطالة والكسل وذلك شأن الشبان

باجتهاد  
الأفراد  
المجموع

أيضا حتى لقد جاء في أمثالهم أنه (لاشئ يفلح مثل الفلاح)  
وذلك يشبه المثل الفرنسي (الغاية تبرر الوسطة) وهم يعتبرون  
الفقر عيبا بخلاف سائر الأمم ولذلك يشتغلون كلهم مثل النحل  
ولو كان الرجل منهم ابن غني يملك القناطر المقتنطرة فلا بد له من  
التكسب بعرق جبينه

استثثار  
الانكليزي  
كل شيء

وحيهم لوطنهم ولا انفسهم ولا بناء جنسهم أمر لا يكيف  
مثال ذلك أن الرجل منهم اذا كان يعرف لغة غير لغته الاصلية  
فلا يتكلم بها الا عند الضرورة القصوى واذا رأى منك أنك  
تعرف من الانكليزية مبادئها أخذ يحاطبك بها ويحتمد في  
منعك من مكالمته باللغة المشتركة بينك وبينه لانها غير انكليزية  
وكذلك السكة فلا يتعاملون بغير العملة الاهلية مطلقا ومثلها  
المقاييس والمكاييل والاوزان ومع ان العقلاء منهم يعترفون  
بأفضلية الطريقة الاعشارية لكنهم لا يزالون متمسكين بطرائقهم  
المتعددة المتخالفة التي ليست على أساس ثابت ومثال ذلك أنك  
اذا توجهت لاي مخزن وطلبت صنفا أو محصولا مما اشتهرت  
بعض البلاد الاجنبية بصناعته واثقانه فان رب الخانوت يجيبك  
بأنه موجود عنده ولكنه ينصحك نصحا مكررا بأخذ الصنف  
الانكليزي قائلا لك انه أجود وأفضل من جميع الوجوه



وهذا الموضوع يجزئ الى الاستطراد بكلمة واحدة على  
الوطنية في بلاد أوروبا التي أتيج لى زيارتها الى الان وهى  
ايطاليا وفرنسا وانكلترا فهى التى جعلت هذه البلاد ذات سطوة  
عظيمة وبأس شديد فانهم ينظرون الى من يخدم الوطن باعتبار  
أعماله العمومية المفيدة للبلاد ويجأون ذكره على الدوام من غير  
أن ينظروا مطلقا الى أعماله الشخصية وأموره الداخلية ومهما  
كان فيها من موجبات الانتقاد فان ذلك لا يمنعهم من اعتباره  
واحترامه ورفع صيته الى أعلى عليين ألا ترى ان (غاربالدى) الذى  
يهتز لاسمه قلب كل وطنى طليانى قد خدم الدولة الطليانية وأوجد  
وحدثها فأحلها أهل بلاده المحل الاول من الاعزاز والاعظام ولم  
يلتفتوا الى ماتناقله بعضهم عنه من الاعمال المنكرة التى ارتكبها  
زوجته الفتاة وقد اتخذها بعد ان صار طاعنا فى السن ومثال ذلك  
غامبتا رجل الجمهورية الفرنسية فان قصته مع عشيقته معروفة  
وهى التى أطلقت عليه الرصاص فنقلته الى غير هذه الدار ومع  
ذلك فهو موضوع الاعجاب عند الفرنسيين يلهجون بذكره  
ويتمدحون بما آثره ويحتجون بأقواله ويستشهدون بأعماله وقد  
أقاموا له فى أعظم نقطة من باريس حيث كان قصر الامبراطور  
جهة ميدان الكاروسل تمثالاً فخيماً رفيعاً كتب الاهلون

لإقامته على أنخر مثال وهم يأتون لزيارته من كل أنحاء فرنسا  
يضعون عليه الاكاليل والتيجان

وأما لوندرة ففيها تمثال أمير البحر (الاميرال نلسن) الذي كسر  
الدونامة الفرنسية وتعبها في كل البحار وفاز بالانتصار في وفاته  
وخصوصا في الجهة من الاندلس المعروفة في كتب العرب باسم طرف  
الاجر (التي حرفها الافرنج الى ترافالجار Trafalgar وقد خبط أصحابنا  
المترجون في نقلها الى العربية فقالوا ترافالجار أو طرف الغار)  
فقد أقاموا تمثالا فاحرا على عمود شامخ يشرف على كل مباني  
لوندرة ونظروا الى ما كتسبه منه الوطن ولم يلتفتوا بأى وجه الى  
علاقته السرية مع امرأة أخرى ( كان لها بعل فيما بلغني)  
حتى انه حينما أدركته الوفاة أثناء الواقعة البحرية في طرف  
الاجر كان أول شيء اهتم به هو السؤال عن نتيجة القتال فلما  
بلغه ان النصر لدولته سكر بخمرة الفوز وهو في سكرات الموت  
ولم يلتفت بعد ذلك لشيء سوى انه أوصى باعطاء سيده ووشاحه  
الى خليلته

ولقد يذكرني ذلك بالملكة كاترينة امبراطورة روسيا فان  
التاريخ ينبئنا بأنها كان لها محبون معلومون ولهم مرتبات  
وعلوفات رسمية بهذه الصفة في ميزانية الحكومة حتى انها لبست

الحداد رسميا بعد وفاة أجهم اليها مدة سنتين ومع ذلك فلا يزال  
الروس يفتخرون بها ويعجبون ذكرها لان دولتهم في أيامها  
وباجتهادها بلغت من التقدم وعلو المكانة ما جعل لها جانباً مهيبة  
في أعين الدول الاخرى

فهكذا يكون حب الوطن وهكذا يكون السعي في تشجيع  
الفضلاء على خدمته فان النظر الى السفاسف وتعقب الهنوات  
التي لا يترتب عليها ضرر للامة والوطن لا يكون من ورائه الا إهباط  
العزائم وتبسيط الهمم فتخدم القرائح النسيبة وتنطفي الافكار الوفاة  
ويقدم المجتهدون وأصحاب الاماني عن الكدوراء المعالي ولا يصيب  
الوطن من ذلك الا خسران رجال ربما كان له من وراء أعمالهم  
فائدة جليلة

ولقد ساقني الكلام على وطنية الانكليز الى هذا الاستطراد  
فأسأل القراء عفووا لاني أرى نفسي وجوارحي وقلبي وفكري  
تندفع بالرغم عني الى ذكر شيء من هذا القبيل عسى أن يكون  
له صدى في بلادنا فيكون من ورائه النفع العميم

وأرجع الآن الى الكلام على لوندرة التي يتعسر على احصائيات  
الانسان أن يقول أين مبدؤها وأين منتهائها ومن المحتمل انه لم  
يتفق لا أحد أنه رأها كلها وان ذلك لان يتفق في الاستقبال لما يستوجب  
لوندرة ناطقة بحجامة لوندرة



المشروع من الصعوبة والانتعاب والحيرة والاضطراب فان  
مسطحها ٣٥٠ كيلومترا مربعا من غير ضواحيها وارباضها  
وقدّروا أطول دائرتها ٩٠ كيلومترا وان طولها من الشرق الى  
الغرب ٢٥ كيلومترا ومن الشمال الى الجنوب ٢١ كيلومترا  
وطول طرفها ١٥٠٠ ميل وطول بالوعاتها ومصارفها ٢٠٠٠ ميل وكان  
عدد سكانها في أول هذا القرن أي سنة ١٨٠١ عبارة عن ٨٦٤٠٢٣  
نفسا وفي سنة ١٨٢١ صاروا ١٢٢٧٥٩٠ ولما جاءت سنة  
١٨٧١ بلغوا ٣٢٥٤٢٦٠ يسكنون في ٤١٧٧٦٧ دارا وفي  
سنة ١٨٨١ أثبت الاحصاء الرسمي أنهم ٣٨١٤٥٧٠ بمافي  
ذلك الضواحي المتصلة بها تمام الاتصال ويتضح من التقرير  
الابتدائي عن حركة السكان في سنة ١٨٩١ ان عددهم في شهر  
ابريل من تلك السنة كان ٥٦٣٣٣٣٢ وعدد المنازل ٧٩٧٦٧٩  
وعدد الاغراب المتوطنين بها ١٥٥٠٠٠ ولها وحدها في مجلس  
البرلمان ٥٨ عضوا ينوبون عنها

وسائط النقل ولكنك اذا نظرت الى ذلك الاتساع الهائل وتلك المسافات  
المتباعدة الشاسعة تراها معدومة وكأنها لم تكن فان المدينة  
قرية الاطراف لسهولة التنقل وكثرة الوسائط من كل نوع ففيها  
أكثر من ١٥٠٠٠ عربة بعجلتين وحصان واحد والساائق من

خلف (واسمها هنسم وهي مثل عربات الاوتيل كوتيفنتال في القاهرة) أو بربع عجلات وحصانين لركوب هذه الخلائق المتزاجمة أما عربات الامنيوس فلا تقل عن ٢٥٠٠ عربية تسير في ٢٠٠ خط متميزة عن بعضها وقد انشأتها شركات متعددة وقد بلغ عدد الركاب في عربات احدى هذه الشركات (وقدرها ٨٦٠ عربية) ٦٠ مليوناً من النفوس في سنة ١٨٨٢ وفي كل عربية منها ٢٦ مقعداً ١٢ في الداخل و ١٤ على ظهرها وفي أكثرها زيادة على ذلك مكانان بجانب السائق وفي ضواحي المدينة وبعض جهاتها عربات الترامواي التي تجرها الخيل على قضبان حديدية وهي لاربع شركات ولا يمكن ادخالها في المدينة لكثرة الازدحام فان المقرران عربتين تسيران الى الامام وعربتين الى الخلف وقلما تكون جهة من الشارع خالية من الاربع عربات

وقد أحدثت سكة حديد العائمة (التي تسير تحت الارض) عربات الامنيوس توصل بين المحاط وبعضها وتميز عن عربات الامنيوس الاخرى بان السائق تكون فوق رأسه مظلة كبيرة عليها اسم الشركة ويجوز لكل انسان صادفها في طريقه ان يركب فيها

وفيهما أيضا عربات تسمى (ماى كوش) تسير بالسواحين  
والمتفرجين الى بعض مدائن النهضة القريية

وفيهما شركة تتكف بحمل الامتعة والرزم والطرود التي  
لا يتجاوز وزنها ١٠٠ رطل الى أية جهة من جهات لوندرة  
وضواحيها ولها أكثر من ١٢٠٠ مكتب فرعى متوزعة في كل  
أشحاء المدينة وعن النقل زهيد جدا وقد تأسست شركة أخرى  
لنقل البالات مثل بالات الاقطان والبراميل بأنواعها والبضائع  
الكبيرة الحجم وأهم هذه الشركات فيها ٧٠٠٠ مستخدم  
و ١٠٠٠٠ حصان وهنا أقول ان سائقي العربات في لوندرة  
يفوقون في صناعتهم جميع أمثالهم في سائر أنحاء الارض

وهناك أيضا شركة خيرية تآلفت لمساعدة العساكر البرية  
والبحرية الذين قضاوا مدة الخدمة فانها تكلفهم وتقوم  
باحتياجاتهم وتستخدمهم في نقل الرزم والطرود الصغيرة باجرة  
لا تتجاوز ١٥ مليما بحسب بعد المسافة ونقل الحمل

ويوجد بها شركات لها زوارق بخارية كثيرة العدد تجرى  
في نهر التيمس على الدوام لنقل هذه الجماهير المجهرة من مكان  
الى مكان وهى في البحر بمثابة عربات الامنيوس في البر ويجوز  
للراكب فيها ان ينقل من الواحد للآخر بحسب الجهة التي



يقصدها من غير زيادة في الاجرة وهي لاتتجاوز ١٥ ملليها وتقوم  
المركب كل خمس دقائق ويوجد شركات أخرى لها بواخر تسيير  
بين لوندرة والجهات التي على نهر التيمس وتقوم كل ربع ساعة  
وكل نصف ساعة (ماعددا أيام الشتاء) وفوق ذلك على النهر  
مراكب كثيرة بالقلاع والمقازيف يؤجرها الناس للفسحة على  
الماء أو للتنقل من جهة الى أخرى ويوجد مراكب بخارية  
انشأتها بعض الشركات للسفر من لوندرة الى جميع موانئ انكلترا  
واسكتلندة وارلندة بل ولفرنسا والجهات الأخرى من قارة  
أوروبا هذا بصرف النظر عن المراكب البخارية التجارية  
الكبيرة التي تخترق جميع البحار

وفي لوندرة أكثر من ٥٦٨ محطة للسكة الحديدية أقل  
واحدة منها (حتى التي تحت الأرض) أكثر من محطة مصر  
القاهرة الحالية اتساعا وحركة وعملا ومنها مايساوى محطة مصر  
والاسكندرية وطنظا ثلاث مرات في ثلاث مرات وقد يمر في  
بعضها (مثل محطة كلايهام) أكثر من ١٤٠٠ قطار من غير  
احتماب قطارات البضاعة (وأنت ترى من هنا كم ينبغى أن  
يكون مقدارها في بلدة تجارية صناعية مثل لوندرة)  
وفي سنة ١٨٨١ نقلت سكة حديد العاصمة وكلها تحت

الارض ١١٠ مليون من الركاب بالتمام وقد ازداد هذا العدد  
الآن زيادة كلية

وصف  
القطارات  
بلوندره  
ثم ان القطارات كثيرة جدا وسريعة للغاية والعربات مفروشة  
بكل عناية واتقان حتى ان عربات الدرجة الثالثة هي أحسن  
بكثير من عربات الدرجة الثانية عندنا ولا يمكن ان يمر على الانسان  
لحظة واحدة وهو في القطر من غير أن يرى قطرين أو ثلاثة  
تحت اقدامه ومنها بجانبه ومنها فوقه بقليل ومنها يجزى  
على القناطر والجسور ومنها بمحذاته ذات اليمين ومنها الى  
جانب اليسار وهكذا مما يحدث الخيال وذلك كله نتيجة المزاج  
ومرارة المناظرة فان الذي يريد أن يتوجه من لوندره الى مانشستر  
مثلا يجد أمامه خمسة طرق مختلفة في يد شركات مختلفة وكل  
واحدة منها تجتهد في ان تضمن للمسافر من المزايا والفوائد والتسهيلات  
ما يجعله يقبل عليها دون سواها حتى ان الطوالات الخشب  
المستعملة في الدرجة الثالثة أصبحت لا وجود لها بالكلية وقد تكون  
عربات الدرجة الثالثة في قطرات الاكسبريس كما ان بعض  
القطرات لا توجد فيها إلا الثانية وفي بعضها (وهي السريعة) لا ترى  
الا الاولى

ولا يمكن أن يمضي على الانسان اذا وقف في مكانه ثلاث

دقائق من غير أن يمر عليه ما يريده من عربات الامنيوس أو القطرات أو الزوارق البخارية أو غير ذلك فأصبحت المسافة في هذا البلد الطويل العريض معدومة والابعاد متقاربة لسرعة وسائل النقل وكثرتها وسهولتها وتيسرها

وختلاصة القول ان تعدد الشركات ومنافستها لبعضها التنافس الممدوح يجعل الانسان مهما قلب ناظره في أية جهة من جهات المدينة على وجه الارض أو تحت الارض أو في الجو فوق أسطح المنازل يرى عددا هائلا من القطرات البخارية منها ما يرفع عقيرته الى عنان السماء ومنها ما يكتم نفسه في جوف الارض ويكتفي بالانين

ومن تأمل في حركة هذه القطرات التي لا ينقطع دويها كلها  
مركبة من ٢٠ أو ٣٠ عربة كبيرة وكلها مشحونة ببني آدم  
ثم نظر الى الزوارق البخارية والى سواربها التي تجعل النهر كغابة  
بالغصة في الاتساع ثم نظر الى عربات الامنيوس وهي تجدد في  
السير وليس بها مقعد خال ثم نظر الى حركة الشوارع وما فيها  
من المركبات المختلفة المقادير والاجسام والاشكال والانواع  
وكلها غاصصة بالناس وبالضائع ثم نظر الى جانبي الطريق ورأى  
الاقوام تتور وتزوج كالسيل المنهمر الذي لا يصدده عائق فلا

تشخيص  
حركة لوندون



شك أن يعثره اضطراب واندهاش وتأخذ هذه الحيرة والاختبال  
ويحكم بان هذه المدينة كقرية النمل وليس لها من هذا  
القبيل نظير في العالم بأسره على الاطلاق والذي يزيد في الإعجاب  
والاستغراب انه لا يسمع صوتا ولا صياحا ولا ضجة ولا اعتراضا  
بنسبة جزء من ألف جزء من هذه الحركة بل كل انسان صامت أو هامس  
مقبل على شؤنه مكند في الذهاب الى مقصده وكل شئ يجري فيها  
كالساعة المنتظمة ذات الآلات الكثيرة والغايات المتنوعة حتى  
ان الغريب ليحكم بانه بين قوم لا يسمعون ولا يتكلمون

سكة حديد  
العاصمة

ولا أنتقل من هذا الموضوع قبل أن أذكر شيئا يسيرا عن سكة حديد  
العاصمة فإنها عبارة عن طريقين أولهما يدور حول السقي City  
(أعنى المدينة مثل السكرية والغورية وما حوالهما من الجهات  
فإنها معروفة في مصر القاهرة باسم المدينة أيضا) والثاني  
حول البلد كلها وهما متصلان ببعضهما في كثير من النقط  
وقد بلغت نفقات المييل الواحد فيما بلغني ثلاثة ملايين من  
الجنهيات لان الشركة التزمت بدفع قيمة الاراضى والمنازل وحفر  
الارض وبنيان القباب والمعقود وغير ذلك مما يوجب صرف  
المبالغ الجسيمة وبما ان القطرات في هذه الطرق تسير تحت  
الارض الا عند دخولها في المحاط (فإنها كلها مكشوفة الى السماء)

فقد رأى مهندسو الشركة أن يصنعوا الآلات البخارية محتوية على مرتبتين مفيدتين جدا لمقتضى الحال فأولاهما ان الآلة مجهزة بحيث أنها تحرق الدخان المتصاعد منها فلا يكون له أدنى تأثير وثانيتهما انها تصطنع من الفحم الذى تحرقه زيت الحجر (الغاز أو البترول) اللازم لاضاءة كافة العربات على الدوام والاستمرار ثم ان القطار يدخل المحطة وهو فى منتهى السرعة ويقف مرة واحدة فيحصل ارتجاج خفيف جدا لا يكاد يشعر به الانسان والسبب فى ذلك انهم وضعوا فى ثلاث جهات من الرصيف ثلاثة ألواح كبيرة لتوفير الوقت ومكتوب عليها ما معناه (انتظر هنا للدرجة الاولى أو الثانية أو الثالثة) فيقف ركاب الدرجة الاولى فى المكان المعين وركاب الدرجة الثانية فى المحل المخصص لهم ومثلهما أصحاب الدرجة الثالثة ثم ان العربات فى القطر مرتبة وراء بعضها بحسب الترتيب المعين فى رصيف المحطة ففى جاء الواوور وقف فى المكان المناسب فلا يكون على المسافرين الأأن يدخلوا العربات من غير تعجب ولاسؤال بل بتحرك القدم خطوة أو خطوتين بالاكتر وذلك لمنع الاختلاط فان القطار لا يقف أكتر من بعض ثوان وتجد على باب العربات من الداخل عبارة هذه

ترجمتها (انتظروا حتى يقف القطر) ولكنني أرى من الواجب على  
المسافر ان يشرع في النزول بمجرد وقوف القطر لان أقل تأخير  
يترب عليه ان يساق الى المحطة الثانية ثم يرجع مع قطر آخر  
الى المحطة المقصودة من غير أن يلتزم بدفع أجرة تكيلية بشرط  
أن لا يظهر على وجه الارض بل يستمر على رصيف المحطة وهذا  
أمر ينبغي تنبه الغريب اليه فان كثرة الاعلانات في المحطة تمنعه  
ولاشك من أن يعرف اسمها فالاجدر به والحالة هذه أن يسأل  
قبل النزول في القطر عن عدد المحاط التي سيكون الوقوف فيها  
قبل الوصول الى المحطة اللازمة أو أن يجتهد في قراءة اسم المحطة  
على فوائدها ودكك الانتظار فانهما المحلان الوحيدان الباقيان  
للآن في حرز وأمان من هجمات أصحاب الاعلان

وكل انسان يركب في القطر يجوز له أن يؤمن على حياته ونفسه  
من العوارض والاختار التي ربما تطرأ في أثناء السفر ففي حالة الوفاة  
تدفع الشركة ألف جنيه انكايزي لورثة المسافر في الدرجة الاولى  
الذي يكون قد آمن على حياته بدفع مبلغ يوازي ١٢ مائتا  
زيادة على ثمن التذكرة وتدفع مبلغ ٣٠٠ جنيه لورثة المسافر في  
الدرجة الثانية الذي يدفع ٨ مليمات زيادة على ثمن التذكرة  
ومبلغ ٢٠٠ جنيه للمسافر في الدرجة الثالثة الذي يدفع ٤



مليامات زيادة على ثمن التذكرة فإذا كان العارض غير الوفاة التزمت الشركة بالتعويض بمبلغ نسبي بحسب شدة العارض وخفته وفي هذا المقام أذكر مارواه بعضهم من أن رجلا من الانكليز كان يركب على الدوام في الدرجة الاولى ولا ينسى مطلقا التأمين على حياته وفي كل مرة وصل المحطة بالسلامة أخذ في اللعن والسب والشتم والسباب لعدم وقوع ما كان ينتظره لعائلته من الثروة واليسار وحقيقة فان الاخطار قليلة بل نادرة بل لانكاد تذكر وقد كان انشاء هذا الخط في سنة ١٨٦١ وله أكثر من ٣٠ محطة وقد يمتد الى بعض ضواحي لوندريه (ويكون حينئذ على وجه الارض) وقد يسير تحت نهر التيمس في انبوبة من الحديد وفي كل خمس دقائق يقوم قطار وذلك من الساعة ستة صباحا الى نصف الليل (ولكن القطر يقوم قبل الساعة ٨ صباحا وبعد الساعة ٨ مساء في كل ربع ساعة وثن التذاكر طفيف جدا فلا يزيد على خمسة قروش صاغ)

وأقول بهذه المناسبة ان تسجيل المتاع ليس من أصول السكة الحديدية في بلاد الانكليز على العموم (لا كما في ايطاليا اوها منها اوها) بل ان المستخدمين يستغربون من الذي يطلب ذلك منهم لان القاعدة العامة (وقد يكون لها استثناء لأعرفه الآن) ان

الانسان يكتب اسمه واسم المحطة على متاعه ثم يياشر وضعه على  
عربة صغيرة في الرصيف ثم في العربة المعروفة (باسم عربة  
العفش) ومتى وصل الى المحطة نزل وتوجه الى المستخدم وأعلمه  
عن متاعه فيسلمه في الحال من غير أدنى تعب ولا اختلاط ونزاع  
أو عطل أو مماطلة

وعندى كلام كثير على السكك الحديدية وكثرتها وتقدمها  
في بلاد الانكليز ولكن لايسمح لي المقام بإيراده الآن وانما  
لايسعني ان أخفي إعجابي بها من كل الوجوه حتى ان الانسان  
لايتصور كيف أنها لاتنقل هذه البلاد وخصوصا لوندرة الى اية  
جهة من أقطار المعمورة

ومن أغرب الشركات التي في هذه المدينة شركتان ليس  
لهما من عمل سوى الاستدعاء بالكهرباء وذلك ان لكل منهما  
مشتركين في جميع جهات المدينة وكافة أحيائها ومنازلهم متصلة  
بسلك كهربائي بالمكتب الموجودة في دائرته ويكون في المنزل شبه  
مزولة عليها ازرار الاول للساعي والثاني للطبيب والثالث للعربة  
والرابع للاستغاثة من الحريق والخامس للاستغاثة بالبوليس فاذا  
ضغط المشترك على أحد هذه الازرار عرفت الشركة مطلوبه فتبعث  
له في الحال ساعيا أو طبيبيا (واذا كان له طبيب مخصوص يكون

شركات  
الاستدعاء  
بالكهرباء

عنوانه معلوما عندها فتخبه بالطلب) أو عربة للركوب أو طلبات  
الحريق أو رجالا بواسطة ادارة البوليس لامداده بالقوة اللازمة  
وهاتان الشركتان مستعدتان أيضا لخدمة غير المشتركين بهما  
فيجوز لهم ارسال طرودهم وأمتعتهم بواسطة سعاتها في نظير أجرة  
لا تزيد عن ١٢ مليما في الساعة وفوائد هذه الشركات ظاهرة  
خصوصا في المدن الكبيرة

وهذا الحديث على الشركات يسوقني الى ذكر شئ وجيز شركة حماية  
الحيوانات  
عن شركة حماية الحيوانات وان كان اسمها معروفا في مصر فانها  
من أغرب الشركات وأفيدها وهذه الشركة تحت حماية البرنس  
دوغال ولي العهد وقد كان لها تأثير عظيم في هذه البلاد بحيث  
انك لا ترى القوم حتى الذين من الطبقة الدينية يتجاسرون بأى  
حال ولاى سبب على اهانة الحيوان الا بعمد واسائه ولها عمال  
كثيرون ومن أعضائها جم غفير من أصحاب الوجاهة والنفوذ وكل  
من أقدم على هذا العمل المنكر حكم عليه بالاشغال الشاقة من  
سنة شهر الى سنة كاملة وكثيرا ما ركبت في عربات متعددة  
ولا أتذكر أن السائق رفع السوط على الحصان أكثر من مرتين  
بكل خفسة وكثيرا ما قطعت المسافات الطويلة من غير أن يلبس  
السوط جسد الحصان على الاطلاق ومثل هذه الشركة لازوم



لها في بلادنا اذا راعينا الاحكام الشرعية المفروضة كما هو الواجب  
علينا

شركات  
قاعات  
المطالعة  
والكبيانات  
وقد رأيت في البلاد الافرنكية التي مررت بها قاعات  
المطالعة ولكنها في لوندرة قليلة وليس للحكومة يد فيها البتة بل  
وقد أنشأتها شركات تجارية متنوعة أو خاصة بطبع الكتب ونشرها  
وقد أسست بعض الشركات كتبانات ترسل الكتب اللازمة الى  
منازل المشتركين فلا تكلفهم التوجه الى مركزها لانتقاء  
الكتب التي يرغبون مطالعتها في منازلهم وقيمة الاشتراك من  
جنيه واحد الى خمسة الى ستة في السنة

شركات  
التوريد  
وفي هذه المدينة غير ذلك من الشركات التي لا تدخل تحت  
حصر ولوأردت أن أذكر كلمة على كل واحدة أو أكتفي بمجرد  
الإشارة الى اسمها لانسع المجال بما يوجب الملل مهما كان اصطبار  
القارئ ومجاملته للكاتبة ولكني أقول اني رأيت فيها كثيرا  
من شركات التوريد التي تتمتع بالمشتركة بجميع ما يطالبه من  
الاصناف والمحصولات اللازمة له ولعائلته ولنزله بائخس الاثمان  
ومن أجود الاصناف

النوادي  
وغرابية  
تنومها  
ثم أنتقل الى الكلام على النوادي (المروفة بالكلوب)  
فانها كثيرة جدا وأهمها نحو المائة وكلها في قصور نفيسة شامخة

بإذخه بالغة النهاية في الزخرفة والانتساع والاتقان والاحتواء على كل ما يطلبه الانسان من مأكول ومشروب وجرائد وكتب وغير ذلك مما يلزم للفسكاهة وتمضية الوقت في نعيم وسرور وكل شيء فيها من أجود نوعه ويثنى المقطوعية (الذي يساويه فقط) وهي معدة لاجتماع الاصحاب والاصدقاء الذين من صنف واحد وأذواق متشابهة وعددها بالنسبة الى لوندرة أكثر منه في أية عاصمة أخرى من عواصم أوروبا ولا يقبل العضو فيها الا بعد اقتراح سرى دقيق جدا ورسم الدخول من خمسة جنهات الى أربعين (والغالب ٢٥) والرسوم السنوية من ثلاث جنهات الى خمسة عشر هذا عدا ثمن المأكولات والمشروبات وفي بعضها يجوز للعضو أن يستضيف بعض خلانته ومنها ماهو للرجال والنساء ومنها ماهو للنساء خاصة أو للعلماء أو لحزب المحافظين أو لحزب الاحرار أو للهند الشرقية أو للضباط البرية والبحرية العاملين أو للضباط المتقاعدين أو للمستعمرات أو لتجسين نوع الكلاب أو لمدرسة أكسفورد الجامعة أو لمدرسة كمبريدج الجامعة (ولا يقبل فيهما الا المتخرج منهما) أو لالعب الكرة أو لرجال السياسة أو للسياسة (ولا يدخل فيها الا من ساح الى مسافة ٥٠٠ ميل عن لوندرة) أو الرجال لاآداب ومن أغرب نواديها ذلك المعروف

باسم النادي المتوحش وفيه كثير من أرباب الجرائد والآداب  
والفنون والتشخيص ومن أعضائه البرنس دونغال ورسم الدخول  
فيه ٨ جنهيات والرسوم السنوية ثلاثة جنهيات ولا تغلب  
المدارس نوادي خاصة بتلامذتها الحاليين والسابقين وقد يزيد  
أعضاء بعض النوادي عن ٧٠٠٠

وكل جمعية وكل شركة وكل ناد يولم في السنة وليمة فاخرة  
وأهم هذه الولائم وليمة جمعية التصوير ويجتمع فيها أكبر أرباب  
العلم والسياسة والرياسة والجيش والبحرية وأعضاء البرلمان  
والاساقفة والافوكاتية والبرنس دونغال واخوته وكل من اشتهر في  
فن أو عمل وقيمة النفقات في هذه الولاية تبلغ من ٤ جنهيات  
الى ٨ جنهيات عن كل واحد من المدعوين

مطاعم لوندرة وفي هذه المدينة أكثر من سبعة آلاف مطعم (لوكانده)  
والخدمة فيها كلها منتظمة جدا ولوان أماكنها في الغالب ليست  
بالغة في الزخرفة مثل نظائرها في أوروبا وكثير من هذه المطاعم  
على مذهب الهنود فلا تجد فيها سوى الخضارات وما تلبسه  
الارض وأما اللحوم فلا توجد فيها البتة لانها محرمة  
وفيها نحو ألف قهوة وكها على الطرز الانكليزي أي ان  
الانسان يمكنه أن يتناول الطعام فيها بثمن بخس ولكنه اذا طلب



شيأ من المشروب وجب عليه دفع الثمن مقدما للخادم لكي يستحضره له من الخارج ( وكذلك الحال في بعض الفنادق وفي كثير من المطاعم ) لان هذه الاماكن ليس لها رخصة في بيع المشروبات ثم ان القهوة عبارة عن قاعة ضيقة تنقسم الى طوالات من الخشب منفصلة عن بعضها تمام الانفصال ومثبتة في المائط والارض مثل عربات الدرجة الثانية في السكة الحديدية فيأكل الانسان فيها وهو بعزل عن جاره وفيها تجدد دوما القهوة والشاي والشكولاته والكاكاو والبيض والخبز

أما القهاوى الكبيرة التي من جهة المدينة ( السقي ) أما كمن الاجتماع العمومي فهي أشبه بيورص يجتمع فيها التجار والنواخذة (مجهز والسفن Armateurs ) وأصحاب الضمان من الحريق والغرق وسائر الطوارق والعوارض والسماسة وأمثالهم فيتعاقدون فيها ويتبايعون

وفيها بعض محلات يسمونها دواوين السجائر تشبه القهاوى التي في أوروبا ويكون بعضها عبارة عن قاعة كبيرة فيها نجف وثریات وألواح فيها صور ورسوم وعند الدخول يدفع الانسان شلنا واحدا ( ٥ صاغ ) ويكون له حق في سجارة أفرنكية وفتحجان قهوة وقراءة أهم الجرائد المطبوعة في انكتره وفي أوروبا وقد أنشا

بعض الفرنسيين والاطليانيين قهاوى على الطراز الاوروبوى  
(المتعارف فى مصر) ولكن هذين الصنفين من الاماكن العمومية  
لايجوز لهما بل ولا يمكنهما وضع الموائد أو الكراسى على برازيق  
الطريق ❦ البرزوق فى اللغة العربية يقابل كلمة الترووار الفرنسية  
Trottoir الشائعة الآن راجع شرح القاموس ولسان العرب  
فى ترجمة ب رزق تجد ان معناه القسم من الطريق العام المخصص  
على جانبيه للسائرين على الاقدام وأما كلمة افريزالتى استعملت  
تحاشيا من كلمة ترووار (أوتل توار بحسب نطق العوام) فهى فى  
غير موضعها لانها فارسية معربة ومعناها فى كتب اللغة الجزء  
البارز من أطراف أعالي البناء فيقابلها لفظ كرينش المعرب عن  
الفرنساوية ❦ ومتى سار الانسان على برازيق الطريق رأى فيما  
بين الحوائط كثيرا من مخازن الدخان فانها فى لوندرة فوق العدد  
والاحصاء

الحمامات

وقد رأيت كثيرا من الحمامات فيها الماء المالح الاجاج أم العذب  
الفرات باردا أو مسخننا على درجات مختلفة وفيها حمامات على  
الطرز التركى المتعارف فى مصر وقد صار للانكليز الآن بها واع  
وغرام وان لم يكن القائمون بالخدمة فيها على شئ من مهارة أهل

بلادنا وفي بعض الحمامات لاتزيد الاجرة عن ١٢ مليمًا ومع ذلك فان الشركات القائمة بادارتها تريح ارباحا وافرة

وفيها تياترات كثيرة واشهرها ثلاثة وثلاثون وفيها عدد عظيم من الملاهي وقهاوى الغناء والموسيقى وأما كن عرض الصور والبهلوان وغير ذلك مما يكون فيه تشخيص الروايات أيضا

وفيها وحدها أكثر من ٤٠٠ جريدة منها ٥٠ للديانة على جرائمها ودياناتها

سائر مذاهبها فان الشيع الدينية في بلاد انكلترة كثيرة متنوعة جدا وهم يحترمون كل الاديان وكافة الاعتقادات حتى انه يصح ان يقال ان كل انكليزي يعبد الله بحسب هواه وقد بلغ عدد الديانات والمذاهب في بلادهم أكثر من ١٨٣ وكل واحدة من هذه الشيع تدعى بالطبع انها هي التي فازت باكتشاف الحقيقة وهي تتناظر مثل مناظرة الشركات التجارية ومع ذلك ففي كل يوم تظهر شيعة جديدة وأبغض المذاهب الى هذه الأمة هو المذهب الكاثوليكي الرسولى الرومانى ويكرهون البابا كراهة التحريم وهذا التعصب المطلق بجانب ذلك التساهل المطلق هو أيضا من باب التناقض المطلق

وافسكارهم واعتقاداتهم وآراؤهم ومقالاتهم في غاية الغرابة الكويكرز ولايسمح لى المقام الا ان يبين شئ منها ومع ذلك أقول ان منهم طائفة تسمى الكويكرز (Quakers) لايركعون الا للعلو المتعالى ولا يرفعون قبعتهم لاحدما ( كما هي عادة الافرنج )



ويخاطبون الناس قاطبة بالكاف (أى لا يعظمون المفرد باستعمال الجمع كما هي العادة في أوروبا فلا يقولون حضرتمكم أو أنتم أو ما أشبه ذلك بل قلت لك أنك فعلت كيت وكيت . . . الخ وهذا النوع من التعبير يسمى عند (العرب المخاطبة بالكاف) وعند الفرنسيين (Tutoyer) ولا يخافون أبدا حتى امام المحاكم ويمتنعون من الدخول في سلك العسكرية لانهم يعتبرون الحرب محرمة وجناية حتى ان جون بريت السياسي الانكليزي المشهور استعفى من وزارة غلادستون في سنة ١٨٨٢ بسبب الحرب التي وقعت بين انكلترة وأهل الثورة العربية في مصر ولهم غير ذلك من الاطوار والاخلاق

وأما جيش السلام فلا أنكم عليه الآن وانما أقول ان جماعة من البوذيين الوثنيين جاؤا الى لوندرة بقصد تبويد الانكليز (تبويد الانكليز) اذا صح التعبير أى جعل الانكليز كلهم على مذهب بوذه) وبلغنى ان لهم هيكلًا تقام فيه شعائرهم الدينية في خط وبت شابل (White Chapel) المعمور بالوف من الخسلايق وعلمت ان أعمالهم سائرة في طريق التقدم وان بعضا من رجال البوليس الانكليزيين قد دخلوا في زميرتهم

وبمناسبة الديانة والكلام عليها أقول الآن ان أمة الانكليز الاستراحة  
انفردت عن سائر سكان الارض بمراعاة الراحة المطلقة في يوم <sup>يوم الاحد</sup> <sub>مأسكنة</sub>  
الاحد فهو عندهم يوم مقدس تنقطع فيه الاعمال مرة واحدة  
ويستعدون لذلك من ابتداء عصارى السبت فترى الخلائق  
تتناقص والازدحام يقل شيئاً فشيئاً والمخازن تغلق والنواقيس تدق  
ومتى جن الليل عادت الحركة الى منتهائها ورجع الاضطراب الى  
اقصاه لكن في الاسواق فقط اذ يتوجه القوم اليها من كل صوب  
لاخذ المؤنة والذخيرة اللازمة لذلك اليوم الذي يقف فيه دولاب  
الاعمال وينقطع الاخذ والعطاء والبيع والشراء حتى فيما يتعلق  
بالقوت اللازم لحياة النفوس ومتى أصبح الصبح رأيت المدينة  
قفراً بلقماً ليس فيها سوى القليل من رجال الشرطة وبعض نفر  
منشور في شوارعها واما المخازن والابواب والشبابيك وديار  
التحف والآثار والسيارات فكلها مغلقة والعربات بجميع أنواعها  
يقل وجودها بالكلية واما القهاوى واللوكندات فتفتح في مواقيت  
الفراغ من الصلاة فقط أى من الساعة الاولى الى الساعة الثالثة  
بعد الظهر ومن الساعة السادسة بعده الى ما قبل نصف الليل  
بساعة ولكن الاغرب من ذلك كله ان البوسنة مع أهميتها  
تتعطل حركتها فلا تباشر أى عمل ما ولا توزع الخطابات الواردة اليها

ولا ترسل المكاتب الصادرة الى الخارج ومثلها التلغراف فان اسلاكه تستريح أيضا في هذا اليوم يوم الراحة العامة إلا في بعض المحطات الكبيرة جدا وكذلك الكرك فانه يحجز البضائع وامتعة المسافرين الذين يقدمون الى هذه البلاد في هذا اليوم المشؤم فانه حقيقة يوم الحسرة على الغريب يضطره للاعتكاف في منزله وتضييع يوم من حياته بلا ثمرة ولا عمل والسكة الحديدية لاتمشى القطارات عليها اثناء القديس وفي غير هذا الوقت تقل حركتها الى الربع أو أقل وترى في جداول مواعيت السفر خانة ٤ومية لايام الاسبوع وخانة خصوصية للقطارات القليلة التي تقوم في يوم الاحد وتلك المحاط التي كانت بالامس عامرة آهلة بالخلائق أصبح وهي ساكنة مطمئنة ويكون منظرها مع عظمتها واتساعها مشوبا بشئ من الايحاش يجعلها أشبه بقبرها نائل وخلاصة القول ان المدينة كلها ينقطع منها الحس وتبارحها الحياة فكأنها سراج قد خبا نوره فجأة ولا يتصور المرء انه مازال في تلك المدينة المتماوجة بهذه المخلوقات بل يحظر على باله انه دخل بلدا جاءها النذير بقرب جيش هاجم عليها فولى أهلها الادبار وتركوا الديار ومافى الديار ملتجئين الى الخلووات والقفار وابقوا بعضا من الرجال يراقب حركات العدو ويعلمهم باعماله حتى اذا أقبل المساء





المقدمات التي تصطاد العامة وتجذبهم الى حضور مقالته ومنهم من يطوفون في الشوارع بالالخان والانغام والرايات والاعلام وبالاختصار ان كل واحد منهم تزين له نفسه الكلام يقف في أى مكان ثم يتكلم بما يريد ويجتمع الناس حوله أو لا يجتمعون ويكون رجال الشرطة بجانبهم غير مباينين بتجمعهم مهما كانت أقوال الخطيب موجهة ضد الدولة أو بالحث على احراق دور الاغنياء وسلب المخازن الكبيرة وما أشبه ذلك فان حرية المقال في هذه البلاد وصات الى ما هو فوق منتهائها وفي يوم الاحد يكثر السكر والسرقه أيضا لان الانكليز لا يعرفون الوسط فان بلادهم بلاد التناقض جمعت الاطراف فاما التناهي في الغنى واما التناهي في الفقر واما التناهي في الفضيلة والعفاف واما التناهي في الرذيلة والفجور واما التناهي في العمل واما التناهي في الكسل الى غير ذلك من الاطراف حتى ان المدينة اما أن تكون غاصة بالجماهير أو تكون خلوا من العالم بالمره (في يوم الاحد) وهكذا

التناقض  
بانكثرة

وابكثرة اللصوص وتفتنهم فيها ينبغى بل يجب على الانسان أن لا يكلم أحدا لا يعرفه وان يجتنب كل من يعرض عليه خدمته وارشاداته أو يبادره بالكلام واذا احتاج لاي أمر من الامور فلا يسأل الا رجال البوايس فانهم يبادرون بالاجابة بمحذق وفضانة

لا تكلم من  
لا تعرفه  
بلوندره

أو يدخل في بعض المخازن ويستعلم فيها عما يريد وقد اعتاد الانكليز أنفسهم على ذلك فإذا اتفق لك انك كتبت واحدا منهم فان كان من أصحاب الادب وأهل المجاملة أجابك بنعم أولا من غير زيادة وكثيرا ما يعرض عن الاجابة ويلتزم الصمت ويستمر في طريقه من غير ان يلتفت اليك بالمرّة وان كان شرسا اعطاك درسا أو قلع لك ضرسا

هذا وأينما سار الانسان في شوارع لوندرة رأى حوانيت عليها صناديق للبوستة وفي كل صندوق فتحتان كبيرتان احداهما لوضع المراسلات الخاصة بالمدينة نفسها والثانية للمراسلات التي يرسم أقاليم انكلترة والبلاد الاجنبية وفي بعض الشوارع المتباعدة عن هذه الحوانيت ترى على برازيق الطريق اسطوانات كثيرة من الحديد الملون بالبوية الحمراء معدة لوضع المراسلات فيها حتى لا يلتزم الانسان بالتوجه الى المكتب القريب منه ومن تذكرة البوستة للمملكة البريطانية نصف بنس (أى ٢ مليم) وللخارج بنس واحد (أربعة مليم) وعدد مرات التوزيع في السبتي اثنتا عشرة مرة في كل يوم واحدى عشرة في المواضع التي حول دار البوستة المركزية على مسافة ثلاثة أميال ويتبدى التوزيع



من الساعة ٧ ونصف أفرنكي صباحا وفي بعض الجهات يكون  
ارسال المكاتبات بالتلغراف في قناة يفرغون منها الهواء وعلامة  
ساعي البوستة أن يدق على الباب دقتين عنيفتين وفيما عدا الجهات  
المحيطة بدار البوستة يكون التوزيع ست مرات في اليوم الواحد  
ويجوز إرجاع طوابع البوستة الى مكاتبها فتخصم من قيمتها ٢  
ونصف في المائة في نظير العمولة والاصدار واعلم أنه يوجد بهذه  
المدينة شوارع كثيرة لها اسم واحد وقد يبلغ عددها ١٠ أو ١٥  
فلاجل منع الاختلاط الذي يتأق حصوله بهذا السبب قسمت ادارة  
البوستة المدينة الى ثمانية أقسام باعتبار الجهات الاربع الاصلية  
والجهات الاربع الفرعية ووضعت حرفا أو حرفين ( ج ش أي  
جنوب شرقي مثلا) للتمييز بينهما بالسهولة حتى لا يحصل عائق أو غلط  
في التوزيع ولذلك ينبغي لكل من يرسل أحدا من أهل لوندرة  
التالزين بها أن يضع هذه الحروف الصغيرة بعد ذكر اسم الشارع  
والمدينة لسهولة التسليم وعدم التعطيل

عموميات على  
التلغراف  
أما التلغراف فكان قبل سنة ١٨٧١ لثلاثين شركة ثم  
أخذته الحكومة وجعلته تابعا لمصلحة البوستة ومع أن أقل أجرة  
لارسال أي تلغراف من لوندرة واليها هي أعلى مما في بلادنا لانها  
هنا ست بنسات (أي خمسة قروش من العملة الدارجة) وهي في

بلادنا قرشان فقط بالعملة الصاغ ولكن القوم يستخـرمونه بكثرة لا يتصورها العقل لانهم يفضلون خسارة القليل من المال واكتساب الوقت ومع ذلك فأعمال البوستة أيضا مازالت رائجة واذا دفع الانسان أجرة رد التلغراف وفات الوقت المقرر للاجابة أمكنه استرجاع مادفعه لهذا الغرض في ظرف ثلاثة أيام من تاريخ الارسال ويجوز إرسال الرسالة البرقية الى جله أشخاص مقيمين في قسم واحد بشرط أن يدفع المرسل ٨ مليمات على كل نسخة غير النسخة الاصلية ويجوز أيضا إرسالها الى أشخاص مقيمين في جهات مختلفة بعد دفع نصف الاجرة العادية على كل نسخة خلاف النسخة الاصلية وهذه التسهيلات المفيدة للصحة وللجمهور غير موجودة في بلادنا

وبمناسبة التلغراف أذكر أنه يوجد بين باريس ولوندره سلك عمومات على تلفوني وأجرة التكلم فيه لاي فرد من أفراد الناس مدة ثلاث دقائق ٨ شلنات (٤٠ قرشا صاعا) أما التلفون الخاص في لوندره وحدها فهو في يد جملة شركات

ولايسعني الآن أن أوجـل الكلام على التعليم والمستشفيات المدارس وأكتفي بأن أقول ان المدارس في هذه البلاد تعنى عناية عظيمة بتربية الجسد والعقل لان العقل السليم لا يكون الا في الجسد السليم

ومن جملة المدارس التي زرتها مدرسة ايزلورث المعروفة باسم  
(نيوبرود كولايج) فرأيت النظام فيها بالغاً حده وناظرها  
المسيو بارنت (Barnett) على غاية الظرف واللطف وحسن  
المعاملة ودمائه الاخلاق وعلمت منه وتحققت بنفسى ان تلامذتنا  
المصريين فيها بلغوا من التقدم والنجاح درجة يغبطون عليها وأنا  
متأكد من الآن أنهم سيخدمون الوطن خدمة جليلة عند  
رجوعهم اليه بما اكتسبوه من المعارف والآداب ويسرني بل  
يجب على أن أورد أسماءهم في هذا المقام وهم حضرات  
الافندية أحمد براده ومحمود يوسف ومحمود قاسم  
وقد أصدرت نظارة المعارف العمومية أمرها الى وطنينا المجهتد  
الفاضل حسن أفندى توفيق الذى كان فى برلين بالتوجه الى  
لوندرة لتعلم اللغة الانكليزية وغيرها بهذه المدرسة وقد رأيت  
وعلمت منه بكل ارتياح وانشراح أنه ألف كتاباً فى التاريخ العام  
وأنه بعد أن يتمه قريباً يشرع فى تدوين ما استفاده من  
أنواع العرفان ووقف عليه من شمسات الفوائد التي تنفع ابناء  
بلاده ولعمري الحق ان هذه النتائج مما يسر مصر وكل محب  
لها ولاهلها وأقول مثل ذلك أيضاً عن حضرات الافندية  
التلامذة على عمر وأجد فهمى ومحمود اسمعيل الموجودين بمدرسة



هو مرتن فاني توخت فيهم التجابة والفظانة وتفurst انهم عند  
عودتهم الى وطنهم بعد زمن قريب سيرهنون على أنهم لم يضيعوا  
اوقاتهم سدى بل اكتسبوا من العلوم ما يجعلهم هم واخوانهم  
ان شاء الله وساعدتهم العناية في مقدمة العاملين على اتخاف  
أبناء بلادهم بما يفيدهم في ميدان العرفان (وان غمد الناظره  
قريب) وسأشرح لك الكلام في الرحلة على التعليم وطرقه وقرب  
الوصول الى ثمراته في بلاد الانكليز وعلى مدرسة اكسفورد  
الجامعة بنوع خصوصى لاني زرتها بالتفصيل وأكتفي الان  
بايراد بعض المرتبات التي للاساتذة لتعلم ان مرتبات أمثالهم في  
بلادنا أقل مما يكتسبه الواحد منهم في يوم أو بعض يوم مثال  
ذلك أن المدرسة الجامعة في اسكتلندة تدفع لمدرس الكيمياء ۸  
ألف فرنك في السنة أى ثلاثة آلاف ومائتى جنيهه أى مائتين  
وسمته وستين جنيها وثلاثي جنيهه في الشهر الواحد ولمدرس  
التشريح ۷۵۰۰۰ فرنك ولمدرس الطب ۶۵۰۰۰ فرنك ولكل  
من مدرس التاريخ الطبيعى والباولوجيا ۴۰۰۰۰ فرنك ومدرس  
النباتات مرتبه السنوى ۵۵۰۰۰ فرنك ويوجد في المدرسة  
الجامعة بمدينة جلاسكو مدرس للتشريح ومرتبه ۵۵۰۰۰ فرنك  
في السنة وأما المدرسة الجامعة باكسفورد ففيها ۴۴ مدرساً

مجموع مرتبهم السنوى أربعة ملايين من الفرنكات أى متوسط  
الواحد منهم ۹۵۰۰ فرنك وفى المدرسة الجامعة بكمبريدج  
۴۸۳ ومجموع مرتبهم السنوى ۳۳۰۰۰۰ فرنك وفى دبلين  
عاصمة ايرلندة مدرسة اسمها الترينتى (أى التثليث) وفيها ۵۹  
مدرسا مرتبهم ۸۰۰۰۰ فرنك فى السنة فهكذا تكون العناية  
بالتعليم والقائمين به

والاعلانات  
وهولها

ومن الامور التى تدهش القادم الى لوندرة كثرة الاعلانات  
التي يراها على جدران المحطة وكل مكان فيها حتى لا يمكنه مطلقا  
معرفة اسم المحطة وتغييره عن الاعلانات ثم متى سار فى الشوارع  
رآها كلها اعلانات وازار كعب فى عربات الاومنيبوس أو غيرها رآها كلها  
اعلانات من الداخل والخارج والاسفل والاعلى ولقد كان صدرى  
يضيق من رؤيتها وهى كأنها تهددنى بوجوب قراءتها والعمل  
بما تشير اليه والاستحصال على ما تدل عليه فكنت اذا قلبت  
طرفى يمنة ويسرة أو رفعت به الى أعلى أو خفضته الى أسفل  
أو حواته الى الخلف أو رجعت به الى الامام رأيت الاعلان واقفا  
لى بالمرصاد فاذا انمضت الطرف لاستريح منه قليلا ثم انتبهت فلا  
مناص لى من رؤيته على الدوام وفى كل مكان مختلف الصور  
والاشكال والرسوم والالوان فاذا أخذت تذكرة للسكة الحديدية

أو لعربات الاومنيوس أو غير ذلك رأيت الاعلان مقتفيا أترى  
وأثر كل من كان في أى مكان وأى زمان فاذا اشتريت كتابا أو  
جريدة أو تعريفة أو خريطة أو ما شبه ذلك رأيت الاعلان هو  
هو على الدوام يضى طرفى لقراءته بالرغم عنى قبل أى موضوع  
يهمنى فاذا مشيت على برازيق الطريق رأيت الاعلان يتمطر  
على من حيث أدري ولا أدري فأحترق فى كيفية التخاض منه فاذا  
جن الظلام رأيت الاعلان مكتوبا بالانوار على صفحات الزجاج  
أوبواسطة القنوات الخاصة بنور الاستصباح

وقد جرت عادة الجرائد أنها تخصص صفحاتها الاولى للفصول  
المهمة والمواضيع ذات الفائدة العامة ولكن الامر هنا بالعكس  
لان الانجليز يعتبرون الاعلان من أهم الاشياء فترى جرائدهم  
كلها على اختلاف مواضعها وتنوع مشاربها مشحونة بالاعلان  
خصوصا الصفحات الاولى والصفحات الاخيرة حتى ان الانسان  
ليحترق قبل أن يتظر الى مواضع الاخبار والفصول السياسية اذ لا بد  
من المرور على الاعلان مثال ذلك جريدة التيمس المعروفة بملكية  
الجرائد تحتوى على ١٦ صحيفة منها نحو احدى عشر صحيفة  
مخصصة للاعلان وقس عليها سائر رعاياها وقد علمت ورأيت  
أن بعض البيوت التجارية يتكبد النفقات الطائلة والمصاريف



الهائلة لنشر الاعلان على صحائف حديدية في جميع المحطات  
ثم لاتكتفى بذلك فتضع صحائف أخرى في عربات السكة الحديدية  
(خصوصا التي تحت الارض) ثم لاتكتفى بذلك فتشره في  
عربات الاومنيبوس في كافة أرجائها ثم لاتكتفى بذلك فتشره في  
جميع الجرائد ثم لاتكتفى بذلك فتشره على غطاء جميع الكتب  
التي تظهر حديثا وفي الصفحات الاولى والاخيرة منها ثم لاتكتفى  
بذلك فتعلقه في جميع أنحاء المدينة ثم لاتكتفى بذلك فتستخدم  
رجالا تلبسهم بشكل مخصوص وتضع أطواقا من الحديد على  
خواصرهم وأكتافهم لتعليق الاعلان فيمشي الرجل منهم  
(ويسمونه سندويش Sandwich) وامامه وخلقه وفوق رأسه  
ألواح من خشب مكتوب عليها الاعلان ثم لاتكتفى بذلك فتطبع  
أوراقا صغيرة تضعها في يد السندويش فيفرفها على المارة فهذا  
هو الحصار بعينه وكل واحد من أصحاب الاعلان يجتهد في  
التفنن في اعلانه حتى يجعله يضطر الانظار بالالتفات اليه لما فيه  
من الرسوم والحروف والالوان وغير ذلك مما يضيق الصدر  
ويقضى على الانسان بان يحسد العميان

وهنا تذكرت العميان فقد سبق لي القول بأن المقعدين  
استغنوا عن خدمتهم وقلت لابد لي أن أجد طائفة العميان قد

العميان في  
لوندرة

وجدت هي أيضا طريقة تكفيها الحاجة الى أنظار المقعدين ولا أريد أن أتكلم على التكايا المخصصة لهم بواسطة الحكومات وأهل البر والاحسان فانها ليست من تفننهم وقد كنت أعرف أنهم اتخذوا الكلاب للاسترشاد بها والسير خلفها ولكني قرأت من بعض الجرائد أثناء مروري على باريس أن أحد العميان جلس على برزق الطريق ووضع بجانبه لوحة مكتوب عليها هذه العبارة (القوا نظرة وصلديا الى الذي لا يمكن أن يردهما اليكم) فكيف لا يحن قلب الانسان وتدفعه عوامل الشفقة الى امداد صاحب ذلك الفكر الحسن ولما جئت لوندرة رأيت العميان قد تفننوا في الاختصار لان الوقت عند الانسكاي من ذهب فترى الرجل واقفا حيث تمر الالوف المولفة في كل لحظة وعلى صدره صندوق صغير فيه فوهة ومكتوب عليها (Blind) (أعمى) ليس الا ثمان بعضهم أراح نفسه من الوقوف أيضا فوضع صندوقا بجانب سبالة التذاكر حتى ان المسافر بعد أن يأخذ الباقي له يضع بنسا أو بنسين أو ما يتيسر بكل سهولة من غير أن يتكلف وضع يده في جيبه واخراج الدراهم منه فان ذلك يضيع منه الزمان ويمنعه عن الاحسان . وأتذكر أني أول مرة رأيت الرجل واقفا على قنطرة لوندرة ومع هذا الصندوق لم أفهم الكلمة التي عليه فوفقت

أنظر هذا الامر ولما سألت من معي وعرفت سر المسئلة فرحت  
كثيرا اذ تمكنت بذلك من الايفاء بوعدي في رسالة فلورانس  
ولكني مالبثت ان تكدرت لاني سمعت بعض المارين  
بجانبي يقولون عنى انى أمين باشا (رجل خط الاستواء وهو اذكتور  
شنتيرز الالماني) فقد ثارت في العواطف الوطنية والاحساسات  
القومية لاني لأرضى أن أشبهه برجل مثل هذا الذى خان حكومتى  
وبلادى وباع أو أعطى أملا كها في خط الاستواء لدولته الاصلية  
أو اغبرها بعد ان رفته حكومتنا السنية الى مراتب العز والشرف  
وسهلت له سبيل الثروة واليسار وحسن السمعة والاشتهار ثم  
تكلفت النفقات الطائلة (وهى في احتياج اليها) لامداده وانجاده  
وانقاذه فقابل ذلك المعروف وكل هذه الموااساة بالنكران وفعل  
ما فعل قاتله الله

مواطف  
وطنية

وبالاسف انى بعد ذلك سمعت اناسا آخرين يقولون هذا  
القول عنى حينما يرون امرار وجهى واحرار طربوشى  
ولقد تجوت في بعض مدائن الانكليز وسأتكلم عليها  
بالاختصار في الرسالة الآتية وأترك التطويل الى الرحلة ثم رجعت  
الى هذه المدينة وكانت مدة مقامى فيها أولا وثانيا ثلاثة وثلاثين  
يوما ولم أشرع في السياحة الا بعد أن ودعت صديقى الفاضل عثمان

وداع وسياحة  
بانفراد



بلك غالب وكأني ودعت معه نفسي أو أودعته روجي لشدة الالم  
الذي حصل لي من فراقه وليكوني بقيت بعده وحيدا (وما أردت  
أن أستعين بالتلامذة المصريين حتى لأشغلهم عن الدرس والتحصيل  
وحتى أعود على السياحة بمفردى)

ومن أخلاق الانكليز التي وقفت عايبا في سياحتي في بعض  
مدائنهم المشهورة ان الجراءة والاقدام فيهم أكثر منهما في أية أمة  
أخرى فهم يتحمون كل الاخطار التي تخطر على البال وهم  
مخلوقون للسياحة والتجوال ومتى خرج الواحد منهم من وطنه  
فاصدا أى جهة وقابلته الصعوبة والمشقات والاهوال والاطار  
فلا يزيد ذلك إلا ثباتا وقداما وعنادا لانه رسم خط سيره ولا يمكنه  
أن يعدله أو يرجع عنه وإذا كتب في دفتر سياحته أنه في يوم كذا  
وساعة كذا يكون في المحل الفلاني فإذا لم تصادفه منيته في  
الطريق فلا شك أنه يكون فيه في الوقت المعين

وإذا سافر لاقصى أقاصى الارض فعل من غير ضجة ولا رجة  
ولاحية وذلك عنده بمثابة السفر الى القبة والمطرية لاهل القاهرة  
والى الرمل لاهل الاسكندرية وانما هنالك سؤال وحيد لا يمكن  
أن ينساه وهذا هو (هل أرجع من طريق الصين أو طريق  
أمريكا)

ولوع الانكليز  
بالرياضات  
ولا بد لكل انكليزي من أبناء البيوتات الكبيرة أن يكون  
عارفا بقيادة المراكب والخيل والعربات ويتعود من نعومة أظفاره  
على الرياضات الجسدية فلا يعبأ بالمشى مسافة مائة ميل أو  
بالتقديف في الزورق من لوندرة الى اكسفورد (٦٩ ميلا) وكثير  
منهم يذهبون من لوندرة الى ايدمبورج عاصمة اسكتلنده سعيا على  
الاقدام والمسافة (٤٠٤ أميال) ومنهم من سار على أقدامه ٤٠٠  
مرحلة في بلاد السويد وهم يستمرون على المشى بهذه الكيفية  
حتى يصبحوا طاعنين في السن وترى الشيوخ الهرمين يمشون في  
الارياض كل يوم خمسة أو ستة كيلومترات ولا يمتنعون عن ذلك  
الا اذا أصابهم مرض لا بد أن تعقبه الوفاة ومعلوم أن غلادستون  
ما زال الى الآن يقطع الاحطاب بنفسه حتى لقد اتفق له في  
الشهر الماضي أن بقره نطحته وكادت تبقره بينما كان مواظبا  
على عادته في الغاية

وفيهم كثير من الشيوخ يغتسلون بالماء البارد صباحا  
ومساء صيفا وشتاء ولا يتناولون قطورهم الا بعد مشى ثلاثة  
أو أربعة أميال

ويوجد باكسفورد أستاذ جرت عادته أن يمضى المساحة  
السنوية مع زوجته في قارب يقوم هو فيه بالتقديف وهي

بامسالك الدفة ويستمر على ذلك شهرا أو شهرين في كل سنة ومتى  
أقبل المساء نزل بأحد الخانات التي على ساحل النهر وعند الصباح  
يأخذ منه المؤنة ثم يستمر في تجواله وقد ساح بهذه الكيفية على  
أغلب أنهار أوروبا

وكثير منهم يذهبون على عجلة الاسلاك (السيكل Cycle)  
من احدى عواصم أوروبا الى الاخرى وقد جرت عادة أغلب  
المتزوجين حديثا بقضاء الشهر الاول المعروف عند الافرنج  
بهلال العسل على ظهر هذه العجلة في الوديان والغابات والبراري  
والجبلات متنقلين من قرية الى أخرى بدون أن يكون مع  
الزوجين شخص ثالث

وإذا سألت الواحد من هؤلاء الاقوام عن سؤال أجابك حرصهم  
لحرصه على الوقت بنعم أولا فقط وفي النادر يجيبك بكلام قليل الكلي على  
الوقت  
جدا بحيث انه لا يتخلى عن عمله الذي في يديه أو قراءة جريدته  
وكذلك السائل يطرح السؤال ثم يوالى عمله وفي المكاتب الخاصة  
بالادارات العمومية أو بالشركات ترى هذا الاعلام (الرجامنت  
أن لا تتكلم الا فيما يختص بالاشغال) وفي السكتينات والمحلات  
العمومية ترى كلمة (صه) أو (الكلام ممنوع) مطبوعة في كل جهة  
وترى طريق الدخول وطريق الخروج واضحا في كل المحطات وما  
أشبهها من المحال العمومية وبجانبه أصبح يشير الى الطريق



وما أصدق الذي قال ان الانكليز لا يشبهون أية أمة أخرى  
ولكنهم كلهم متشابهون متجانسون على منوال واحد وطرز  
واحد وهم يتحاشون القول الهراء بكل ما في وسعهم فيعبرون عن  
الزنا بقولهم (مسامرة جنائية) ويستبدلون هذه الجملة (ممنوع إلقاء  
القاذورات وممنوع التبول الخ) بهذه (لا ترتكب أى اتلاف)  
ويسمون المبولة والمرفق (مغسلا) ولاجل تأييد هذه التسمية  
يضعون طشتا لغسيل الوجه وفرشا لتنظيف الشعر والملابس ولذلك  
يقول الرجل منهم (انى أريد أن أغسل يدي) بدلا من قولنا (أنا  
رايح زى الناس أو رايح أزبل أو أنتقض أو أفك وضوف) ولا يقولون  
عن المرأة انها حبلى بل انها (في طريق العائلة) أو (في حالة  
تستدعى الاهتمام) وهم يتحاشون المزاح بالمرءة أمام النساء وفي  
بعض المبالى العمومية يكتبون هذا الاعلام (أصلح ملابسك  
وإنطافئك قبل الخروج) وهكذا

وفيهم ثقة تامة يعجب بها الغريب حتى في الاعمال والتجارة  
والصدق فيهم منتشر جدا فيكتفى الرجل منهم عند الزواج بأن  
يعان عن سنه وانه عزب أولم يتزوج ولا يبرز أوراقا لتأييد أقواله  
وإذا كذب الواحد منهم مرة في الامور القضائية حوكم كمن  
يحنث في يمينه أو يخون عهده وإذا كذب عند أحد الافراد طرد

تحسبهم  
في بعض  
مبارات

الثقة  
والصدق

في الحال ومن ثقتهم ان عمال الكرك يسألون القادم عما معه  
من الاشياء الخاضعة لرسوم وبعده دون قوله فاذا ظهر كذبه  
صودرت الاشياء المضروبة عليها الرسوم الكركية بجانب  
الحكومة وألزم الكذاب بدفع قيمة الرسوم ثلاثة أضعاف

ومتى اصطحب شاب بفتاة كان له أن يعرفها بأصحابه مبادئ الزواج  
وينفرد بها في الفسحة والترهة والمراقص والسيارات والخلوات  
وغير ذلك وقد يتيق عقد الخطبة بينهما سنين طوالا الى أن  
يتيسر للشاب القيام بما يلزم من المصروف ومتى حصلت  
المفاتيحة في الخطبة فلا يجوز لاحدهما أن يعدل عن الزواج  
الابرض الاخر فلو عدل الشاب طالبت الفتاة وأهلها بالعتل  
والاضرار وأبرزوا في الجلسة المخاطبات والمكاتبات التي تبادلها  
المحبان وتعترف الفتاة أمام المحكمة بالاقسام التي أغلظها لها  
بالبقاء على حبها وبغير ذلك واذا كان العدول من طرف المخطوبة  
لا يتأخر الفتى في اقامة القضية واكتساب مبلغ وافر من المال  
في نظير العطل والاضرار

وللانكايزتسك شديد بعاداتهم وتقاليدهم يشبه محبتهم لغتهم  
وتفضيلهم لها على ما عداها حتى انهم يحتقرون الغريب الذي  
يزورهم أو يتوجه الى السيارات أو يجلس في الفندق على مائدة  
شدتسكهم بعاداتهم

الاضيف بغير الملابس السوداء الرسمية المعتبرة عندهم في ليالي  
الاحتفالات وأغلب النساء في البيوتات الكبيرة يتكلمن  
بالفرنساوية جيداً ومن عاداتهن أنهن يقن عن المائدة بعد تمام  
الاكل ويبقى الرجال وحدهم لشرب الدخان وغيره والمسامرة  
والمحادثة ثم يتقابل الكل في قاعات الاستقبال أو غيرها وفي  
النساء لدى التكلم خفة في الحركة وشمم وجرأة واقدام ولولا اني  
وعدت بعدم الرجوع لهذا الموضوع لشرحت الحال وأطلت  
المقال وحسبي أن أقول ان الذي يحكم عليهن بحسب العينات  
التي يراها في مصر يعترف بأنه أخطأ وجازف متى جاء هذه البلاد  
ومن الغرابة أن الواحدة منهن متى كانت جميلة فليس لها مثيل  
على وجه الارض ومتى كانت قبيحة فلا يضارعها في السماجة  
انسان وذلك لان الوسط غير موجود في بلادهم في كل الامور

احذر النساء

ومما ينبغي تنبيه الغريب اليه أن لا ينفرد بالجلوس مع أية  
امرأة كانت في غرفة من عربات السمكة الحديدية مهما ظهرت  
له في مظاهر الاحتشام والوقار والنبيل والكمال فلقد تجتمع كثير  
منهن ( كما تجتمع الرجال واشتركوا في التجارة والصناعة) وانفقن  
على جعل القطارات ميدانا لاعمالهن فمنهن النصابات المحتملات  
النشالات الطرارات ومنهن التي تطالب بمبالغ عظيم وتهدد صاحبها



بأنه ان لم يؤد هذه الجزية عن يدهو من الصاغرین بلغت رجال الشرطة عنه في المحطة التالية بأنه فاتحها بما يخجل بالآداب وغير ذلك ومنهن المتدينات المترهبات اللاتي يلازمن الرجل بدعوى انهن يخلصن روحه ويهدينه الى الصراط المستقيم صراط الذين اتبعوا المذهب البروتستانتى ثم تأخذ في ايراد الدلائل والبراهين لاقتناعه بوجوب الدخول فيه وفي هذا القدر كفاية الا ان

واعلم أن مباني لوندرة كلها على طرز واحد ومثال متشابهه مباني لوندرة ومنوال متجانس وكلها متسربة بملابس الحداد كأن أهلها يرون مثل بنى العباس ان (النور فى السواد) ويظهر للتأمل فيها انها مبنية بالطوب الاحمر ولا تزيد عن الدورين الا فى النادر ولكنها متى تعدت هذا العدد أو تجاوزت النموذج المتبع عندهم فى البناء فيكون ذلك للطرف الاخر مرة واحدة فقد شاهدت بعض الدور فيها ثلاثة عشر دورا وقد شاهدت من جمال بعض المنازل والقصور ما جعلنى أحكم بانى فى احدى مدائن ايطاليا بعيدا عن لوندرة بمراحل وكيلومترات ومثال ذلك كنيسة ماربولس تترأى على مسافة ٢٠٠٠٠ متر مما حولها وفى كل المباني ترى طبقة تحت الارض يستخدمونها للطبخ والغسيل والتخزين وغير ذلك من

اللوامز المنزلية حتى لا يكون ذلك بجانب المساكن بل ان النزول الى هذه الطبقات يكون من سلم على برزوق الطريق فلا يدخل الفحام أو الجزار أو الخباز أو الخضرى أو غيرهم من المتعهدين بالتوريد فى المساكن مطلقا وقد دبروا النور والهواء فى تلك الطبقات الارضية بما يجعلها موافقة للصحة وقد رأيت فى بعضها قاعات للجلوس وغرفا للاستقبال فى غاية الزخرفة والجمال بحيث انها تروق فى عين الانسان وتسميه الى اطالة الجلوس فيها أما المساكن فان منظرها من الخارج عادى حقير ولكنه من الداخل محفوف بالثائق وله من التزيين رونق يأخذ بالابصار فترى فيها المفروشات الثينة والطرف والتحف التى لاتقدر قيمتها وترى الكراسى والمقاعد مختلفة الاصناف والاشكال وترى الامتعة والمرائى فى جميع النواحي مرتبة بذوق وحدق قد تجرد منهما خارج المنزل بالمره وهذا أيضا من باب التناقض

وأما طبخهم فعادب تافه وفى غاية البساطة فكأنهم لا يزالون على الفطرة فان الاشكال التى يعرفونها قليلة العدد وليس لهم من تنويع أو تعديل بل مازالوا سائرين فيها على سنة آباؤهم الاولين ولكنها كلها والحق يقال صحيحة نظيفة وقد فاقوا الامم جميعا فى اصطناع الروزييف فانك ترى كتلة من اللحم تن

المطبخ  
الانكليزى

ثلاثين أو أربعين رطلا وكلها مسواة بالسواء من الداخل والخارج  
ومن جميع الجوانب وهم لا يضعون الملح في الخبز أيضا أما القنادق  
الكبيرة وأغنياء القوم فيستخدمون طبّاخين فرنساويين حتى أنهم  
يضطرون (مع شدة محبتهم للغتهم) لكتابة وفهم أسماء الألوان  
بالفرنساوية ولقد أحسن فولتير حيث قال (إن الناس في بلاد  
الانكليز يعبدون الله على خمسين نوعا ولكنهم لا يهتمون البقرى  
والضاني الأعلى نوع واحد)

أما نمر المنازل في الشوارع والحارات فليست منتظمة كما في  
مصر بطريقة الشفع والوتر بل قدرى الجانب الايمن ممتدنا بعدد ١  
ثم ٢ وهكذا حتى اذا انتهى الشارع بعدد ما رجعوا بالعدد  
الذي يليه من نهاية الجانب الايسر فيكون أول الشارع فيه أول  
أعداد المنازل من جهة اليمين وآخرها من جهة الشمال وفي  
القليل منها قد اتبع القوم طريقة الترتيب الحسنى المتعارفة في  
مصر وغيرها من ديار أوروبا

وفي جميع المحطات والمتاحف والآثار العمومية والأسواق  
المهمة والميادين التي بين الشوارع ترى مرتفعات ومباول عمومية  
بعضها خاص بالنساء والباقي للرجال وكلها في غاية النظافة ونهاية  
الاستعداد وتضاء بالليل بالكهربائية وفيها الماء متساقط بأحكام

المرتفعات  
والمباول  
العمومية



على الدوام من أحواض قد ترى في بعضها الاسماك المختلفة الالوان  
يربها الحارس في هذه البحيرة التي يتجدد ماؤها في كل  
لحظة وكثير من هذه المرتفعات متسعة جدا وينزل اليها بدرج  
لانها تحت الارض (فكانها البنفسج قد اختبأ من عيون النرجس)  
وإذا اضطر أحد لقضاء الحاجة ولم يجد المرتفق قريبا منه فله  
أن يدخل في أى دكان فطاطرى ويدفع بنسا واحد (٤) ملجم  
للخادم

وصف السقي وقد سبق لى ذكر السقي (المدينة) وسهى على أن أقول  
انها مركز الصناعة والتجارة لا للوندره وحدها بل للعالم أجمع تتوارد  
اليها كموز الثروة من جميع أقطار الارض وتديرها هي كيف  
شأت وترسلها أينما أرادت ومن نظر الى جوها تصور أن رتبلاء  
هائلة جاءت ونسجت خيوطها وأرسلتها في جميع أطرافها فان  
الاسلاك التلفونية والكهربائية التي فيها أعدها أعسر من احصاء  
قطرات الامطار ومما يدل على أن الحركة في هذه الجهة من  
لوندره قد وصلت الى نهايات التصور أن الرسائل الواردة عن طريق  
البوستة توزع فيها في كل ساعة من ساعات النهار حتى ان عدد  
المكاتيب التي ترد اليها في كل صباح يزيد عن الالف ألف (وهناك  
مخزن واحد يرد له في اليوم أكثر من ثلاثة آلاف رسالة) وعدد

سكان السنتي المقيمين بها ٣٧٦٩٤ نفسا ولكنها في ساعات  
الاشغال تتوافد اليها الخلائق من كل فج عميق حتى يبلغ عدد  
الذين بها طول النهار أكثر من ٣٠١٣٨٥ منهم ٢٩٥٢٠ رؤساء  
بيوت تجارية و ٢٠٢٢١٥ مستخدما و ٥٠٤١٦ مستخدممة  
و ١٩٢٣٥٥ غلاما لا يزيد سنهم عن ١٥ سنة وقد حسبوا ان في  
٢٤ ساعة (في يوم ٢٧ ابريل سنة ١٨٩١) دخل الى حدود  
السنتي ١١٨٦٠٩٤ شخصا و ٩٢٣٧٢ عربية مختلفة الانواع  
ومتى أقبل الليل رجعت هذه الخلائق كلها وتركت السنتي قاعا  
صفصفا حتى اذا شققتق النهار رأيت هذه الافوام تنهال عليها  
من كل جانب بمئات الالوف كالسيل المنهمر فهى أشبهه بالبحر  
يحدث فيه المد والجزر

ومما يدل على ان روح التجارة مجموعة في العاصمة الانكليزية بلوندره روج  
ان الرسائل التي توزعها البوسمة في لوندره وحدها تزيد عن ربع  
مجموع الرسائل التي يرسم بريطانيا العظمى كلها بل ان بلاد  
اسكتلندة (Scotland) (وتعرف عند العرب باسم سقوسمية)  
ياجمعها لايرد لها من الرسائل نصف مايرد للوندره كما ان ايرلندة  
(وتسمى كذلك في كتب العرب القديمة) بسائر مدائنها ومعاملها  
ومتاجرها البحرية لايرد لها الثلث

فكيف لاتنهال جداول الثروة على هؤلاء القوم العاملين  
الذين يعرفون حقيقة قيمة الوقت حتى ان الرجل منهم اذا افتركر  
في أى أمر من التسهيل والتيسير وثابر عليه بتقليل من الثبات  
وساعده حسن جده لا يلبث أن يصير من أغنيائهم وأشرفهم  
وبلائهم مثال ذلك رجل كان يصطنع البيرة (الجمعه) واسمه (باس)  
فأتقن عملها وتفنن في طرق التعريف بها حتى انه وصل الآن  
الى ثروة لا يمكن تقديرها الا لمن يعلم أنه اشترى الدار التي كان  
يسكنها اللورد بيكونسفيلد وزير انكلترا الشهير ثم فرشها بالمتاع  
الفاجر وبلغت نفقات الفرش وحده ٦٥ ألف جنيهه تقريبا  
من ذلك لوحنان فيهما بعض الصور والمناظر بستة عشر ألف جنيهه  
ولما وصل الى ماوصل من اليسار توصل الى ان صار من اللوردات  
الكبار (اللورد برتون) وعنده الآن سبعة آلاف عامل وله ايرادات  
كثيرة ودخله من الجمعة وحدها بين ٣٠٠ ألف و ٤٠٠ ألف  
جنيه في السنة الواحدة ومرتب مدير الادارة عنده هو ٥ آلاف  
جنيه انكليزي في السنة

ومثله كوك المشهور وتاريخه معلوم في مصر وقد أصبح لبيته  
الآن أقلام ومكاتب في كافة البلاد المتمدنة بل ان له في لوندرة وحدها  
نحو من ثمانية مكاتب وكلها تشبه بل تفوق المصالح المنتظمة



المشهود لها بالاجادة ومما يدل على انتظام ادارته وتيقظ عماله لراحة  
معامله انهم اطلعوني في لوندرة على ترجمة شكواى من وكلائهم  
في برندزى أرسلها لهم وكيلهم في القاهرة نقلا عن رسالتى الاولى  
واستفهموا منى عن اللازم وأوعدوني بمعاينة المقصرين حتى  
لا يعودوا للاخلال بواجباتهم وسأفرد للكلام عليه في الرحلة فصلا  
ان شاء الله

ومثله رجلان اسمهما سبيرز وپوند قد التزما بان ينشئا فى  
جميع محطات لوندرة وبريطانيا العظمى سكردانات (١) للاكابين  
والشاربين من المترددين على القطرات فراجت تجارتهما وربحت  
أعمالهما حتى تعديا هذا النوع الى غيره فأنشآ دكاكين بدالين  
(بقالين) وخباطين وغير ذلك وعندهما من النساء المستخدمات  
نحو الخمائة امرأة

ومثلهما كثير غيرهما اتبعوا طريق الجدد فى أعمالهم ففازوا  
وصاروا من أهل الثروة وأقبلت عليهم الخلائق وأقرت لهم

---

(١) يؤخذ من كلام شفاء الغليل فيما فى لغة العرب من الدخيل ان  
السكردان لفظ فارسي معرب ومن شرحه له يستفاد انه يقابل فى اللغة  
الافرنكية كلمة بوفيه Buffet المستعملة الآن فى اللغة العربية وحينئذ  
فالرجوع الى السكردان أولى وأفضل

بالفصاحة والاصالة وصار لهم في النفوس مهابة وجلال حتى ان كثيرا من المحدثين بهذه الصفة أصبحوا أعضاء في البرلمان بالنيابة عن بعض المقاطعات بل عن بعض المدارس الجامعة وهم كثيرون لأريد أن أطيل الرسالة بذكرهم ولكني لأرى مندوحة عن الكلام على رجل اسمه هويتلي Whitely

هذا الرجل كان في مبدأ أمره من طائفة المتسبين يبيع بعض الاصناف على عربة يدفعها بيده أو يقف بها بجانب البرزوق وقد أصبح الآن وهو صاحب مخازن واسعة في لوندرة لا يضاهاها غيرها في كل البلاد التي رأيتها وقد علمت أنها فريدة في العالم بأجمعه وقد دخلت هذه المخازن فحرت واندهشت وضلت عن الطريق لتشعب مسالكها وتنوع الاصناف فيها فانك تجد عنده كل ما يحتاجه الانسان من أي طبقة كان من يوم مولده الى يوم ممته من جميع الاصناف وكافة الانواع من ملابس للجسم وللرأس واليدين وللأقدام داخلية وخارجية للرجال والاطفال والنساء والبنيات جاهزة أو مفصلة بحسب الارادة ومن أقشة لجميع الناس للملكية والعسكرية البرية والبحرية ومن حرائر ومنسوجات مختلفة متعددة متنوعة ومن روائح واعطار ومن بضائع أجنبية من جميع أقطار الدنيا من مصاعات

ومجوهرات مختلفة الاقدار والاحجام والاثمن ومن مشغولات  
الحديد وكافة المعادن على الاطلاق ومن أخشاب وأحطاب ومن  
كتب وورق وما يقتضيه ذلك من جميع الانواع ومن فواكه  
طرية وناشفة وخضراوات جافة ورطبة جنية ومن لحوم  
الحيوانات والصيد ومن حيوانات حية وأطياف وأسمالك بل تجد  
عنده الفحم الحجري بل الكبريت بل كل ما يتصوره الانسان يجده  
في هذه الدكان وعلى الضمان ذهب اليه في أحد الايام رجل  
من اللوردات وأراد أن يربكه ويضحك عليه فقال له اني أريد  
فيلا أبيض (ومعلوم انه من الندرية بمكان) فتلقاه الرجل بكل  
هدوء وسكينة واستوصفه الفيل اللازم وسأوه الثمن وأخذ عنوانه  
ثم قال له أضرب لك موعدا بعد ثلاثة شهور يحضر مطلوبك فلم  
يمض الاجل المعين حتى جاء الى صاحبنا اللورد كآب في البوستة  
يعلمه بوصول الفيل حائزا لكافة الشروط المطلوبة والاصناف  
المرغوبة وانه مستعد لارساله اليه في المكان الذي يعينه وبلغني  
ان عدد القطيات المستخدمة في مخازنه يقارب الخمسة آلاف  
وأمثال هؤلاء كثيرون

فلا يعجب الانسان حينئذ اذا اضطر القوم للاستعمار الغني والفقير  
والاجتهاد في جلب الذهب الى بلادهم من كافة أقطار الارض



حتى صارت مدينتهم سوق العالم كله وأصبح كثير منهم يكتسبون في الدقيقة الواحدة خمسة أو عشرة جنيهات أو أكثر ومنهم من ايراده السنوى يعتبر في بلاد أخرى رأس مال عظيم جدا ومنهم دوك اف فونشير يملك من الاراضى فقط ما قيمته ثمانية آلاف ألف جنيه ومع ذلك فان ثروته هذه ليست شياً يذكّر بجانب دوك وستنستر فانه لم يتيسر حصرها للآن

وبهذه المناسبة أقول ان الباحث المدقق لا يرى في اى نقطة في الكون منظرا أبشع ومشهدا أشنع من الفقر الذى أناخ بكله على جانب عظيم من سكان لوندرة فان ذلك المنظر يوجب لوعة وألماً لا يضاھم - ما شئ من الاحزان لقربه من تلك الثروة الطائلة وتلك النعمة الكاملة الآخذة في النماء والازدياد بقدر اشتداد وطأة الفاقة وتناهى الاعسار فهلا يرى الناظر بعد ذلك ان هذه المدينة قد تفرقت بالجمع بين الاطراف وانعدم فيها الوسط في كل أمر من أمور الحياة حتى لقد صدق شاعرهم شيلي إذ قال مامعناه

ان جهنم المستعرة \* أشبه بمدينة لوندرة

الرسالة الحادية عشرة

تجول في بعض مدائن الانكليز

قت من لوندرة في يوم الخميس ٢٢ سبتمبر وقد اكفهر وجهه وصف المطر  
والضباب والسماء واحتجبت شمس الضياء وخيمت في المدينة ككتائب  
الضباب ثم تمزقت ضلائع السحاب فتساقطت الامطار كالانهار  
وتسابقت السيول من أعالي التلال وتتابع الرعد القاصف يصحبه  
البرق الخاطف ورأيت الناس يتدوّن في ايقاد النور في الشوارع  
والحوائث والدور فنزلت من العربة الى جهة مستقرية للتفرج  
على هذه الحركة المستغربة غير مبال بهاطل الوايل خفيل لي أني  
في صندوق ككبير من الزجاج القائم وعلى جدرانه شبه أشجار  
منضودة ومياه معدودة وطرائق ممدودة وأشباح في غدور ورواح  
وما وصلت الى سكة الحديد الا وقد بلغ الظلام منتهاه فأسرعت الى  
عربة القطار السريع ورأيت المائنهال من ميازيها كأنها أفواه  
القرب ولما استقر بي الجلوس واستأنست بالجلوس ورأيت النفوس  
تنضج من هذا الجو العبوس فالتحت بعض القوم بهول هذا  
اليوم فقال هذا هو الضباب الاسود ولعله يقف عند هذا الحد  
فلا يكون طليعة لعمرم الضباب الاصفر فانه هو الموت الاحمر

فأظهرت الاشتياق لمعرفة هذا الافتراق فأخبرني أن الضباب  
عندهم قسمان أولهما وهو الذي نشاهده الآن أكثر غرابة وأقل  
ضررا للإنسان فإنه يجعل وقت الظهيرة البريج كنتصف الليل البهيم  
فيسارع الناس بإضاءة النبراس ومتى كان الضباب في الطبقات  
العالية فليس فيه من الضرر ما يستحق أن يذكر ولكنه على كل  
حال لا يوجب عطلا في دولا ب التجارة وحركة الأعمال وأما الصنف  
الثاني فهو الأصفر يؤثر على الحلق ويتهدد الخلق بالخنق ويوجب  
التحفظ على الأقسام بالأكل وقد اخترعوا للوقاية منه كمامات  
مخصوصة للتمكن من التنفس بسهولة وكل من أهمل الاحتراز  
بهذا الغطاء أو بهذه الحكمة خرج الدم من فيه مع اللعاب إن لم  
ترهق النفس وتذهب إلى الرمس وفي الحال يسرجون المصابيح في  
الشوارع والحارات والدور والدكاكين وليكنه يستعمل على  
الإنسان أن يرى النور نفسه ولو كان بمقربة منه وبعضهم يلتجئ  
إلى العربات فيلبثون بها ساعات وترى هذه الحركة الهائلة التي  
تفردت بها لوندرة تقف كلها مرة واحدة ولا يتجاسر الجريء على  
أن يتقدم فترا أو يتهرب خوفا من الاصطدام بشيء مما لا يراه  
وهذا الصنف من الضباب لا يظهر الأمددة خمسة عشر يوما وأخص  
الاقوات به شهر نوفمبر فقد يمر الأسبوع الكامل كأنه ليلة واحدة



قد يتخللها أحيانا شفق باهت يزيد في الحزن والكآبة المنتشرة على أرجاء المدينة ولذلك كان الانكليز أعرف الناس بمضار الجو في مدينتهم فيبارحونها في فصل الشتاء (الامن تضطره حوائجهم وأعماله) ويفر الاعيان والاشراف واللوردات منها في هذه الاوقات لانها تكون والحق يقال غير قابلة للسكنى بما يغشاها من ركام الضباب المتوالى الذى يمزج فيها بين النور والظلام ويزيد في درجة الرطوبة الى حد لا يطاق فشكرت الرجل على هذه الافادة وأردت أن أحيطه علما باعتدال الجو في بلادنا وبهاء السماء عندنا مما يجعلها جنة تقر النواظر وتشرح الخواطر ولكن رأيتهم لا يعبأوا الا بيلاده ولا يلتفت الى غير ما هو في معلومه فأقفلت باب الحديث وأخذ هو والجماعة في تدخين شبقاتهم القصيرة الشهيرة وتلاوة جرائدهم الكثيرة واشتغلت باضافة هذه القوائد على ما علمته من سرعة تغير الجو في لوندرة فان متوسط درجة الحرارة فيها هو ٤٥ ر ٩ من درجات ستيجراد وقد تنزل في الشتاء الى ٣ تحت الصفر ولم يرض الا قليل من الزمن حتى وصلنا برمنغام Birmingham مدينة برمنغام فنزلت بها وهى مدينة قديمة اسمها الاصلى برومويشام ثم حرفها العامة الى بروماجم واشتهرت الآن باسمها المتداول المعروف وهى مركز المعامل التى تشتغل باصطناع الحديد في بلاد الانكليز وفيها

ورش للجلوانوبلستيا ولاصطناع الريش الفولاذ التي يستعملها  
الافرنج في الكتابة بدل الاقلام وللمصنوعات الحديدية الخاصة  
بالنكائس وعلى مقربة منها ورشة لاصطناع الزجاجات العدسية  
الخاصة بالفنارات البحرية وأخرى لعمل العربات ومن أجل مبانيها  
دار المدينة وفيها متحف واف ومكتبة أهلية يقوم بالخدمة فيها  
نساء في غاية النظافة وفيها غرفة مخصصة لمؤلفات شاعرهم  
الفيلسوف الشهير شكسبير تحتوي على مجموعة فيها كتبه التي  
طبعت في جميع المطابع وفيها تراجمها الى كافة اللغات الاوروبية  
وكذلك البوستة يقوم بمباشرة أعمالها نساء لهن حظ واف من  
علم الجغرافية

مدينة دربي ثم قمت منها الى مدينة دربي (Derby) وتفردت  
على مكتبتها ومتحفها ولكنها ليست الا عبارة عن معامل كثيرة  
خالية مما يشرح صدر الغريب أو يستميله لاطالة البقاء فيها وأهم  
شيء يستحق الذكر هو اني حطت بها الرحال (أعني جعبة  
ملابسي ووطاب أوراقي) مدة ٢٤ ساعة

مدينة منشستر وأسعدت بالقيام منها الى مدينة منشستر (Manchester) على  
القطار السريع فترحت نفق اسمه بيك فورست تونل وطوله ميلان  
كاملان ولكن القطار قطعهما في دقيقتين وفيه بطرية كهربائية

لاضافة كافة العربات بالليل أو عند دخولها نهارا في بعض الانفاق فقط ومنشستر مدينة كبيرة عامرة فيها كثير من المعامل وأهم شئ تفرغت له فيها مكاتبها الكثيرة المجانية التي أعدت لتثقيف عقول الاهالي وتشجيع أذهان العمال في أوقات خلوهم من الاعمال وقد رأيت في أهم مكاتبها مجموعة مستوفاة لانظير لها في أعظم مكاتب أوروبا حيث احتوت على جميع ما ألفه العلماء في فن اختزال الكتابة (الستنوغرافيا) وفيها مجموعة كاملة لاهم جرائد بريطانيا العظمى واعمال البرلمان وكتب قديمة نادرة ومعمل للتجليد ورأيت فيها طابعا يؤثر على الورق من غير حبر استحدثوه حتى لا يتمكن أحد القراء من اختلاس بعض أوراق الكتب التي يكون فيها تصاوير ورسوم أو جداول أو غير ذلك مما يستشره الغواة للاختصاص به واتلاف الكتاب برتمته وهي طريقة لطيفة يحسن اتباعها في المكتبخانة الخديوية حفظا لما فيها من الذخائر والنقائس حتى ان الذي يستعير الكتاب النادر لاتسول له نفسه تجريده من بعض الصفحات فيصبح أبتز عديم القيمة وفيها غرفة للقراءة يجسد الانسان فيها جميع الجرائد التي تصدر في اليوم وسأشرح الكلام بالتفصيل على مكاتبها التسعة وغرف المطالعة المتعددة اظهارا لما جاءت به من الفوائد التي لاتقدر وعدد سكان



هذه المدينة ٧٠٠٠٠ نسمة بما فيها سالفور من ارباضها وهى  
كما لا يخفى مركزا لصناعة الاقطان (وفى متحفها نموذج من  
جميع محصولات القطن بأنواعه فى كافة أقطار العالم) وليست من  
شئ فى حسن المنظر وبهاء الرونق وهى كسوق بتون فيه أهـل  
المدائن التى حولها وكلها مختصة بغزل القطن ونسجه وبما يتبعه  
من الصنائع وفيها بعض عمارتستحق الذكر مثل دارأمانة المدينة  
ودار التجارة الحرة وهى معدة للاجتماعات العمومية تسع ٥٠٠٠  
نفس وفيها بستان للنبات فى غاية الانتظام وفيها كثير من الاسواق  
والكنايس المهمة وفى شوارعها وميادينها أنصاب لتخليد كرمشاهير  
الأنكليز وقدمضى على فيها أحد الأحماد فكأنها ولوندره قد  
أفرغت فى قالب واحد ومما زاد فى أهمية المدينة أن شركة تلفت  
وساقت مياه البحر الاطلانطيقى من ليفربول اليها فى ترعة سهوها  
قنال مانشستر لىكى يتيسر للسفن أن تدخل فى انكلترا حتى تصل  
اليها بما فيها من البضائع وقد بلغت نفقات هذا القنال نحو ٦ ملايين  
من الجنيهات والمنظور أنهم يصرفون أيضا أربعة ملايين أخرى  
ثم قمت منها الى ليفربول (Liverpool) ونزلت  
لفربول  
وفندق أدانى بفندق ادلى وهو من أنخر وأنخم الفنادق التى رأيتها بأوروبا  
من حيث الاتساع والاثقان وكمال المعدات حتى ان أدنى

غرفة فيه يضيئها النور الكهربائي وفيها التلفون للمخاطبة مع ادارة  
الفندق وخدمه ولكالملة النازلين به مع بعضهم ومع المشتركين في  
التلفون من أهل المدينة

وقد تفرجت فيها على المحاكم وعرفت أساليب التقاضى والمحاماة  
عندهم وزرت مكتبها ومتاحفها وشاهدت آثارها وأنصابتها وتقابلت  
فيها مع الشيخ عبد الله ويليم كويليم رئيس الطائفة الاسلامية من  
أبناء الانكليز ودعاني لتناول الطعام عنده وأكرم مشواى ورأيت  
قائماً هو وأصحابه بتأدية الفروض الدينية الشرعية بقدر اجتهادهم  
في دار جعلوا فيها قبله ومحراباً ومكاناً للصلاة ومنبراً للوعظ والخطابة  
وفيها مدرسة اسلامية لتعليم الآداب والفنون الانكليزية على ما يوافق  
النصوص الشرعية وهى الى الآن في عهد الطفولية وكلهم متوددون  
لبعضهم رجاء بينهم مقبلون على تكسب أرزاقهم يتخاطبون  
بالفاظ الاخاء ويحيون بعضهم بتحية الاسلام ويزيد عددهم  
الآن عن الستين بما فيهم بعض النساء ولا شك انهن سيكون  
لهن اليد البيضاء في تعميم نشر المبادئ الحقة واطهار مزاي الدين  
الحنيف شأنهن في كل عمل أقبلن عليه في أى قطر من أقطار  
المسكونة وقد ترجوا بعض السور الكريمة ونظموها في قصائد

يرتلونها في بعض الاجتماعات وعندى نسخة منها وقد اديت  
معهم فريضة العشاء في ليلة ٢٧ - ٢٨ ستمبر وقد اشتد الزمهرير  
وتنازات الحرارة وارتفعت البرودة بما لم أعهد له مثيلا من قبل  
حتى كانت جوارحي تنتفض وفرائصي ترتعد كما في العصفور بلله  
القطر واستمرت أسناني على الاصطكاك والاحتكاك حتى تحققت  
ان برد الجوز في بلادنا ليس بالشئ الذي يذكر بجانب ماسميته  
برد الشباب عندهم وكانوا كلهم يقولون أين هذا من البرد الصحيح  
وبعد أن خرجنا من المسجد صاحبتني اثنان منهم لارشادي على  
الفندق وبينما نحن في اثناء الطريق واذا بجمادى حريقة في  
مخزن خشب فوقفنا نتأمل أفاعيل النار مع اشتداد هبوب الرياح  
ولم تض برهة كبيرة حتى ارتفع لسان اللهب الى عنان السماء  
وتطاير الشرر الى جهة الشرق فأنت على المخزن وبعض البيوت  
المجاورة له ولم يتغاب عليها رجال المطافئ مع إقدامهم وبراعتهم  
الا بعد أن بلغت النفس التراقي ولولا حذاقتهم وسكون الاهالي  
وعدم اضطرابهم واستيلاء الهلع عليهم لكانت أحدى تلك اتلافات  
أعظم مما حدث وسأكتب عليها بالتفصيل وانما أذكر الآن ثبات  
الانكليز فاني لم أسمع في الجماهير التي تجمهرت الا صياحا واحدا  
من امرأة استغاثت بالقوم لانقاذ ولدها وألقت نفسها في مقدمتهم

الزمهرير في  
سبتمبر

نار السعير



لاستخلاص فلذة كبدها وبعد ذلك استولى الضمت والسكون  
حتى في أهالي المنازل المجاورة التي كانت ألسنة النار تنطاول  
اليها وبقي رجال المطافئ مالكين لحريتهم في العمل حتى انقضت  
هذه القارعة ولم يمت فيها أحد من الناس والمجد لله

وعدد أهالي ليثربول ٥١٧٠٠٠ نفس وهي أول الموانئ عموميات  
البريطانية بعد لوندرة بل قد تفوق عليها بما يصدر منها الى الخارج  
وأخص تجارتها مع بلاد امريكا اذ يجيئها منها كميات من الحبوب  
والاقطان وغير ذلك من المحصولات مما لا يكاد يتصوره العقل ثم  
تصدرها بعد اصطناعها في معاملها الى جميع انحاء العالم  
وأحواضها أهم ما يوجد في أعظم موانئ الدنيا تدخل اليها أكبر  
السفن في كل لحظة وهي متقاطرة صفوفًا صفوفًا وراء بعضها  
على مدى ستة أميال وزيادة بحيث ان منظرها يعتبر من عجائب  
العالم ولا يزالون الى الآن يشغلون بحفر أحواض جديدة وانشاء  
مخازن للتجارة البحرية

ومن أهم مبانيها قاعة سنت جورج وهي عمارة فخيمة  
جليلة بما فيها من الرونق والبهاء وحسن النظام يجتمع فيها القوم  
أثناء الانتخابات أو الاحتفالات العمومية ورأيت قصر متحف  
الفنون والصور والرسوم وغرفة المطالعة والمكتبة الحرة

والبورصة وغير ذلك من عظام الآثار التي لا يسمع لي المقام  
بالتوسع في الكلام عليها الآن وفيها كما في غيرها من مدائن  
الانكليز تلك الرياض الهندسية التي تنقى الهواء ونسر الفؤاد  
بما فيها من الخضرة والفضرة والمياه المتدفقة والاشجار القليلة  
حتى يتيسر للنظر ان يمتد الى منتهى الافق وفيها مدرسة جامعة  
وغير ذلك مما أستبقى شرحه للوقت والمكان المناسبين له  
هذا وقد كنت عقدت النية على الرجوع الى لوندرة مباشرة  
ولكنني عدلت عن ذلك وعولت على زيارة بعض مدائن الغال  
لقربي منها واعلمى بانّه لم يسبقني أحد من أبناء بلدتي من هذا  
الجيل في التوجه اليها وستكون موضوع الكلام في الرسالة التالية  
ان شاء الله

الرسالة الثانية عشر

تجوال في بلاد الغال

خلق الله الانسان في أحسن تقويم وبرأه على أبداع تكوين  
وصوره في أجل مثال وفطره على أكمل منوال ثم أودع فيه من  
غرائب الغرائز وخفي الاسرار ومكنون القوى ما لا يرتاب في  
وجوده الخاذق الفطين أو يتخيله الإدراكية الفهم أو يحظر على  
بال الليب الاريب ولا يزال العلم يكشف لنا في كل يوم عن قناع  
هذه الخبايا ويكشفنا بما في تلك الزوايا ويطلعنا بمقدار تقدم  
العرفان على ما في الانسان العاجز من آثار الاقتدار كلما قرن  
الارادة بالعمل ووفق بين الفكر والتحقيق في مظاهر الوجود وهذه  
كلها قضايا ثابتة عند من قدح زناد القرينة الصحيحة وتدبر في  
سلائق انطلائق وأرسل رائد التأمل الى بحائب الارتقاء العصري  
وما كان من نتائج سعي العقلاء في الايام الخوالي

أقول ذلك بمناسبة ما شهته به المصريون من الركون الى السبب في  
السكون والخلود الى الراحة والقناعة بالكفاف وما ذلك الا لتوفر <sup>عدم تغرب</sup> المصريين  
العيش في بلادهم البارة بأهلها وتيسر أسباب الكسب ونوال  
الرزق من غير ماكد ولا كدح كما هو الشأن في الامم المتوطنة



بالبلاد الجبلية أو الاصقاع المجذبة القاحلة أو البلاد التي ضاق  
ذرعها عن القيام بأود أبنائها حتى اضطروا للتزوح عنها الى ما هو  
أخصب وأبرك سعيا وراء القوت أو طلبا للرفاهية والنعيم  
وليس السكون من شؤون المصريين دون من عداهم ممن  
يدبون على وجه الكرة الارضية فاهم وربك إلا كسواهم من  
طوائف المخملوقات الذين أفاضت عليهم يد العناية الازلية نعمها  
المتراذفة حتى جعلت بلادهم مطمحا لانظار الغريب عنها يلتجئ  
اليها على الدوام ويقرع أبوابها طلبا للقرى والضيافة  
ثم انا اذا نزلنا في سلم الكائنات الى الحيوانات رأينا هذه  
النتيجة بعينها فانواع الدبابات وأصناف الحشرات وأطيوار الهواء  
وأسمالك الماء خاضعة لهذا الناموس الكوني العام فما كان منها  
في وسط مشحون بالخيرات تراه من طبيعته ميالا للسكنية وعدم  
العنفوان وما كان بعكسه ~~يكون~~ من خلقه البطش والبغي  
والعدوان وقد استمر الحال على هذا المنهاج حتى تأصلت هذه  
الاخلاق وصارت وراثية في كل من الفريقين يتناقلها الابناء عن  
الآباء والاحفاد عن الاجداد ولكننا اذ قلبنا الموضوع وعكسنا  
القضية كما يفعل علماء الطبيعيات ببعض الحيوانات لا تلبث  
الجبلات ان تتغير والسجاييا ان تتحور والطبائع أن تتنوع وتتحول



وثبتت في أخلاقهم حتى أنهم فاقوا جميع أمم الأرض في هذا  
الموضوع

استعداد  
المصريين  
للسياحة

وبعكسهم المصريون واشباههم من الاقوام فانهم لم تحوهم  
بلادهم للخروج من حوزتها ومبارحة حومتها فانها تكفلت لهم  
بلازم الحياة ولم تضن عليهم بما يسد رمقهم حتى انه ما يمكن  
ولا يمكن ولن يمكن أن يموت فيها أحد بسبب الجوع كما هو حاصل  
في كل يوم بلوندره وغيرها من مدائن الانكليز ولا يمكن أن لا يجد  
العامل فيها عملاً يغنيه عن بذل ماء الوجه وإخلاق الدياحة أو  
الانتحار ان كان في نفسه شئ من الشمم والشهامة وأما لوندرة  
وحدها فقد شهد الاستاذ كيرهاردي نفسه وأكد بأن عدد العمال  
الذين لا عمل لهم هو ١٠٠٠٠٠ ومعلوم ان أقل تعطيل في  
معامل أية مدينة من بلاد الانكليز يوجب انقطاع الخبز عن  
مئات ألوف من العمال كما تشهد به التلغرافات

فلا غرابة حينئذ في أن مصر لم تخرج كثيرين من أهل  
السياحة والزياره ومحبي الاستطلاع وليكن ذلك ليس برهانا على  
عدم استعداد أهلها لها بل ان البارئ جل وعلا خصهم أيضا  
بهذه الغريزة كما حلالهم بصفاء القريحة وجودة الذهن وسمو  
المدارك وغير ذلك من المزايا العقلية التي يعترف لهم بها حتى



أعداؤهم من الاجانب وانما الاعمال محك الرجال فلا يصح للعاقل  
المنصف حينئذ الآن يسخر ويستخف بأوائك السائحين الذين  
جاؤا مصر وحكموا بأن أهلها ليس فيهم اقتدار على السياحة  
وطلب العزفي التنقل فان أول طواف حول افريقية كان في  
عهد الفراعنة الاقدمين وعلى سفائن المصريين وبواسطة المصريين  
خرجوا من بحر الروم مغربين حتى تجاوزوا ببحر الزنفاق (بوغاز  
جبل طارق) ثم اجتازوا بحر الظلمات (المحيط الاطلانطي) الى أن  
باغوا ما يعرف الآن برأس عشم الخير ثم جاؤا البحر الهندى  
وألقوا المراسى عند مدينة القلزم (قريبا من السويس) ومن  
نظر في كتاب (مصر والجغرافيا) الذى وُفقت الى اظهاره حديثنا  
اذعن بأنهم قد كانت لهم اليد البيضاء فى الاكتشافات الجغرافية  
التي حصلت ببلاد السودان وغيرها وان كانت رسائلهم  
وتقاريرهم وكتابتهم لم تزل حقاها من الانتشار حتى تكون بهجة  
فى عين المحب وقذى فى عين المبغضين

الاندفاع  
للسياحة

ولقد صدق الفرنسيون فى المثل الذى أرسلوه حيث قالوا (ان  
الشهية تحضر وقت الاكل L'appétit vient en mangeant)  
واصدق منهم امامنا البوصيرى فيما أتى به من الحكم (ان الطعام  
يقوى شهوة النهم) فانى حينما أتيت لى مبارحة الربوع التى ألفتها

والديار التي عهدتها وهذه هي المرة الاولى عرفت مقدار الحنين اليها والتوجع من مفارقتها حتى لقد اشتد بي الوجد عليها وأنا بفلورانس على مقربة منها ولا يعرف الشوق الا من يكابده ولا ينكر هذه العواطف النبيلة الا من تجرد منها ~~وا~~كنى كنت كلما طوحت بي الاسفار أستأنس الى السياحة وأرى في نفسي ما يجذبني الى رؤية بلاد كثيرة واقوام عديدة حتى اني لما كنت بلفربول شعرت بما يدفعني الى زيارة بلاد الغال وقد دارت المكالمة بيني وبين بعض الانكليز على ما عزمتم عليه من التوغل في هذه البلاد فاستكبر هذا المشروع على شاب من المصريين وقال لي انه من باب المجازفة سيما مع قلة بضاعتي في اللغة الانكليزية مع كوني لو كنت متقنا لها لما أفادتني بشيء كثير لان أهل تلك البلاد لهم لسان آخر خاص بهم وهو بعيد عن الانكليزية بعدا شاسعا فقلت له ولم تقدمون أنتم الى بلادنا وتكتبون عليها مع عدم معرفتكم بلساننا ولاوقوفكم على اخلاقنا فقال لي اتنا نستمع بما كتبه اسلافنا الذين خالطوكم وأقاموا بين ظهرانيكم فضلا عن انتشار لساننا في أوطانكم وكثرة الترجمة الذين نستخدمهم في التفهم والتفهيم فأجبتهم بانى لا أرى من مانع في ان اكون لقرى مثل أولئك الاسلاف الذين تشير اليهم وانى

أستعين بترجمان من أهل تلك البلاد يفهمنى بالانكليزية وعلى قدر الامكان ما ليس فى وسعى ادراكه من لغة قومها فان الانكليز والامريكانيين لابدأن يكوفوا قدموا اليها وحيدئذ فلاشك فى وجود نفر من أهلها يكامونى بالانكليزية على قدر ما أفهم ثم أحطت صاحبى بمشروع سياحتى فى الانداس والبرتقال وانى لأفهم كلمة واحدة من اللغة الاسبانية فقال ذلك سهل عليك لانها قريبة من الفرنساوية والاطليانية ولك بهما إلمام فسلمت له بسداد هذا الجواب فقال لى وهناك عوائق أخرى ربما لا تقوى على مقاومتها وهى السبرد الشديد والرطوبة الزائدة ونوالى الامطار فى هذه البلاد الجبلية فقلت له وفوق ذلك فانى عازم على النزول الى مناجم الفحم الحجرى فهز رأسه وبرم شاربيه وتبسم ضاحكا ثم قال بصوت متقطع (اذا كان الكلام سهلا على اللسان فالعمل صعب على الانسان) فترجعت له ما قاله شعراؤنا (أنجز حر ما وعد - وان غدا لناظره قريب) ثم ودعته بعد ان وعدته بانى اكتبه من هاتيك البلاد وركبت القطار فى عصارى النهار

ولما وصلت الى مدينة شستر Chester استدعيت جمالا <sup>دخول بلاد</sup> نقل متاعى الى قطار آخر وأعطيته جنهما ليستحضر لى تذكرة الى لنجولن Ljengollen ويرد لى الباقي فذهب وغاب ثم رجع <sup>الغال</sup>



موفيا بالمراد فأتحفته بما قدرني الله عليه لاني افتكرت أنه كان  
لجسوتلن في وسعه عدم الرجوع ووصلت لنجوتلن في منتصف الليل أو قبله  
بقليل وكان المطر متواليا عليها بمالم أعهده في عمري وأما البرد <sup>ومناظرها</sup>  
فيكفي أن أقول انه أهداني بالزكام مدة أربعة أيام وسمعت للمياه  
خيرا يشبه الهدير والزئير وكمائها متدفقة من صخور عالية  
متأطمة على جنادل متوالية متساقطة في جداول سافلة وبلغت  
الزل كالغريق لا يخاف البلل فأوقدوا نارا حامية اصطليت بها  
واستأنست لها وما سمعت آذان الديكة في الايكة وتسبيح الاطيار  
على أفنان الاشجار حتى وثبت الى الشباك وألقيت نظرا متسارعا  
الى ما أمى من المناظر فاذا جبال شاهقة تكسوها خضرة رائقة  
تخللها ازهار شائقة تكتنفها أشجار باسقة تنساب بينها مياه  
دافقة لونها ضارب الى الاصفرار والاحرار مثل مياه النيل المبارك  
أيام الفيضان فانبج فوادى كما انبج جسمى وقرت عيني بباعر هذه  
المناظر وجمال هذه الجمال حتى عوات على اطالة الإقامة في هذه  
المدينة الصغيرة التي يبلغ عدد سكانها ٣١٣٣ نسمة فأخذت  
الى الراحة فيها وترويح البال بمرايها بعد أن لاقيت من لفظ  
المدائن الكبيرة وضجتها ومنتاهى اضطرابها وحركتها ما جعلني  
محتسجا لقليل من الراحة حتى يعود لى النشاط لموالاته السباحة

ومن الغرابة أنى علمت بعد مبارحتى لها بزمان ان أهل التجوال  
لا يحطون بها الرحال الا للاستراحة

فانها مدينة صغيرة واقعة على نهر الدي (ومعنى دى باللغة عومييات على  
لنجولن) الغالية الاسود وبالانكليزية بلاك) وتسمى بلسان أهلها لنجولن  
وان كانوا يسمون اسمها فى الكتابة هكذا (لنجلولن) وعلى نحو  
ميلين منها اطلال دارسة لدير قديم وهى أجمل ما بقى من عمائر  
القدماء فى شمال هذه الاراضى وعلى ميل ونصف منها بقايا  
حصون منيعة قائمة بشكل مخروطى على تل مرتفع يطل على  
المدينة ويصد عنها المغيرين عليها وقد زرتها بالتفصيل وشاهدت  
أعمال الحفر فيها وكشف ما كان دارسا تحت الارض منها - ما  
وفيما وراء هذه الحصون يمتد النظر الى مسافة أربعة أميال  
تشغلها جبال طباشيرية وتخللها مروج أريجة ومراع فسيحة  
ويحف بالمدينة من الشمال الى الجنوب واد يسمى بهيج يبلغ طوله  
٢٤ ميلا ينعش الفؤاد ويشجى النفس بنوره وزهره وخضرته  
وقد آثرت التوجه اليه على عربة فى طريق البر عن ركوب  
القطار حتى أتمتع باجتلاء محاسنه وتسريح الطرف فى مشاهدته  
ورأيت ما أبقاه فيه الدهر من آثار القصور الدارسة التى تتعلق  
بما كان لها من المكانة فى الفخامة والجلال وتنهى بان الايام  
خلعت عليها ما عندها من الجمال

طباع أهل  
الغال  
وقد تنقلت من هناك الى قرى كثيرة حول لنجوثلن وتحققت  
في أهل الغال بشاشة وبشرا واثنا سوا ويسرا مع الطباع الكريمة  
والاخلاق الفاضلة النبيلة ولهم بالغريب حفاوة وأى حفاوة فهم  
يتهاكون على خدمته والاجتهاد في مرضاته من غير أن تكون  
لهم غاية ما في ديناره وخلاصة القول انى عهدت فيهم تلك السجيا  
البدوية العربية الفاضلة التي تتجلى مظاهرها في الارياض  
والخلوات أكثر منها في المدائن والامصار وهذا ما حدانى على إطالة  
المكث بلنجوثلن أكثر مما تستحق في الحقيقة وخصوصا ان الفندق  
الذى نزلت فيه وهو (هاند هوتل Hand Hotel) قد قام أهله  
بخدمتى فوق اللازم ويسروا لى جميع المطالب بما كتب لهم على  
صحيحة فؤادى آيات من الشكر لا يعوها الدهر ولقد وطنت نفسى  
على الذهاب الى هذه المدينة اذا ساءتنى العناية بالقدم الى  
أوروبا مرة ثانية

نساء الغال  
وقد رأيت النساء فى بلاد الغال يفسقن اضرابهن فى بلاد  
انجاعة الحقيقية فيما هو من مميزات الجنس اللطيف مع ما هن  
عليه من البساطة التى تستوجبها المعيشة الخالوية وبعدهن عن  
التأنق الذى يضطر اليه أترابهن حينما يطلعن فى سماء الامصار  
وللسيدات فى لنجوثلن جمعية خاصة بهن فى دارهى فى الحقيقة



تحفة الناظرين وطرفة للقادمين فقد حوت من آثار الصناعة  
وبدائع الاعمال مالا يمكنى المقام من استيفائه الا ان فانها كلها  
من الخشب القديم المشغول شغلا دقيقا على يد أمهر الصناع وفيها  
طرائف قديمة ومجموعات نفيسة من حلى وجواهر ومتاع فاخر  
وصور ومناظر وأسلحة ونقوش وأشكال وأواني يلمق بها  
ان تعرض في أهم المتاحف المعتبرة وفيها رجام قبر من الرخام مكتوب  
عليه عبارة باللغة التركية

وفي هذه المدينة الصغيرة أكثر من اثني عشر معملا لغزل  
الصوف ونسجه يديرها التيار والبحار وقد تفرجت على بعضها  
ورأيت الصوف كيف يفرز ثم يتظف ثم يغزل ثم ينسج ثم يغسل  
ثم يكوى ثم يلف وكل ذلك بواسطة الآلات وتحت مراقبة  
شردمة من الغلمان وثلة من البنات

ولا أعلم كيف استولت على الرغبة في التوجه الى منبع نهر  
الدى ورؤيته وهو يخرج من البحيرة التي تجتمع فيها المياه  
المتساقطة من الجبال فجهزني أهل الفندق بما يلزم وأحضروا لي  
ترجانا صاحبني في ذهابي بالسكة الحديدية الى مدينة بالا Bala  
وسرت مسافة ساعة حول بحيرتها ورأيت الجداول تساب من  
قلل الصخور القريبة منها وتمثال في حياضها ثم تجرى الى الوادي  
فيتمكون منها نهر الدى

وصف مناجم الفحم الحجري كل ذلك والمطرمة - وال لا ينقطع الا مقدار خمس دقائق  
تطلع فيها الغزالة ثم لا تلبث ان تختبئ وراء حجاب السحاب يكسنفها  
قوس قزح مزدوجا بل قد لامتلهما الامطار ريثما تختبئ عن  
الانظار ولقد طاب لي المقام في هذه المدينة الهادئة المطمئنة مع  
ما فيها من التغيرات الجوية التي لا تحظر على بال من تعود اقليمنا  
ولكني ما قدمت في الحقيقة الى بلاد الغال الا طمعا في رؤية  
مناجم الفحم الحجري اس الصناعة وينبوع الثروة ومحور العمران  
في هذا الزمان ذلك المعدن النفيس الذي يجدر بنا أن نسميه الحجر  
الكريم والا كسير الصحيح فانه فضلا عن فوائده المتعارفة قد  
استخرج منه علماء الكيمياء اصباغا باهية متنوعة واعطارا اذكي  
من جميع الاصناف المعروفة وسكرايباع في الصيدليات والدرهم منه  
يوازي أكثر من ثلاثين من أجود أنواع السكر المعتاد وقد أثبتوا  
أن حجر الماس من الكربون وبذلك يجوز لاهل البيان أن يقولوا  
ان الماس من الفحم في الحقيقة والمجاز (وسبحان من يفتق النور  
من زرق الظلمات ويخرج الاحياء من الالوات) وفيه غير ذلك من  
الجواهر والمنافع والمزايا التي ربما أتعرض لشرحها عند الكلام  
على المنجم الذي زرته بالتدقيق والتفصيل فاني قمت من لنجوثلن  
يصحبنى ابن ربة النزل حتى وصلت الى مدينة شيرك Chirk

على طريق يشبه السكك الزراعية في بلادنا وانعظفت منها الى  
منجم بقربها

وما تمكنت من زيارته الا بعد عناء شديد لان القوم  
حسبوني في أول الامر رائدا من طرف أصحاب المناجم الالمانية  
جئت أسترق أسرارهم وأقف على طرائقهم الى غير ذلك مما يخشاه  
أهل الفن الواحد من بعضهم ولكن المدير لما عرف صفتي  
ووطنى واطلع على رقعة زيارتي فتح لي الابواب ومهد امامي الطرق  
وأتحفني بكافة المعلومات وأعطاني نسخا من التقارير الرمسية  
والرسائل الفنية لاستعين بها على الاشباع في هذا الموضوع ثم  
قام بنفسه وطاق معي جميع الاماكن وأحاطني بكيفية العمل  
ثم أمر وكيله ان ينزل معي داخل المنجم بعد ان ألبسني رداء  
قصيرا من الجوخ الغليظ الخشن وسلمني هراوة أوكا عليها  
وأستعين بها على التماس في السير داخل هوة النفق الخالصة  
وأعطاني مصباحا من مصابيح الامان اهتدى به في السير واستعين  
به على النظر ثم قدم لي شيئا من المرطبات وقال لي (قد صرت  
الآن من عمالنا فأخضع لنواميسنا فبادر بالعمل بلا مهل) فامتثلت  
وانحيت مع الوكيل في أحد الصناديق الموضوعة على المركبة المعدة



الخراج الفحم من جوف الارض الى وجهها فهوت بنا المصعدة  
(Ascenseur) وكان سطح الصندوق الاسفل يفر من تحت أقدمى  
بمناسبة سرعة الآلة في النزول حتى رست بنا على بعد ثمانمائة  
متر عن سطح البسيطة فاستلمنا أحد العمال وقتش جيوبنا لثلا  
يكون معنا شيء من الدخان أو الكبريت أو المواد القابلة  
للانفجار ثم خص المصباح الذي معنا (وكان الوكيل نفسه خاضعا  
قبل لهذا الاختبار) وبعد ذلك سمح لنا في المرور فسرنا من سرداب  
الى سرداب صاعدين هابطين مقبلين مدبرين بالتواء وانعطاف  
بحسب اتجاه عرق الفحم في بطن الارض وكنا نمر على سلك  
حديدية عليها قطارات مختلفة الاتجاهات بحسب دفع البخار  
وجذبه بواسطة السلاسل الحديدية وفي الجهات المطمئنة رأينا  
خيولا تجر العربات مشحونة بالفحم وتتركها بجانب المصعدة  
تترفعها الى وجه الارض ولهذه الخيول التي لاتنقص عن الثلاثين  
اصطبلات في السرايب فيها كل ما تحتاجه من المؤونة والراحة  
وفي السرايب حنفيات للمياه وتنانير للنيران وآلات للبخار وفوهة  
كبيرة عليها آلة عظيمة تدخل الهواء بكثرة زائدة الى هذه الهاويات  
العريقة وهذا المنجم مركب من دورين أحدهما فوق الآخر  
فالاول تحت سطح الارض بمسافة ثلثمائة متر والثاني تحته

بخمسة مائة متر وقد طفت فيهما ثلاث ساعات ولم يتيسر لى أن  
أسلك في كل طرفاتها لان ذلك يستغرق يومين أو ثلاثة  
ولكننى استعضت عن ذلك بالتوجه الى أقصى ناحية وصل  
اليها العمال واقتنعت بذلك ودخلت الى أبعد نقطة في كليهما  
حيث رأيت العمال يقيمون الاخشاب لاسناد السقف حتى لا ينهار  
عليهم ووقفت حينئذ ممجبا باقتدار الانسان واذا بفكر مظلم  
تولانى فاقشعر منه جسمى ووقف له شعر رأبى اذ مرّ على  
ذا كرى كالسهم الخاطف تاريخ تلك الكوراث والقوارع الكثيرة  
الوقوع فى المناجم وتذكرت أحدثها وهو ما كنت قرأته بالجراند  
الافرنكية فى مصر فى شهر مارس الماضى من الانفجار الذريع  
الذى حصل بأحد المعادن فى بلاد البلجيكا حتى انه لشدة الرجة  
التي أحدثها جعل أهل البلاد البعيدة عن موقع هذه الطامة  
بمسافة خمسة كيلومترات يتخيّلون حصول زلزال عنيف ومالبت  
الخبر أن انتشر حتى توافد الناس أفواجا الى محل الوقعة الفظيعة  
وأخصهم أهالى العملة وعمالهم واشتغل أهل الاقدام والجرأة  
بترتيب وسائل استنقاذ الارواح من هذا الموت الزؤام ولكن  
اجتهادهم ذهب ادراج الرياح وضاعت مساعيهم سدى فقد كتب  
الله أن تكون هذه الطامة عامة فانهم شعروا بتزعزع جديد فى

بواطن الارض أعقبه صياح رنان (النار النار) وأبصروا الشرر  
يتطاير في الهواء من بئر التهوية يحيط به دخان كثيف كان يتسارع  
الى وجه الارض نذيرا باعتزال العناصر في احشائها واجتماعها  
على اهلاك من فيها من العملة المساكين بشر أنواع العذاب الممين  
ثم أنهار أحد جدران بئر التهوية فساعد على اشتداد النيران وقطع  
جبال الرجاء في الانقاذ والقداء وكان الناس وهم في حالة اليأس  
يسمعون زئيرا شديدا يخرج من الاعماق ويشعرون باضطراب  
وارتجاج وفي بعض الاحيان كانت تهب عليهم روائح خصوصية  
وتهاجمهم أبخرة كبريتية فتعلمهم باشتداد الكرب وتوالى الخطب  
وتنبئهم بان الحريق آخذ في الازدياد وانه لا مطمع في استخلاص  
ضحايا النار حتى اصفرت الوجوه وذهبت العقول وضاع الصواب  
فأقبل كثير من الحاضرين وفيهم جسم غفير من النساء يترامون  
على البئر وقد أحاط به الجند ولم ينجحوا في صد المعتوهين عن  
اللعوق بأبائهم وأزواجهم وأبنائهم وأقربائهم لانقاذهم من مخالب  
النار الا بعد أن أشهروا السيف البتار وتكاثفت جوعهم  
فزحزحوا الناس بقوة السلاح وهم يتظرون اليهم بعيون زائغة  
تنظروا لآثرى وأفواه تصطك أسنانها وقد انعقد لسانها ووجوه تولاها  
الذهول واعتراها الخبال فصاروا كالاشباح بلا أرواح ولا أتذكر



الآن بالضبط عدد الذين ذهبوا فريسة هذه القارعة ولكني أذكر  
انه يبلغ المائتين وهذه حادثة واحدة من كثير دونهما تاريخ المناجم  
و كنت أفكر فيها كلها ولم يخرجني من هذا الحال الاتجاعي العمال  
بلسان الغال فاني لو كنت من البارعين في فن المفارقات لقلت انه  
يتركب بحسب هذا البيان (أي النسخة باعتبار بعض المصريين)

قيراط

ألماني	٨
انكليزي	٢
لاوندي	١٠
يوناني	٢
سرياني	١
عربي وعبري	١

٢٤ مزوجة مع بعضها ينشأ عنها اللسان الغالي

وحيثذ بادرت بالخروج الى وجه الارض وشكرت افضال  
المدير وان ارتجف من هول الخطر الذي ألقيت بنفسي في تهلكته  
ولكنني قلت في نفسي ان الذي يجيى بلاد الانكليز ولايري  
معادن الفحم الحجري فلا يصح له أن يقول انه كان في انجلترا  
أوزار هذه الجزيرة

ثم انطلقت من هذه المدينة (شيرك) الى مدينة أخرى

تفرحت فيها على معمل اصطناع الطوب المطبوخ (الاجر) بواسطة  
البخار وهو معمل كبير يأخذ الطين اللازم من تل كبير مجاور له ثم  
انتقلت الى مدينة أخرى قريبة منها ورأيت فيها العملة يلعبون  
بعد خروجهم من المعادن بالكرة بأقدامهم (الفوت بول) وهولعب  
رياضي خاص بالانكليز ولهم فيه مهارة غريبة

ومن هنا ركبنا القطار راجعا الى شستر وهي فيما بين بلاد  
الغال وبلاد الانكليز ولكنها تعتبر من الثانية ومع ذلك فسأذكر  
عليها الآن تفصيلا قليلا

مدينة شستر هذه المدينة قديمة أسسها الرومانيون على مصب نهر الذي  
الذي يمر على لنجوتلن وعدد سكانها ٣٦٧٩٤ نفسا ولا يزال  
فيها كثير من بقايا الرومان وأبراجهم وأسوارهم التي هي كشوارع  
معلقة في المدينة اعتاد الاهالي على التزهة والرياضة فيها و يبلغ  
طولها ميلين ومن الامور التي انفردت بها ان برازيق الطريق  
يكون عليها حوائيت وخلفها ممشي فيها دكاكين أخرى وفوق  
الحوائيت الامامية يرتفع الدور الاول من المنازل فيكون الشارع  
عليه من الجانبين صفان من الخازن وخلف كل منهما ممشي فسبح  
مواز للشارع وعليه دكاكين أخرى وسقفه هو أرضية الطبقة  
الاولى من المساكن وفيها كنائس عتيقة بعضها مشيد بالطوب

الاحمر وفيها ميدان فسيح تنسابق فيه الخيول في بعض أيام السنة  
وخلاصة القول أن لها منظرا انفردت به دون المدائن التي مررت  
عليها ببلاد المشرق وأوروبا وقد اشتهرت بصناعة الجبن وان لم يكن  
من طبيعتها أهلها فقد بيضوا صفحات تاريخهم بالزود عن  
حياتها أيام كانت بلاد الانكليز منقسمة الى ممالك صغيرة  
كثيرة في عراك مستمر وحروب مستمرة  
والى هنا أستوقف اليراع عن الافاضة في شرح ما عندي من  
المعلقات والمفكرات فان ما ذكرته عن بلاد الغال قليل في جانب  
ما استحصلت عليه من الفوائد والمعلومات ولكن القليل دليل  
على الكثير





الرسالة الثالثة عشرة

العودة الى لوندرة

\* (وفيها ايماء بايجاز الى نهر التيمس وقناطره والانفاق التي تحت الارض والحدائق والكائنات والقصور وبنك انجلترا ودار الضرب وبرج لوندرة ومحلات البر والاحسان ومؤنة المدينة ومينائها وتنويرها ومطافئها وشربها ومصارفها وضواحيها (رثمنند ببساتينها ووندسور بقصر الملكة ورياضها) ومعرض « مصر القديمة » في لوندرة والصناعة الشرقية العربية فيه واستنهاض الهمم اليها) \*

رجعت من بلاد الغال الزاهرة التي هي في انجلترا بمخاطبة  
سويسرة بما يتجلى فيها من محاسن الطبيعة ونضرة الحياوات  
وزلت ثانية بعاصمة الانكليز ورأيت فيها ما رأيت مما قصصت  
بعضه في رساتي الاولى عليها وهي وان طالت بقدر ما طالت  
فليست في الحقيقة بالنسبة لهذه المدينة الا كالبعوضة بجانب  
الطود الشامخ ولا يطاوعني قلبي على الانتقال منها الى غيرها  
ولكنني لا يتسنى لي بأى حال من الاحوال ان افيض في شرح  
الكلام على التيمس وقناطره الاربعة عشرة وأرصفته المنضودة  
الممدودة على جانبيه أو الانفاق التي تمر تحت قاعه كأن

الآلاف المؤلفسة من العربات المختلفة الانواع وقطارات البخار  
والترامواى والزوارق التى تجرى على وجه النهر كعدد النمل كلها  
غير وافية بحاجات أهل هذه المدينة للانتقال من شاطئ الى شاطئ  
فقداهم ميلهم للاختصار وتوفير الزمن وتسهيل العمل الى احداث  
هذه الاعمال الشاقة فان أحدها (ثيمس تونل) يبلغ طوله ٣٦٦  
مترا وهو عبارة عن ممشين معقودتين متصلتين بيواكى واساطين  
على مسافات متساوية ويمر تحت قاع الماء بعمق ستة أمتار وقد  
بلغت نفقاه ١٥,٣٥٠,٠٠٠ فرنك وكان فى أول الأمر  
مخصصا لافراد الناس ينزلون اليه من سلم مظلم مترق ارتفاعه  
١٩ مترا ولكنه لم يحز من الخلائق اقبالا مع كون أجرة المرور  
كانت زهيدة جدا وهى بنس واحد (٤ مليمت) فاشترته شركة  
خصوصية فى سنة ١٨٧٢ ومدت فيه خطوطا حديدية تجرى  
عليها القطارات وتتصل بسكة حديد العاصمة وقد كان انشاؤه  
فى سنة ١٨٢٥ وأما النفق الثانى فهو بجانب برج لوندرة واهمه  
(نور سبورى) وهو عبارة عن قناة من حديد الزهر قطرهما متران  
وطولها ٣٧٥ مترا ينزل اليه من سلين حلزونيين على ٩٦  
درجسة موضوعين على ككل من ضفتى النهر (واجرة المرور  
نصف بنس أى مليمان) وكان البعد فيه فى شهر فبراير سنة

١٨٦٩ واتمامه في شهر ابريل سنة ١٨٧٠ ولم تزد نفقاته عن  
٤٥٠,٠٠٠ فرنك

وأما الثالث فقد انشأته شركة السكة الحديدية الكهربية

وقد احتفل البرنس دوغال بافتتاحه في ٤ نوفمبر سنة ١٨٩٠

نعم اني خصصت هذه الرسالة لذكر بعض آثار لوندرة دعماؤها  
وتحفتها وضواحيها ولكني لأجد متسعا للقول على حدائقها  
العشرة التي يضرب بها المثل في العالم كله ولاعلى بستان البنات  
وما فيه من غرائب الحيوانات ولاعلى كنائسها المهمة مثل  
القديس بولس ودير وستمينستر والهيكل والكائس الانكليزية  
والبيع المنشقة عنها والبيع الكاثوليكية والاجنبية فان عددها  
في المدينة وارباضها يناهز الالف ونصف الالف وللهود فيها ٦٠  
كنيسة الى غير ذلك من أما كن العبادة العديدة التي أقامتها  
طوائف دينية لا يحصىها الا الله . وكيف يتسنى لي أو لغيري  
تلخيص شيء وجيز في مثل هذه العجالة عن قصور تلك المدينة مثل  
دار الندوة (البرلمان) وقصر سان جيمس وقصر بوكينجهم والويت  
هول (وقد كان فيه اعدام الملك تشارلس الاول) وقصر مارلبورو  
وقصر كنسنتن وقصر لمبث (وهو مقر رئيس أساقفة الكنيسة  
الانكليزية) وقد رأيت فيه مصحفا بخط أحد سلاطين مصر



موضوعا في الكنيسة بجانب الانجيل وغير ذلك من قصور الملوك  
والامراء أو المخصصة للنوادي والاجتماعات وبمثل ذلك أعترف بأنه  
ليس في وسعي أن آتى بلمع يسيرة عن الأماكن المدنية والعمائر  
العمومية مثل جلد هول (الذي هو دار أمانة المدينة) وفي أحد  
قاعاتها تماثيلان عظيمان من الخشب المجوف يمثلان بأجوج ومأجوج  
وتسع هذه القاعة ٧ آلاف نفس وفيها مكتبة حرة فيها سبعون  
ألف مجلد وفيها متحف للآثار والمخلفات الباقية من لوندرة القديمة  
وقد عرضوا فيها امضاء شاعرهم شكسبير على عقد مبايعة اشتروه  
للمتحف بمبلغ لا يقل عن ١٤٥ جنيتها وفي الدار تلك العربية التي  
يركب عليها اللورد أمين المدينة في التاسع من شهر نوفمبر يوم  
الاحتفال بتعيينه وتبلغ النفقات اللازمة لترميمها ٢٥٠ جنيتها  
في كل سنة منذ انشائها في سنة ١٧٥٧ أو المنشئ هوس  
(هو القصر الذي يسكن فيه اللورد أمين المدينة مدة سنة انتخابه)  
أو البنك (ويرد اليه في كل يوم ٥٠ ألف ورقة قيمتها مليون جنيه  
فيمزقون أحد أطرافها ويحفظونها مدة ١٠ سنوات ويصدرون غيرها  
للتعامل وفيه مطابع كثيرة كل واحدة تخرج في اليوم الواحد ١٦  
ألف ورقة مختلفة القيمة وقد بلغ عدد الورق الذي أرجع الى  
البنك في يوم ٨ اكتوبر سنة ١٧٩٢ ٦٧٤١٧ وقيمته ٥٠٧٢٧٥

جنيتها ورأيت فيه ورقة قيمتها مليون جنيهه ولا ثمانية لها ورأيت  
ورقة تداولتها الايدي مدة ١١١ سنة وبلغت أرباحها المركبة  
٦٠٠٠ جنيهه وفيه ٤٩ مكتبا ويخفزه بالليل قره قول فيه ٣٤  
عسكريا وضابط واحد وهو غير قابل للاحتراق وفيه سبائك كثيرة  
من الذهب الابريز والفضة الخالصة وفيه آلة لوزن الجنيهات تلقى  
بالجنيهات الصحيحة في مكان وبآلة تقصت بالمداولة والمعاملة في  
مكان آخر وترز في الدقيقة الواحدة ٣٣ جنيتها وفي كل يوم من  
٦٠ ألف الى ٧٠ ألف جنيهه وقد كان رأس مال البنك في  
أول الامر ١٢٠٠٠٠٠ جنيهه وصار الآن ١٤٥٥٣٠٠٠ جنيهه  
انكليزي وقد بلغ عدد الورق الذي صدره البنك في خمس سنوات  
ثم عاد اليه ودفع قيمته ٧٧٧٤٥٠٠٠ ورقة بنك نوت تمسلا  
١٣٤٠٠ علبة واذا وضعت هذه العلب بجانب بعضها بلغ طولها  
مليون اثنين وثلاث ميل ولو وضعت هذه الاوراق فوق بعضها  
لكان ارتفاعها خمسة أميال وثاني ميل ولو صفت الى جانب  
بعضها طرفا لطرف لتكون منها شريط طوله ١٢٤٥٥ ولو حسبنا  
مسطحها لوجدناه يساوي مسطح حديقة الهايد بارك (ومعلوم ان  
سطحها ١٦٠ هكتارا) وقد كانت قيمتها الاصلية عبارة عن  
١٧٥٠٦٢٦٦٠٠ جنيتها انكليزيا وثقلها ٩٠ طونولاطة وثلاثا  
طونولاطة

ولأذكر الآن شيئاً عن البورصة وأعمالها ودار البورصة  
والتلغراف والكبرك ودار الضرب (ويبلغ عدد العملة التي  
تصطنعها في الأربعة وعشرين ساعة ٥٠٠٠٠ جنيه إنكليزي)  
وكيف يتسنى لي التلمح بكلماتين إلى برج لوندرة وما فيه من  
الأسلحة الفاضحة والحلى المجهرة أو المتحف البريطاني وقد طار  
صيته في الآفاق بكثرة ما فيه من الذخائر والأعلاق وتنوع  
النفائس واختلاف المخلفات مما يجعله في مقدمة متاحف الدنيا  
حتى أن غرفة المطالعة فيه لا مثيل لها في العالم كله بل إن مجرد  
المرور على ما فيه من المحفوظات يستغرق نحو الأسبوع بالتمام  
بل إن برنامجاته وفهارسه هي عبارة عن مجلدات ضخام وييجي  
بعده غيره من المتاحف الكثيرة المتنوعة ومعارض الصور والرسوم  
والفنون والعلوم

وماذا عساني أقول الآن على نظام البلدية في هذه المدينة  
الواسعة أو على ترتيب الشرطة الذين يزيد عددهم عن ١٤٩٠٠  
رجل أو على محاكمها الكثيرة العدد المتنوعة الاختصاصات أو  
على مدارس الحقوق الأربعة أو على محلات البر والاحسان  
ودور النقاها والجمعيات الخيرية المخصصة لتربية أبناء الفقراء فإن  
عددها يتجاوز الألف ومقدار المبالغ التي تنفقها بما فيها التبرعات



والهبات (والنقوطة التي تجتمع في الكؤاس) تزيد عن سبعة ملايين  
من الجنبيات والمستشفيات فيها على أنواع فمنها ماهو عمومي ومنها  
ماهو مخصص لبعض الامراض مثل مداواة الطواعين والوقاية  
منها وعلل الصدر والربو والرمد وادواء العين وغير ذلك من  
الآفات والعماهات ومنها ماهو للمجاذيب (وعدهم في بعضها ٥٠٠  
ولاغرابه) ومنها ماهو للاطفال أو للنساء أو للولادة هنا بصرف  
النظر عن الاجزائات العديدة التي توزع الادوية احتسابا لوجه  
الله وعدد الاسرة في هذه المستشفيات يزيد عن ٩٠٠٠ ويدخل  
بها في السنة أكثر من ٨٠,٠٠٠ مريض وهي توزع الادوية  
مجانا على أكثر من ١,٢٣٠,٠٠٠ نفس وفي بعضها مدارس  
للطب والتشريح أو الاقرباذين أو غير ذلك من فروع الطب  
وفها كتبانات معتبرة ومناحف متنوعة ومعامل كيمياوية وغرف  
للطبيعة وبتانين للنبات ومجاميع بائولوجية وغير ذلك وفيها  
مرابي للايتام قديزيد عددهم في بعضها عن ٤٦٠ وقد كان أحد  
الماهرين في صناعة الموسيقى يجي فيها ويقرع أرغنا في غاية  
الاتقان أهده له (وهو فيسه الى الآن) وكانت الخلائق تتهافت  
على هذا المكان من كل فج لسماع هذا المطرب الفريد وقد  
تحصل من أجرة دخولهم مبلغ يزيد على ١٠٠٠٠ جنيه خصصه

للربي ومن فيه من الايتام ولم يأخذ منه بارة واحدة وفي لوندرة  
فضلا عن ذلك كثير من الاماكن الخيرية وجعيات البر ومساعدة  
العملة والسعي في نفع بني الانسان وفيها كثير من التكايا التي  
يجبر المتكفون على الدخول فيها والاشتغال بما هم أهل له  
وفوق ذلك ترى هناك كثيرا من المستشفيات المختلفة الانواع لاجل  
الجنود البرية والبحرية الذين أصابتهم العاهات

وماذا أقول على المؤنة في مدينة يزيد عدد السكان فيها  
عن الخمسة ملايين ونصف مليون وكاهم لا بد لهم من الطعام فيها  
أربع مرات تقريبا في كل يوم حتى ان ماتستهلكه في العام  
الواحد يبلغ هذه المقادير

ثور ٨٠٠,٠٠٠

رأس من الضأن والعجول والخنازير ٤٠٠,٠٠٠

(وقد أثبت علماء الاحصاء ان متوسط ما يستهلكه

التفرد الواحد من سكانها في اليوم الواحد يزيد عن

١٤٠ جراما من اللحم)

من الطيور وحيوانات الصيد ٩,٠٠٠,٠٠٠

(أما الاسماك مثل سمك المرجان المعروف في كتب العرب

باسم طرسوج وعند اليونان طريفلا وعند عوام

الاندلس المول . ثم السلباج المعروف بالمارماهيح وبالنون  
وبالانقليس وبشعبان البحر . ثم التز (واسمه كذلك في  
كتب العربية) . ثم السردين واسمه عند العرب العرم .  
ثم ومحصولات البحر من الحيوانات الرخوة مثل الجندفلي  
والقرقله والاسترديا والمحار بأنواعه والسرطان الكبير وأبو  
جلبو وأبو تكفي والبضالينس وبراعيث البحر وبلهه  
والحلزون والسرطان وقنفذ البحر المعروف عند أهل  
الاسكندرية الآن باسم رتسا ويسمى عندهم أيضا قنشد  
(ولاشك عندي ان هذه اللفظة محرفة عن كلمة قنشد) وغير  
ذلك من الاصناف العديدة التي لأعرف أسماءها فانها  
تنال على المدينة بمقادير هائلة لا يتصورها العقل يشهد  
لذلك ان هناك آلاف وآلاف من الزوارق والقوارب لاحرفه  
لها سوى نقل هذه الحيوانات الرخوة القوقعة والروبيان  
هي المعروف عند الفرنسيات باسم هومار ( Homard )  
وقال ابن البيطار (ان المصريين يسمونه فرنس وان أهل  
الاندلس كانوا يسمونه قرون)

هيكولتر من اللبن ١٠٠,٠٠٠,٠٠٠

بيضه ٢٠٠,٠٠٠,٠٠٠



١٠٠٠٠٠٠٠٠ كيلوجرام من السمن والزبدة

٢٠٠٠٠٠٠٠٠ كيلوجرام من الجبن

٤٥٠٠٠٠٠ طونولاظه من أصناف الخضروات المهمة ومنها

نبات الحرف فقط (وهو المعروف عند العرب أيضا

بالرشاد وعند الفرنسيين بالكرسون (Cresson)

مامقداره من ثمانمائة الى تسعمائة طونولاظه

٥٠٠٠٠٠ طونولاظه من أنواع الفاكهة

وغير ذلك وغير ذلك وغير ذلك

أما السوائل التي يستهلكونها فلا تقل عن ذلك بل هي أيضا

بنسبة هذه المقادير الهائلة فانها تتجاوز ١٨٠ مليون لتر في

الاربعة آلاف خبارة والسبعمائة ألف بيت خصوصي ويمكن

تقدير المشروبات الروحية بثمانية عشر مليونا من اللترات واذ

قابلنا بين النبيذ وبين البيرة (البيرة) وجدناه شيا لا يذكريجائنها

اذ لا يشربه الا الاواسط والاعنياء ومع ذلك فكمية استهلاكه في

العام الواحد لا تقل عن ٣١ مليونا من اللترات أما الفحم الحجري

فيجب منه في كل عام كميات تزيد على ١١ مليون طونولاظه

وثلاثة ارباع المقادير الجسمية ترد عن طريق النهر والباقي في السكة

الحديدية

وأهم أسواقها (وهو سوق سببيلفيلد) يشغل مسطحاً قدره ٣٧ ألف متر وفيها سوق آخر (اسمه سوق البهائم) قد يسع في آن واحد ٧٠٠٠ ثور و ٢٠٠٠ عجل و ٣٥٠٠٠ شاة و ٤٠٠٠ خنزير وقد يكون في بعض الايام مخصصا لبيع الخيول وفيها سوق آخر للسماك والقواقع ليس الا وآخر للاطيار فقط وآخر للخضار والاشجار والازهار دون ما عداها وآخر للخيل وحدها الى غير ذلك مما يطول شرحه

أما التجارة والصناعة والمينا وأحواضها ومخازنها فهي عالم كبير مستقل بنفسه ولأعلم ماذا أقول عنها الآن بعد أن تحققت ان مينائها هي أهم موانى العالم وأكثرها محطاً للسفن إذ أن متوسط ما يرد عليها سنوياً يبلغ ٧٠٠٠٠ سفينة مجموع حمولتها ١٢٠٠٠٠٠٠ طون فلاحظه وقممة ما فيها من البضائع والارزاق يزيد على مائة وعشرين مليوناً من الجنيهات الانكليزية أما الاحواض ومخازن التجارة فمن أهم مناظر لوندرة وأبدعها تجعل للمناظر (خصوصاً اذا رُف على قنطرة لوندرة - لندن بريدج) فكرة في أهمية العاصمة الانكليزية وجسامتها واتساع نطاقها بما فيها من المراكب المتراكمة والبضائع المتراكمة والخلائق المتزاحمة ولا يسمع لى المقام بتفصيل قليل عن حركتها الهائلة

وفي المدينة ثلاث شركات متعهدة بإضاءتها بالغاز وقد قدره أهل المعرفة بمبلغ ٥٦٠ مليوناً من الامتار المربعة وتستهلك للحصول عليه مليوني طونولاطه من الفحم الحجري وغاز الاستصباح وهذا يجرى في قنوات مجموع طولها ٤ ملايين كيلومتر وتزيد النفقات السنوية عن ٣٦٠٠٠٠٠٠ جنيه مع ان المبالغ اللازمة لسقي المدينة بالمياه لاتصل الى نصف هذا المبلغ الجسيم وهناك شركات كثيرة تألفت للاضاءة بالنور الكهربائي وكان قبل هذه السنة قاصراً على منازل الافراد ومخازنهم ولكنه في أول هذا العام صار استخدامه في بعض الشوارع المهمة والميادين الاصلية ويجري الكلام على النور الى الحديث على النار فقد كان رجال المطافئ قبل سنة ١٨٣٣ تحت ادارة شركات خصوصية تجارية أو تابعين لبعض فروع الادارة البلدية وكانت نتيجة هذا الافتراق وقوع أضرار بالغة لانهم في أغلب الاحيان كانوا يتركون النار تفعل أفاعيلها وتلتهم المنازل التي لم تكن مؤمنة عندهم أو تابعة لهم ولكن هذه الشركات اجتمعت كلها في تلك السنة واتحدت وامتزجت ببعضها فألفت شركة عمومية واحدة لمقاومة الحرائق واعلم ان لعمالها مهارة لا يناظرهم فيها أحد في الكون الاماعلمته عن رجال المطافئ في أمريكا ويستخدمون في مصالحتهم



١٨ سلكا تلغرافيا و ٧٥ سلكا تلفونيا يجمع بينها وبين بعضها  
٥٥ مكتبا اداريا فاذا شئت النار في بعض المواضع يسر لهم أن  
يستحضروا من الآلات والاجهزة كل ما يلزم في بضعة دقائق  
وتتصل مراكز رجال المطافئ بدواوين النظارات والمصالح العمومية  
والمتاحف والمعارض وغير ذلك من المباني الاميرية بواسطة ٣٨٥  
مزولة استغاثة وعدد رجال المطافئ ٧٠٠ ولهم زى مخصوص  
معروف وعندهم ٤٧ طلبة بخارية و ٩ طلبات بخارية عوامة  
و ٢٢٤ سلم للاستنقاذ من مخالب الحريق وغير ذلك من الاجهزة  
الكثيرة المتفرقة في كافة أنحاء المدينة وقد أطفئوا في سنة ١٨٩٠  
حرائق بلغ عددها ٢٥٥٥ منها ١٥٣ ذات أهمية عظيمة ومات  
في هذه الحرائق ٤٤ شخصا

وبعد الكلام على الناريين بالطبع الكلام على الماء  
فاعلم ان المياه اللازمة للشرب في لوندرة ليست من نهر التيمس  
بل قد تأسست شركات عديدة جلبها من غدران ونهيرات أخرى  
في قنوات هائلة مرفوعة على عمدان عظيمة وقباب جسمية (مثل  
الدواميس المعروفة بالعيون التي كانت تستقى بها قلعة الجبل  
في الزمان السابق ولا تزال آثارها باقية الى الآن) ثم تنصب المياه  
في أحواض واسعة ثم ترشح من قاعها بمرورها على أحجار هشة

تعلوها طبقات من الرمل الغليظ والحصى الدقيق وتبلغ كمية المياه الواردة الى المدينة في كل يوم بالتعديل المتوسط ٦٧١,٠٠٠,٠٠٠ لترا منها ٥٠٠,٠٠٠,٠٠٠ يستعملها الاهالى في فضاء جوائجهم ولوازم منازلهم فيكون متوسط ما يستهلكه النفر الواحد من سكان لوندرة ١١٧ لترا من الماء في كل يوم

وأستطرد بهذه المناسبة الى الاشارة الى مصارف لوندرة وبالواعتها فقد كانت كلها تنصب في أول الامر في نهر التيمس حتى جعلته مقرا للاقذار ومنبعا للجراثيم القتالة وأصلا في تسميم الهواء وسببا في ازدياد الامراض واتلاف صحة السكان وقتك الموت بهم فتكاذريا فان متوسط المواد العفوية التي كانت تنساق اليه في كل يوم يبلغ ٤٠٠,٠٠٠ متر مكعب وفي سنة ١٨٥٥ اجتهت مجلس شورى العاصمة (البلدية) بدفع هذه المضار ودرس مشروعا للمصارف يصرف عن المدينة هذه المخاوف ويلقى بهذه القاذورات الى ماتحت لوندرة بستة وعشرين ميلا في النهر الى البحر بواسطة طلمبات بخارية قوتها ١٠٠٠ حصان بخارى ولكن هذه العملية لا تحصل الا في وقت الجزر أى عند نزول مياه النهر في البحر فيأخذ التيار هذه القاذورات وهذه العفونات بعيدا عن المدينة ويذهب بأضرارها ادراج الرياح وتبلغ كمية المواد البرازية الملقاة بهذه الكيفية في النهر ٣٢٣٧٣٤ مترا مكعبا في كل يوم

وايس هذا كله شياً في جانب ما يمكن أن يقال على لوندرة  
لكن لا بد من الانتقال الى ذكر طرف وجيز على بعض ضواحيها  
مثل رشمند فانها مدينة صغيرة تختمال في حلال الجمال واقعة على  
الضفة اليمنى لنهر التيمس وعلى منتهى دلتال بهيجة فيها غابات  
ومنازل خلوية تبتهج العين برؤيتها وفيها قنطرة بديعة وآثار قصر  
قديم وهي مشهورة بصناعة فطير يجين يسمونه (بنات الشرف) لان  
وصائف مليكة الانكليز هن اللاتي اخترعنه وأشهر ماني هذه  
المدينة هو روضها الاريض الكائن على هضبة فسيحة وفي وسطه  
برك كثيرة تبدو منها للناظر مشاهد تروق النواظر ويخرج القوم  
الى هذا الروض للرياضة في فصل الصيف واستنشاق النسيم  
الصحيح العليل وخلاصة القول ان وجودها على مقربة من لوندرة  
نعمة كبرى للنازلين بها والمقيمين فيها بل برهان جديد على ان  
الانكليز ينتقلون من الطرف الى الطرف ولا يعرفون الوسط  
وأما وندسور فهي مدينة تبعد عن لوندرة ٢٢ ميلا تقريبا  
وعدد سكانها ١٢٢٧٨ وأهم ما فيها هو قصر الملكة المعروف  
باسمها وهو عبارة عن قلعة حصينة ولا يشبهه قصور الملوك الا بما  
حواه من بعض الزخرفة والرسوم ولكنه في نظري لا يباهى أقل  
قصر من القصور الملوكية التي شاهدها بايطاليا بل إن أهم



مدخنة للاصطلاء فيه هي أقل من أقل مدخنة في قصور الجيزة  
والجزيرة ونحوهما مع عدم لزومها في بلادنا وشدة احتياجهم لها  
في إنجلترا وقد زرت الاصطبلات والعربخانات الملوكية ولكني  
أستغرب كيف ان نفقاتها بلغت ٧٠,٠٠٠ جنيه انكليزي نعم  
انهم لم يطلعونا على عربات التشريفة الخاصة بالملكة ولكن  
عربات معيتها وحاشيتها يمكنني أن أقول انها أقل من نظائرها في  
المعية السنية وكذلك الخيول فانها وان كانت من الاصائل البالغة  
في انقوة والجمال ولكني (وان لم أكن من أهل هذا الفن) أقدر  
أن أقول انها أقل من الجياد الاصائل التي عند سعادة علي باشا  
شريف وأما بناء الاصطبلات نفسه فأقول ولا أخشى تكديبا  
انه أقل زخرفة واتقاناً من الاصطبل الجميل الجليل الذي ابتناه  
حضرة عزت بك القاضي بالحكمة المختلطة في سرايه التي بجانب  
السراي المنيرة وان كان هذا صغيرا جدا في جانب جسامته تلك  
أما الحدائق التي في القصر وحواليه فهي من أبهى ما يراه  
الانسان وأجمل منها تلك الغابة البعيدة عن مدينة وندسور قليلا  
المعروفة باسم (فرجينيا ووتر) والذي يزيد في بهجتها انها كانت  
في أول الامر عبارة عن مستنقعات تبعث بالعفونة الى الهواء  
و بجراثيم الامراض الى ماحولها من الجهات حولها ونظموها

ودبروا تصريف الماء منها واليها حتى أصبحت جنة تسر الناظرين  
وسبحان من يغير ولا يتغير تبارك الله رب العالمين  
وقبل أن أختم هذه الرسالة أرى من الواجب على ذكر  
معرض أقامه بعض الافراد في مدينة لوندرة وسماه (تياجارا هول)  
ولكنه يفرج الزائرين فيه الآن على مدينة منف عاصمة القراثة  
أيام مجدها وعظمتها ولا أقدر أن أوفى صانع الرسم حقه من  
المدح على تصوير القصور والاشجار والاصنام والمعابد والنيل  
والاهرام وأبي الهول والاسرائيليين حين خروجهم من مصر وغير  
ذلك فانه أبدع كل الابداع حتى ان الرائي يتخيلها مجسمة للعيان  
بعيدة عن بعضها كافي الطبيعة بأحسن شكل وأكل اسلوب وكل  
ذلك على قطعة كبيرة من القماش تحيط بالمكان الذي يقف فيه  
المتفرج ممجبا به هذه الدقة في العمل وهذا التناهي في الاتقان  
وسأشرح الكلام عليها في الرحلة ان شاء الله فقد رحب بي صاحب  
المكان ترحيبا خصوصا لكوني من المصريين ولكونه من اعضاء  
المؤتمر وأتخفى بجميع الاستعلامات اللازمة وأطلعني على جميع  
التفاصيل التي لا يطالع عليها الجمهور بما استوجب جزيل شكراني  
وجليل امتناني وأغرب ما رأيته في ملهقات هذا المكان رجل من  
اخواتنا أبناء الشرق واسمه المعلم الياس ليان حلة قد برع في أعمال

النقش على الخشب بالطرق الشرقية القديمة التي كادت تندثر في هذا  
الزمان وقد رأيت له من الاعمال ما أدهشني اتقانها ونظامها وتناسقها  
مما جعل أهل الفن من الاور وباوين الذين يقدمون الى هذا المكان  
يعترفون له بالبراعة والاقترار وقال لي انه يعدّ جميع هذه المصنوعات  
لمعرض أميركا القادم تشريفا للشرق وبنية ورأيت فيه من  
العواطف القومية والاحساسات الوطنية ما زادني إعجابي به وفوق  
ذلك فهو خبير بلعب السيف والنقر على آلات الطرب وقد تأثرت  
حينما رأيته محافظا على محبة ملته ودولته وعادات أهله وبلدته  
ووددت لو أن أهل الشرق يلتفتون لصنائعهم ويشجعون القائمين  
بها لكيلا تزول وتصبح أثرا بعد عين خصوصا لما رأيت أمم الغرب  
يتفخرون بصناعاتهم الخاصة بهم وبراعتهم فيها على من عداهم  
وحكوماتهم تساعدهم على الارتقاء والتفنن فيها حتى يفوقوا  
أمثالهم فتكتسب بذلك أوطانهم حسا ومعنى مكاسب لا تقدر  
ووددت أيضا لو كانت ظروف الاحوال تساعدن على مساعدة  
هذا الرجل وأمثاله من أهل بلادنا حتى يكون لها بهم وبأمثالهم  
شأن رفيع في سوق الحضارة ومعرض العمران الذي سيقوم في  
شيكاغو وعسى أن يكون لهذا النداء صدى في الاوطان لما وراءه  
من المنافع التي لا تنكر والله يهدي من كان له قلب أو ألقى السمع  
وهو شهيد



الرسالة الرابعة عشرة

السفر من إنجلترا الى فرنسا  
عن طريق دوفر وكالة  
وذكراميان

مبارحة لوندرة

لقد احترت والله حينما اخترت الانتقال من الكلام على  
لوندرة بعد الاطالة في الكتابة عليها والتوسع في القول عنها بمقدار  
ما وصلت اليه يدي في الرسالتين الخاصتين بها فاني لا أزال أجد  
للشرح مجالا يستغرق رسائل ضافية الذبول بل مجلدات تملأ  
المكاتب وتشحن الازدهان بالغرائب وتذكر من يتذكر بما يمكن  
الانسان أن يصل اليه بالاجتهاد بمفرده أو مع استعانته بابناء  
جنسه وتجاو على أبصار أولى البصائر بعض ما أودعته القدرة  
الالهية في العوالم الطبيعية من القوى التي يتوصل العقل لاستكناه  
خبائرها واستكشاف أسرارها ولكني أرى بالرغم عنى وجوب  
الانتقال من هذا الموضوع مع ما أتته فيه من التقصير مضافا الى  
ما في ذهني من القصور

التعصب  
المطلق  
والتساهل  
المطلق

على أنى لأرى لى مندوحة في إغفال حادثة خطيرة وقعت بالمدينة  
قبيل مبارحتي لها فلا بد لي من ذكرها في هذا المقام ولولتأييد  
ماقلته عن هذه الامة من ميلها للاطراف وغرامها بالتناقض في كل  
الاحوال الادبية بل والمادية فقد سبق لي اثناء الكلام على دياناتهم

انهم يحترمون جميع المذاهب والعقائد ولكنهم يبغضون المذهب الكاثوليكي بغضا ليس له أول يعرف ولا آخر يوصف وانهم يكرهون البابا كراهة التحريم فاسمع الآن ما حصل اثناء انتخاب اللورد امين المدينة اجتمع رؤساء الطوائف وأكابر التجار لانتخاب شيخ لهم فكان المختار هو المستر ستوارت كيل فقام البروتستانت واعترضوا وصخبوا وبلجوا بالسخط وهاجوا وماجوا وكتبوا استرحامات كثيرة وقع عليها الالوف والالوف من أهالي لوندرة يسألون فيها الملكة ان لا توافق على هذا التعيين وتصدر أمرها باعادة الانتخاب فانعقدت جمعية لفصل الخلاف فقال قائل منهم مانالت لندرة حريتها وما تمتعت بامتيازاتها الا بعد ان أهرق البروتستانت دماهم في هذا السبيل فن العار على العاصمة أن يكون شيخ مشائخها منتميا الى الكرسي البابوي وعضده في هذا الرأي كثيرون من المجتمعين ولكن المعتدلين فازوا بالغلبة بعد أن طالت المشاطات وتعارضت المشاحنات فانهم قالوا قد امتازت إنجلترا بحب الحرية في العمل وان لوندرة مدينة الحرية الدينية وهذه المشاجرات لاتليق بامثالهم فقد سبق أن كان شيخ مشائخ لوندرة اسراييليا فكيف يجوز ذلك ولا يصح في شرع المنصفين أن يكون كاثوليكيا فالزمتهم الحجة وتقررت الرئاسة للرجل ثم اذا نظرنا الى

المختار نفسه نراه أشد تعصبا من خصومه فقد قرر أنه لا يعترف  
الإبالبابا ثم بالملكية وهي كلمة لم يجسر على التفوه بها من قبله  
انسان ولذلك رفض الحضور الى كثير من الاجتماعات الدينية  
جرت العادة بان يحضرها اللورد امين المدينة منذ القديم وقد أبى  
أن يذهب بموجب وظيفته الرسمية الى الكنيسة الفلانية والمعهد  
الفلاني وقد أصرف في عدم الذهاب بنفسه وفي ارسال مندوب من  
قبله فانه اشتراط عليهم ان لا يكون له معارن ينوب عنه في هذه  
الامور الرسمية فهلا ترى من أغرب الغرائب شدة تمسك أولئك  
وعدم تنازل هذا الى هذه الدرجة حتى كان كل من الفريقين  
على طرفي نقيض بحيث يكاد الانسان يثبت الحق للبروتستانت  
في اعتراضهم على نصب شيخ يابى ان يسايرهم الى هذا الحد في  
شعائرهم الدينية ولو حمة للعادات القديمة والاصول المرعية

ولما كنت في باريس وافتنى الجرائد في ١٠ نوفمبر منبهة بأنه  
في اليوم الماضي قد تم الاحتفال بتثبيت اللورد امين المدينة في  
هذه السنة ولكون الرجل من الكاثوليكين وهذه اول مرة  
انتخب فيها كاثوليكي للقيام بهذه الوظيفة المهمة عقيب الانشقاق  
الذي جعل للذهب البروتستانتى السيطرة في إنجلترا كان للاحتفال  
أهمية خصوصية وقد بلغت اكلافه ٢٥٠٠٠ فرنك وهذا

نقشات  
امين مدينة  
لوندرة



الرجل (ستوارت كيل) من الثروة والغنى والعلم بمكان ولكنه مهتما كان  
أيراده لا يمكنه أن يقوم بالمصاريف الباهظة التي يستوجبها مركزه إذا لم  
تساعده لجان الطوائف الحرفية والصناعية في لوندرة والدليل على ذلك أن  
سلفه في السنة الماضية صرف ٣.٠٠٠ فرنك في أمور متنوعة وقد  
بلغت ولائم الغداء والعشاء التي أقامها احتفالا باللجان الرئيسية  
لمدينة لوندرة ١٠.٠٠٠ فرنك وبلغت نفقات الوليمة التي أعدها  
أحياء لعيد الملكة ٣٧٥.٠٠٠ فرنك وأما المأدبة التي أقامها ابتهاجا  
بنيحة البرنس دوغال من المرض فقد بلغت مبلغا يفوق حساب  
الحاسبين فانها أوجبت عليه صرف ٦٧٥.٠٠٠ فرنك مع ان  
مرتب الوظيفة في السنة هو ١٠.٠٠٠ جنيه انكليزي ليس الا  
هذا وقد دقت من لوندرة في مساء ١١ اكتوبر  
وركبت القطار بالليل كما جرت عادتي للاستكثار من الوقت  
وعندم ضياع الفرص هباء منشورا فوصلت مدينة دوفر في  
منتصف الليل وكان في امكاني ركوب متن البخار والتوجه نوا  
الى فرنسا ولكنني آثرت رؤية دوفر وتمضية نصف نهار بها كي  
أودع فيها انجلترا بعد أن أشاهد ما خلفه الرومان في هذه المدينة  
الساحلية من الآثار وما أحدثه الانكليز من موجبات التحصين  
والدفاع فعولت على النزول بها وما افترت نغرا الصباح حتى تجولت

في المدينة وطففت انحاءها مع دليل من أهلها واليهك ماوقفت  
عليه فيها بالاجمال

عوميات  
على دوفر

هذه المدينة لايزيد عدد سكانها عن ٣٠٢٧٠ من النفوس  
وهي ذات موقع معجب في نهايته واد رائق وتعلوها أبحراف عالية  
من الصخور تحيط بها من كل الجهات وكان أول شيء عنت به بعد  
التجوال في طرفاتها وميادينها اني صعدت على جبل عال فوقه  
قلعة حصينة ترتفع عن مستوى سطح البحر ثلاثة وتسعين مترا  
ورأيت فيها كثيرا من المباني القديمة الرومانية ممتزجة بصروح  
أقامها الانكليز لتكامل وسائل الدفاع في هذه النقطة الحربية  
المهمة وأقدم جزء في هذه القلعة الممتدة بغير انتظام على مسافة  
١٤ هيكارا هو البرج الروماني وارتفاعه ١٢ مترا وشكله ثماني  
من الخارج مربع من الداخل وليس فيه سلام تسمع بالصعود  
الى قمته وقد وضعوا فيه ناقوس الكنيسة العسكرية التي الى  
شرقيه وربما كان الرومان يستخدمونه في ارسال النور الى  
المراكب القادمة بالليل وفي المخبرة معها برايات الاشارات حينما  
يكون قدومها بالنهار أما الكنيسة فان أساسها يدل على انها من  
صنع السكسونيين (قدماء الانجليز) وهي من أقدم العمار

الدينية التي في بلاد انجلترا وأما المباني النورماندية فهي كثيرة جدا وأهمها صرح يرى على مسافة بعيدة في البحر وقد كانت الشمس طالعة فتميسر لي رؤية شطوط فرنسا بإرشاد الدليل قبل منتهى الأفق بقليل وقد توجهت الى قشلاق هناك ورأيت العساكر في حالة التعلم والتمرن على الحركات ولم أستفكف من زيارة المطبخ بل اني عجبت بنظافته وانقائه وجودة الماء كولات المخصصة للعساكر الانفار مما يرغبهم أو يحسداهم عليه آلاف وآلاف من أهل انجلترا الذين يموتون جوعا ثم زرت خزانة السلاح وما فيها من الخلفات الحربية والغنائم التي أخذها الانجليز من أعدائهم في ساحات الوغى البرية والبحرية ورأيت فيما بين المدافع الكبيرة مدفعا طويلا أرسلته احدى ملكات هولاندة (الفانك) هدية لانكلترا وعليه أشعار منظومة على لسان حاله بمعنى انه يرسل القتل الى الاعداء فيردهم على أعقابهم خاسرين ويبعث بمقدوفاته الى القلاع والحصون فيتلقها عن آخرها ثم نزلت من طوابى هذه الروابي الى أهم ميدان في المدينة فرأيت موسيقى تصدح في ضحى النهار وعلمت أن مجلس البلدية هو القائم بنفقاتها لايجاد الطرب والانشراح في المدينة على الدوام



حال المفارق  
وطنه والقادم  
عليه ومن  
لا يزال بعيدا  
عنه

ولكنني لم يسمح لي وقتي بتشريف آذاني الشرقية ببنعماتها الغربية لان القطار حضر من لوندرة وفيه جماعة المسافرين الى قارة أوروبا فلحقت بهم وانبعث خطواتهم حتى وصلنا السفينة وتبوأ القوم مقعدهم منها وأخذت أطوف جوانبها وأعلو ظهرها لرؤية المناظر وتعهدها ماحولى من المعاهد وما هو الا ان أجبرت (أو أجبرت) حتى رأيت أغاب الحاضرين قد انقسموا قسمين بقى بعضهم فى مؤخرها وذهب الآخرون الى مقدمها وكان الفريق الاول يطيل النظر الى المدينة وأطرافها وإبراجها والفريق الثانى يحدد النظر والنظارات الى الامام والى آقاصى الأفق وبقيت أطوف ذات اليمين وذات اليسار وأدفع بخطواتى الى الامام ثم أكر راجعا الى الخلف الى أن أدركت بعد سماع تـلاغى الفريقين ان أهل الخلف من أبناء الجزيرة يحيون بلادهم ويتزودون منها بنظرة أخيرة وان أهل الامام اشتد بهم الهيام للتجميعيل برؤية بقاعهم ولكن الضباب يعصبه السحاب انتشر بأقرب من لمح البصر فكان يحول دون ادراكهم الوطر غير انه لم يثن عزيمتهم عن التكرار فى اطالة الانتظار وانشاد الاغانى والاشعار والترنح لقرب الوصول من الديار واستمر الطرفان على هذا الشأن حتى انتصف الطريق فتبهدت صحور فرنسا

وشطوطها كأنها أشباح تتظاهر في ظلال الخيال وحينئذ أخذ  
الانكليز يقتربون من أواخر السفينة بقدر ما أمكنهم مستعينين  
بآلات التقريب كأنهم يسألون تلك الجزيرة بل الام الحنونة  
ان تبقى محافظة عليهم مراعية لهم في غربتهم ناشرة لواء حمايتها  
عليهم أينما حلوا وأينما ساروا وأما أنا فكنت في هذه الحال  
أرسل اشعة القلب وانظار الفؤاد الى ديار ألفتها وربوع نبت بها  
وأقوام ترعرعت بينهم قد شبوا على المكرمات واستقوا من نيل  
الكلمات فحييتهم على البعاد تحية ممزوجة بخالص الوداد والاخلاص  
وكلفت النسيم بالتسليم على خير أمة أخرجت للناس

ولما اقتربنا من شطوط فرانسأ رأيت في الافق شيئاً يشبه  
الاجبال والاسلاك قد وصلت بين الارض والسماء وبعد تحقيق  
النظر علمت انه المطر فبقيت أتأمل فيه وأسبح مرسله ومنشيه  
حتى ألفت السفينة مرساعا وقد كان باسم الله مجراها ومرساعها  
فان البحر كان برا بنا ولم يمسننا بأذى والمجد لله

ولما نزلت بكاله فضلت التعريج على أميان على التوجه الى دخول فرنسا  
باريس لكي أزور كنيسها الجامعة التي طارصيتها في الآفاق  
فأمضيت الليلة بها ولما جاءت كتائب النور برزت في طليعتها  
(١٣ - رسايل)

وظفت المدينة ومتاحفها ومكاتبها وآثارها مما لا أجد مندوحة  
عن الإشارة اليه بالإيجاز في هذه الرسالة كما سيأتى

عمومات على  
أميان  
تعيين الوقت الذى ظهرت فيه ولا معرفة الذين وضعوا قواعدها

ورفعوا معالمها ولها فى تاريخ فرانسا الحربى نخر أثيل وذ كرجيل  
وقد توجه أهلها فى الزمان العتيق لمحاربة انطيوخوس ملك الشام

ورجعوا حاملين ألوية التمرد مما اكتسبوه فى آسيا من العرفان  
وعدد سكانها الآن ٨٣٦٤٩ نفسا وفيها جمعية للفنون الادبية

وبستان للتجارب ومدرسة زراعية عملية وفيها ادارة تلتقط الاطفال  
والايتام والمعتهوين الفقراء وتقوم بلوازمهم وفيها برج قديم مظلم

اسمه بقروا قد التهمته النيران فى كثير من الاحيان وهو حبس  
للمدينة وفيه ربيئة يقيم به على الدوام للانذار بما يقع فى المدينة

من الحرائق فاذا رأى آثار النار فى احدى الدياردق جرسا زنته  
١١٠٠٠ كيلوجرام فيبادر رجال المطافئ لاختاد أنفسها وتلقى

اتلافها وهم يستخدمون هذا الجرس أيضا فى المواسم والاحتفالات  
وفيه ساعة كبيرة جدا لتعيين الوقت بصفة رسمية وقد صعدت الى

قته ولكن ظلمته الداخلية أحدثت فى انزعاجا لا يمكن أن أصفه  
الآن مع ان شكله من الخارج أنيق ومنظر المدينة من أعلاها



رشيق فله هذا البرج قد جمع بين الانذار بالشرور والتبشير  
بالسرور وجوفه مستودع للظلام وحسمه محفوف بالنور وأما  
المكتبة العمومية المعروفة بمكتبة الخط (بضم الخاء) فان أهميتها  
تزيد عن حاجات المدينة اذ فيها ٥٠٠ كتاب بخط اليد وأكثر  
من ٨٠٠٠٠ مجلد مطبوع ومما يستحق الذكر فيها ان أرملة  
الكونت رويدسكا كير (وهو من أبناء المدينة) تبرعت للمكتبة  
بجميع الكتب التي خلفها زوجها (وتقدرها ١٥٠٠٠ مجلد)  
مع ما يتبعها من الدوايب والادراج والتحف القديمة والصور  
القيمة وأغلبها له علاقة بالرموز النصرانية والخلفات الدينية  
العتيقة والقسم المهم من هذه الكتب هو عبارة عن مجموعة  
للسياحات في الارض المقدسة وفي الكتبخانة تماثيل كثيرة لأهم  
رجال المدينة الذين خدموها وأخص بالذكر منهم تمثال الموسيو  
بوفيللي وسأتكلم عليه بعد قليل وقد رأيت في الحديقة العمومية  
بهذه المدينة جذع شجرة نخرة عليها بعض أغصان نضرة وفيها  
تجاولف كما يشاهد في الاشجار العتيقة التي نزل بها البلي وما زالت  
فيها قوة الحياة ولكن هذا الجذع وهذه الاغصان ليست الا من  
الصاح والاسمنت اصطنعها بعض المتفنين بناء على اختبار جعلت  
له المدينة مكافأة عينتها وقد رأيت في دار بعض الافراد تماثلا

نخيمًا من المرمر الناصع يمثل وجهاء المدينة وعظماؤها الذين  
فأقوا غيرهم في فنون الرسم والعمارة والتصوير اصططنعه ذلك  
الرجل على نفقته بقصد وضعه في الميدان العام ولكن المجلس  
البلدى رأى من المحذورات ما يمنعه عن قبول هذه الهدية النفيسة  
فوضعها الرجل في داره بحيث يراها المارة

وقد رأيت فيها ملعبًا للخيول والحيوانات المستأنسة (سيرك)  
وكاه مبني بالآجر ولكنّه مكسوة بطبقات من الاسمنت بحيث تمثل  
للناظر انه مشيد كاه بأحجار النحت والدرستور والرخام وهو من  
الاهمية بمكان عظيم ينطق بما للمهندسيه من المهارة والجرأة  
والاقدام فانهم نظموه بحيث يمكن بسهولة وقتية تحويله الى قاعة  
فسحة مثل القاعات التي في قهاوى الملاهى والمغاني وتسع ٣٥٠٠  
متفرج وأما زخرفة الجدران فحدث عنها ولا حرج وأما تراكيب  
الحديد المستند عليها السقف من غير ارتكاز على الارض في قاعة  
بهذا الاتساع فانها تدهش الناظر بل تخيفه وتلزمه الاقرار بأبداع  
الصانع وهى مرتبة بحيث يمكن للجمهور الخروج منها في برهة  
قصيرة اذا وقع اضطراب أو حدث طارئ وهى تضاء بالليل بالنور  
الكهربائى ترسله اليها آلات موضوعة تحت الارض في غاية  
النظام والاحكام

ودخلت في ملعب آخر أقامه بعض الافراد لعرض الحيوانات المفترسة وتسخيرها في الالعب امام الجمهور وانما أردت بهذه الاشارة تبيينه الازدهان الى صاحب هذا الملعب فاني سأشرح الكلام عليه في الرحلة وأبين ماناله بالجد من المجد حتى صار شياً مذكورا رنالا الرعاية من المولك والامراء بعد ان كان فقيرا معدما ويتيمام هملا وقد استخدمت السمكة الحديدية بعض الخنادق التي كانت حول المدينة لمسير قسم من طريق القطارات فيها والبعض الآخر انظموه سككاودروبات سلطانية كما في باريس وأغلب مدائن فرنسا

وتدور تجارة المدينة وصناعاتها على الاقشنة من جميع تجارة أمياك  
وصناعاتها الاشكال والانواع والقطيفة الخاصة باللباس وبالاناث وغير ذلك وفيها مغازل للكنان يشتغل فيها نحو ٣٠٠٠ من العمال وأما مغازل الصوف فيشتغل فيها ١٢٠٠ عامل وفيها غير ذلك من أنواع التجارة وأصناف الصناعة مما لا حاجة لذكره

وفيها أما كن لتعليم الالمانية والانكليزية للرجال والنساء مجاناً التعليم باميان في ساعات معينة وأيضاً لتعليم الميكانيكا التطبيقية ورسم صور الآلات وقانون التجارة وفن التشريع الصناعي وفن امسالك الدفاتر في الصنائع والجغرافيا الصناعية والنسيج بالنظريات والنسيج العملي



وتطبيق الكيمياء على الصباغة وفن الصباغة ومعالجة الاصباغ  
والموسيقى وفن تفصيل القطيفة وغير ذلك مثل الرسم الابتدائي  
والتصوير بالجبس ونقش الاجرار والرسم التقليدي والتشريح وتاريخ  
الفنون والرسم العملي والرياضيات وفن الرسم (لأجل البنات) الخ  
وليس على الطالب الآن يشعر كاتب أسرار أمين المدينة لنوال تذكرة  
يكون دخوله بمقتضاها في الاوقات المعينة - وفي المدينة مدارس  
منتظمة للعلمين والمدرسين (بدرجاتها الثلاث) وللفنون الصناعية  
والحرفية وفيها ١٦ مدرسة ابتدائية للصبيان و ١٧ للبنات  
و ١١ مدرسة للإمهات ومدرسة لتعليم الصنائع الخاصة بالحديد  
والاخشاب وأخرى للطب والصيدلية وأخرى للموسيقى وأخرى  
للفنون المنزلية الخ

عموميات على  
أميان  
وفي اميان كثير من التكايا المخصصة للطاعنين في السن  
من الذكور والاناث والايتام والاطفال الذين يتركهم أهلهم بعد  
الولادة وللصاين بالادواء العقيمة العضالة وللعدميين من الجنسين  
وكفيعي البصر أو المصابين بأمراض في عيونهم وغير ذلك  
وفيها بستان للنبات يحتوى على قاعات للتاريخ الطبيعي  
وعنابر لتربية نباتات البلاد الحارة وتعطى فيه دروس عمومية في  
علم النبات

وفي المدينة ٥ جرائد يومية و ٧ أسبوعية منها واحدة  
نصف أسبوعية وواحدة دينية وواحدة زراعية وفيها غير ذلك  
من المنشورات الدورية شئ كثير وفيها ثلاث متاحف أحدها  
عام للفنون والصنائع والثاني خاص بالاطيار والثالث للتاريخ  
الطبيعي وسأتكلم عليها في الرحلة ان شاء الله

وفي المدينة نخسون قنطرة تصل أطرافها ببعضها لان نهر  
السوم يشقها من أولها لاآخرها وأهمها سبعة

ومن أهم ما ينبغي ذكره ورؤيته في هذه المدينة دار تكية المحاذيب  
والمعيمان  
بمبلغ ٥٠٠٠٠٠ فرنك لتشييد البيمارستان وبمثله لانشاء تكية  
للمعيمان يكون فيها أقسام للمتزوجين وأخرى للعزاب والارامل من  
الجنسين ومدرسة للبنات وأخرى للصبيان وقد زرت تكية المعيمان  
بنوع خصوصي لانتشار الرمد في بلادنا وتفقدت كل ما فيها من  
الترتيب والنظام بارشاد حضرة ناظرها فانهش للقائى ورحب بي  
وقدم لى كل ما طالبته منه من البيانات ولكن لايسمح لى المقام  
بسردها الآن فادخرها الى ما بعد وأتكلم على الكنيسة الجامعة  
وبها تكون خاتمة رسالتى هذه

الكنيسة  
الجامعة باميان

أول من أدخل الديانة النصرانية الى هذه المدينة رجل  
اسمه القديس فيرمان في سنة ٣٠١ ثم حكم عليه بضرب عنقه  
في سنة ٣٠٣ في قصر قديم من بناء الرومان وبعد ذلك دفنت  
جثته خارج المدينة وهو أول أساقفة أميان ثم توالى الايام  
وتناسى الناس خبر ذلك الذي جاء مبشرا بالانجيل حتى ظهرت  
كرامات على مايرويه القوم وتتناقله الافواه فاستدل بها الاسقف  
التاسع واسمه القديس سوق على قبر القديس فيرمان ولذلك تبرع  
أهل أميان والمدن المجاورة لها بهدايا كثيرة وتحتف نفيسة لبناء  
كنيسة جامعة من الخشب داخل المدينة باسم القديس فيرمان  
بخاء السنرمانديون (ويعرفون عند عرب الاندلس باسم المجوس)  
في سنة ٨٨١ وأحرقوها فأعادها أهلها ثم التهمت النيران واستمر  
الامر على هذا الحال من تعير وتدمير حتى كانت سنة ١٢١٨  
فاحترقت عن آخرها ولم يبق لها أثر في الوجود فلم ترض سنتان  
حتى شرع القوم في وضع الحجر الاول من الكنيسة الحالية  
وفي سنة ١٢٥٨ حصل حريق أئلف بهض أجزائها ووقعت  
الصاعقة في سنة ١٥٢٧ على ناقوسها فحطمتها تحطما ولكن  
أهلها رموا ذلك وأصلحوا ما أفسده الدهر ومسطح الارض التي  
تشغلها الآن عبارة عن ٨٠٠٠ متر وسورها يرتفع عن أعلى  
نقطة من سطحها ٤٤ مترا ونصف متر وفوقه صليب من الحديد



ارتفاعه تسعة أمتار وفيها من الداخل ١٢٦ سارية تتكى  
عليها قبابها وعقودها وأما شبايك الزجاج ففيها تصاوير وألوان  
تدهش الانسان وكذلك الارغن والوردات الزجاجية الهائلة التي  
تمثل الفصول الاربعة وفيها كثير من قبور المشاهير وعماثيل  
القديسين وأما منبر الوعظ والخوروس فهما عجوبة من أعاجيب  
الصناعة بما فيها من التفنن في النقش على الخشب فانهما  
يصوران للناظر جميع ما جاء في العهد العتيق من الحكايات والوقائع  
تمثيلا باتقان واحكام ومن أغرب ما رأيته في هذا الخشب الغريب  
ان النقاشين تركوا فيه بعض قطع طويلة متصلة به من الطرفين  
وهي في هيئة الاوتار فاذا غمزها الانسان باصبعه أخرجت صوتا  
مطربا لطيفا واذا نقر عليها الماهر في صناعة الموسيقى ربما أمكنه  
ابراز بعض الانغام بايقاع متناسق متناسب كما هو في الآلات المعدة  
لذلك وكل هذا الخشب من الجودة والمثانة بمكان عظيم وقد كانت  
أجرة الصناع فيه من ٤ الى ٩ مليم في اليوم الواحد ويخيل  
للناظر اليه أن الغبار يحيم عليه ولكنه بعيد من ذلك بل انه  
نظيف جدا واذا لمس الانسان لا يتلوث أصبعه بشئ من السواد  
وقد قال لنا الخادم ان ذلك الشئ الشبيه بالغبار له سبب في التارنج  
وذلك انه لما وقعت إحدى الثورات بفرنسا خشى أسقف الكنيسة

على هذه المصنوعات الجميلة من أن تتناول اليها أيدي العوام  
فيبددونها ويهشمونها فأحضر كثيرا من الهشيم والبرسيم وشحن به  
الكنيسة من أولها الى آخرها وبقيت مخزنا بهذه الكيفية مدة  
طويلة من الزمان أوجبت تداخل الغبار في جزئيات الخشب  
واكتسابه هذا اللون الباهت الذي يشاهد عليها الآن وخلاصة  
القول ان هذه الكنيسة من أجل وأبدع وأكمل وأبرع ما رأيت  
لآن في سياحتي بل هي في هذه المدينة كدرية يتيمة تحسدها  
عليها رومة وفي هذه الكلمة من مدحها ما ينفي بالمرام لمن شاهد  
أو علم جمال الكنائس في عاصمة النصرانية والسلام

الرسالة الخامسة عشرة

العودة الى باريس

من لي يباحث في أخلاق الانسان يكون قد وقف نفسه على  
درس الحيرة والاضطراب وتحقيق تأثيرهما وتعريف تنوعاتهما  
وقد حضرني حينما عولت على كتابة هذه الحروف وأعددت القلم  
والقرطاس واستفتحت بتحرير ديباجة العنوان ثم أبقيت يدي  
معلقة في الفضاء والقلم بين أصابعي في الهواء وأعيني شاخصة  
تنظروا لآتري وأسنانك تصطك اصطكاكا متواترا وشفاهي يتلاعب  
بها الاختلاج من غير انتظام ثم تقع السفلى منها بين الاسنان  
فينبهني الالم فأضع القلم وأرفع يدي الى جيبيني كأنني أعصره  
عصرا لاستخراج التيمان منه قسرا ثم أسكن بها فبكرى طورا  
وأرجع لحالتي الاولى من امسالك البراع وامسالك الذهن حتى كدت  
أعاني نفسي من الخوض في هذا الموضوع لولا سبق الوعد في  
الرسالة الثامنة بتلخيص وجيز على باريز يعرف القارئ بها وبصف  
لبعض أحوالها ويقص عليه شذورا من أنبائها

وما مصدر هذه الحيرة وحقق عجز عن التسطير أو اجمام في  
ميدان التحرير والتعبير ولكن هي المواضيع انهالت على انيالا



هالتي وتراجت تراجا تراخت معه عزائمي حتى أشبهت (هي)  
أقواما احتشدوا في دار شبت بها النار فطفقوا يتدافعون للخروج  
من باب ليس لهم سواه وصاروا يتدافعون ولا يعلمون انهم  
يتدافعون وأنهم عما قليل هالكون فقام فيهم شيخ فطين ونبههم  
الى هذا الخطر المبين وحثهم على التوذة والسكينة للنجاة من هذه  
المصيبة العظيمة فأراعوه السمع وسلموا كلهم من الروع وقالوا الحمد  
لله الذي هدانا لهذا وما كنا لنهتدى لولا أن هدانا الله

فعن لي حينئذ أن أقتدى بهم وأذكر الحيرة في الابتداء ثم التوصل  
للاهداء بقسمة المواضيع الى مطالب أنكم فيها على باريس  
من جملة وجوه بحسب ما وصل اليه جهدي ووقفت عليه بنفسى

كلمتان على باريس

يقول أهل هذه المدينة انها الآن وستكون على مدى الازمان  
حاضرة الحضارة والعمران ومدينة المدينة في كل ميدان  
لايضيرها اضطراب السياسة فيها أو انشقاق الاحزاب بين أهاليها  
وأن الاجانب يفدون اليها ويستقطرون عليها اذ ليس في العالم  
الا باريس واحدة (وأنت تعلم أن في احدى الواحات المصرية  
قرية حقيرة تسمى باريس - فيالله من هذا التناقض) وأن من

أقصى أمانى الاغراب ان يمتعوا أنظارهم بمجالى محاسنها ولاسيما  
أهل الارياف والاقاليم فى فرنسا فانهم يرون وجوب الجحى اليها  
خصوصا بعد الزواج ليقضوا بها (هلال العسل) وليس ذلك الا لانها  
تفردت عما سواها وفاقت على ما عداها بما جعت من أسباب  
اللهو ووسائل الانسراح وازاحة الخاطر وعضية اويقات الصفاء  
والهناء وخلاصة القول انها مركز للجذب العام وفتنة لجميع الانام  
هذه المدينة يشتهرها نهر السين الى نصفين يكادان يكونان  
متعادلين وهى منقسمة الى ثمانين خطا (بضم الخاء) فى عشرين قسما  
على رأس كل قسم رئيس يعرف بأمين المدينة (شيخ البلد) وثلاثة  
مساعدين وعلى رأس الجميع موظف عال لتبته مأمور ضبطية  
السين وعليه القيام بوظيفة الامين العام (شيخ عموم البلد)

وعدد سكانها ٢,٤٢٢,٦٦٩ نفسا ومسطح البقعة التى  
تشغلها من الارض فيما بين الحصون التى حولها عبارة عن  
٨٠٠٠ هكتار وطول محيطها ٣٤ كيلومترا والحصون عبارة  
دائرة مزدوجة طولها ٣٤ كيلومترا و ٥٣٠ مترا وفيها ٥٦  
بابا للمدينة و ٩ معابر تمر منها السكة الحديدية ومعبران انهر  
السين وآخران لترعتين . وطول الطرقات العمومية فيها هو  
٨٨٨,٠٠٠ متر ومسطحها عبارة عن ١٥٣٢ هكتارا وفيها

أكثر من ٨٢,٠٠٠ دار . وميزانيتها في السنة تبلغ ٢٨٠ مليوناً من الفرنكات (١٧٦٩٣٨ جنهما مصريا تقريبا)  
ولما كانت الكوليرة ضاربة اطناها بها في الصيف الماضي  
تكبدت المدينة نفقات باعظة في رش السوائل المطهرة في الطرق  
العمومية ولغسل أماكن القاذورات والمباول في كل يوم من أيام  
الوباء حتى بلغت المصاريف ٤,٣٠٠ فرنك في اليوم الواحد وقد  
بلغت مصاريف التطهير وتنقية الهواء في المدارس التابعة  
للمدينة ٨,٠٠٠ فرنك وقد كان مجموع المصاريف التي أنفقت  
بهذا السبب في فترة اجتماع المجلس البلدي ٥٧,٠٤٦,٦٧ من  
الفرنكات

متاحف باريس

أول شيء تنساق إليه اقدام السائح الذي يقصد الاطلاع على  
الغرائب ومشاهدة الطرائف انما هو المتاحف واحققها بالتقديم  
هو متحف اللوفر فانه يحتوي على أكمل مجموعة في العالم من حيث  
الفنون الصناعية وقد كان انشاؤه في قصر اللوفر في سنة ١٧٩١  
بأمر من الجمعية الاهلية فجعلوه مقرا لجميع الاعمال الغربية التي  
كانت متفرقة في قصور الملوك ثم جاء اساتذة الفنون المتقنين وحلوه



برسوماتهم ونقوشهم وكثير المتبرعون بفرائد الصور وذخائر الاشكال حتى أصبح من أكمل وأجمل متاحف الدنيا واني أشير الآن بالاجمال الى ما فيه من الاقسام فان التفصيل يكاد يكون من المستحيل - فيه قسم للتماثيل والانصاب من الرخام (ومنها الزهرة إلهة الجمال لميلوئتها ٦٠٠ ألف فرنك) ومن النحاس من صنع الاقدمين أو محاكاة لهم وفيه نقوش دينية على المرمر وأبواب هياكل ومعابد ثم نقوش وكتابات رومانية بارزة وفي إحدى قاعاته إنا أن كل واحد منهما من حجر واحد ومتباعدين عن بعضهما نحو ٣٠ مترا وإذا تكلم الانسان في احدهما سمعه صاحبه من الثاني وهذا من غرائب الصدى وليس لهما من مثيل الا في أميركا وفيه قاعات لاواني الفخار واللوح الرسم والتصوير مما وراء العقول ولا تنسى الآن عما فيه من مخلفات قدماء المصريين والرومانيين والاشوريين والبابليين وغيرهم من أمم السلف وفيه متحف للجزائر وآسيا الصغرى وخلاصة القول انه في باريس كالدرة اليتيمة في القلادة الثمينة - وفي الدور الثاني منه متحف للبحرية فيه صور المراكب وجميع آلات البحر وادواته عند جميع الامم وفيه خريطة كبيرة مجسمة من الجبس تمثل قنال السويس وأعماله ومدائه اعداهاله دوليس وفيه متحف

صيني - أما أثمان الاعمال التي فيه وزخرفة القصر فهي من قبيل ماورد في ألف ليلة وليلة

أمام متحف لكسبرج فهو مخصص لحفظ رسوم المتقنين العصريين ونقوشهم وعلى بابها تمثال بهيئة فرنسا وهي تقدم أ كاليل الفخار الى الهى النقش والتصوير وفيه كثير من النقوش في الحجر والرخام والرسوم على القماش مما يقضى بالعجب العجائب

أمام متحف الحمامات ودار كلونى فيمتاز عن السابقين بأنه مخصص لكثير من المجموعات المحتوية على آثار الاقدمين ومخلفاتهم النفيسة من كل نوع ومن أعمال أمم مختلفة - وقصر الحمامات هو أقدم العمائر في هذه المدينة حتى اننى حينما شاهدته تنكرت اننى في باريس وتصورت اننى في رومة خصوصا عندما دخلت في قاعته الكبيرة الباقية الى الآن في غاية المنظر والصيانة تحت قبعتها العتيقة الفسيحة ويقول بعض المؤرخين ان يوليوس المرتد نودى به امبراطورا رومانيا في هذه القاعة (سنة ٣٦٠ ق م) وفي المتحف الآن أكثر من ١٢٠٠٠ قطعة معروضة على الانظار وكلها من النائدة والاهمية بكان اذ تحتوى على كثير من أمتعة القدماء وأبسطهم ومنسوجاتهم وعلى عربات مذهبة كان يستعملها الملوك في القرون الوسطى وبعضها يجره الجياد وبعضها مما يحمله الرجال

على الاعناق ولا أظن ان في متاحف المدائن الاخرى مجموعة تعادلها وفي الدور الاول من هذا المتحف مجموعة من الاسلحة والدروع والدرق والمجنات والخوذ للمقاتلين وللخيول ومن الاواني المعدنية ثم مجموعة من الاواني الخزفية (وفيها مجموعة من صناعة رودس واخرى أندلسية) والمينا والخشب المنقوش المحلى بالصور الباهية ومجموعة من الاقداح والاكواب والقازوزات والقارورات وفي هذا المتحف غرفة تحتوي على مجموعة من المصنوعات العبرانية اهدتها البارونة ناتالى دوروتشيلد من ضمن ما فيها تماثيل لتابوت العهد على هيئة دولاب وشعدانات ذات سبعة فروع وعمانية وتسعة وكلها من الخشب المنقوش والفضة الخالصة والنحاس الصافي وفي المتحف خلاف ذلك من صناعات القدماء واسرة الملوك والاواني المتخذة من خشب الابنوس وسن القيسل ورقع الشطرنج والبالور الخضرى والساعات ومقارم الدخان والمفاتيح والسكرانات والمنافذ وكرة أرضية من نحاس مذهب والاقفال والاعلاق والدرابيس والمصانمات مثل تيجان الملوك القوطيين وأكاليل الابريز الخالص الاصم المحلاة باحجار الصفيير والدر العديم النظير ومذبح (من أقسام الكنيسة) من النضار الدقيق المطروق بصناعة واتقان والاساور



والخواتم وورد من الذهب وغير ذلك مما يعجز القلم عن وصفه  
وتحار الافكار من مشاهدته منضودا محفوظا كما كان وكأحسن  
ما يكون

أما قصر الحمامات فقد كان بناؤه في سنة ٣٠٠ ميلادية  
بامر الامبراطور الروماني كونستانس كلود ثم اتخذه ملوك فرنسا  
فيما بعد سكا لهم مدة من الزمان ولما تركوه اشترى أطلاله أحد  
القساوسة وبعد ذلك اشترته مدينة باريس واحاطته بحديقة لطيفة  
وجعلته مقرا للتمثيل الرخامية والحجرية التي أقيمت في باريس في  
العصر الذي شهيد فيه القصر وأطلق عليه اسم قصر الحمامات  
لذ لم يبق من معالمه سوى قاعة الاستحمام وفي البستان كثير من  
الانصاب والعمدان أغلبها كانت في القصر أيام كان يسمى  
القيسون ومن أهم ما فيها صليب من الحديد انتزعه الفرنسيون  
من كنيسة سان والدمير بمدينة سبا ستبول وغير ذلك

وأما متحف الآلات والفنون الصناعية (ويسمى أيضا  
بالمحفظ الاهلي للفنون والصنائع) فقد أقيم في مكان كنيسة قديمة  
وأضيف إليها جملة قاعات كثيرة وعلى بوابة تماثالا العلم والصناعة  
وفيه مكتبة تحتوي على ٣٠٠٠٠ مجلد خاصة بتطبيق العلوم  
والفنون على الصناعة وفي احدى غرفه رسم بعض المجددين في

التصوير تماثيل الصناعة والرسم والتصوير من جهة والعلم والطبيعة والكيمياء من جهة أخرى وفيه معامل للكيمياء والطبيعة وتعطى فيه دروس ليلية في العلوم وتطبيقها على الصنائع مجازا لكل طالب يقوم بها رجال من أشهر النابغين في هذه الفروع وهو يحتوى على جميع أصناف المحارث وآلات متنوعة للتقطير وتكرير السكر ومنال معمّل للعربات وأدوات الخراطة والخياطة والنسيج والغزل وبعض عينات من المنسوجات والآلات الخاصة بنظريات الحركة والانتقال وآلات تحويل الحركة وتوليدها وآلات العدد والتلغراف الكهربائي وغير الكهربائي والتلفون وآلات الصوت والجلوانوبلاستيا والموازين والاثقال وآلات علم الطبيعة وأدوات استخدام حرارة الشمس وجهازات كهربائية متنوعة وآلات علم النار العلوية وآلات تقييد الارصاد وآلات استخراج غاز الاستصباح وجهازات الاستمضاء وآلات الورق وآلات الطباعة والنقش والتصوير الشمسي ثم المتحصلات الكيماوية وآلات طبع الالوان والاصباغ على الاقشة وتماثيل معامل حمض الكبريتيك ثم كيفيات اصطناع الخزف والفخار والمينا والزجاج والبلور وغير ذلك مما تعدد الاحاطة به ويستدعي المشاهدة وتمضية الوقت النفيس وأهم ما استوقف انظارى تماثيل

استخراج الفحم الحجري وأدواته وآلاته وجهازاته وأباريه وسبراغواره  
والمعادن التي تتخرج معه والاصبغ والروائح والاعطار التي  
تستخرج منه وغير ذلك وقد رأيت في نموذجات المنسوجات قطعة  
من شغل مصر اهداها الخديو الاسبق الى هذا المتحف وفيها اشعار  
عربية مكتوبة باحرف من القصب ومزركشة بذوق وحذق  
بحيث انها تجعل لصناعة بلادنا مقاما محمودا بين ما يجاورها من  
منسوجات الامم الاخرى

وفي تياترو الاوبرا متحف ومكتبة للتشخيص والتمثيل  
والروايات وفن الاطلاق ولكن المتحف ليس من الاهمية بحسب  
ما يتصوره الذي يسمع عنه وبالعكس ذلك المكتبة  
أما متحف فنون الزخرفة والتزييق فالغاية منه المساعدة على  
توسيع نطاق أعمال المشتغلين بتطبيق العلوم على الصنائع اذ يرون  
فيها نماذج لا تخصى من صنع الاقدمين والمحدثين فتترى بذلك  
ملككمم وبقته يدرون على الاختراع والتنويع فلها تحتوى على  
مجاميع متعددة فيها تصاوير على القماش ونقوش على الاخشاب  
والاججار والمعادن ومصنوعات شرقية مثل الانسجمة والعاج  
والابسطة والخزف والزجاج من صنع فارس وغيرها وفيها أيضا  
تصاوير بالالوان وأقمشة قديمة وحديثة وأثاث المنازل ثم طريق



التزيق بحسب العصور قديما وحديثا وغير ذلك مما يطول شرحه  
أمامتحف تطبيق فن النحت فهو في قصر التروكاديرو ويحتوى  
على نموذجات بلجيس من أهم أعمال المباني في مشارق الارض  
ومغاربها في العصور السالفة ومن بوابات وعمدان وجدران وعقود  
وقبور ونقوش بارزة في الحجر وغير ذلك مما يطلق عليه لفظة آثار  
وهي مرتبة بحسب تاريخ أوقاتها وبيان الاماكن التي فيها  
الآثار الاصلية وماهية الموضوع بالايجاز وأول ما يراه الانسان  
فيها هو نقوش قدماء المصريين وغيرهم من الامم القديمة حتى  
ينتهى الى القرن الثامن عشر فيرى غرفة فيها أعمال من جميع  
الامم كأنها فهرست للغرف التي سبقتها أو بيان اجالى لما رآه  
الانسان قبلها

وأمامتحف طبائع الامم وأحوالها فهو في الدور الاول من قصر  
التروكاديرو أيضا ويحتوى على ٤٠٠٠٠ قطعة تمثل أصناف الامم  
وكيفية معيشتهم وتغذيتهم ولباسهم وسلاحهم بالافدار الطبيعية التي  
تصورهم للانسان كأنه يراهم كلهم بالتمام في أقاليم استراليا والاقيانوسية  
 وغيرها مثل ملبوس الروساء وشباك الصيد في البحر وحبائل القنص  
 في البر والمسكن وصورة المتوحشين وغير ذلك مما يعلق بأمم  
أفريقية وامريكا وأوروبا وآسيا ويرى الانسان فيها الزوارق

والنقوش والاكواخ والمنسوجات والاسلحة والمصنوعات الزجاجية  
والفخارية والاطلال الدارسة وسارية من حجر واحد تشبه  
شكل الآدمي في تكويناها الطبيعي (واردة من بلاد المكسيك)  
والحاريب والمعابد والهياكل وبعض موميات واردة من أمريكا  
وجهازات الجنائز والاحتفالات بالاموات وكل ذلك مما يتعلق  
بالقبائل المتوحشة والبدوية والمتمدنة والحضرية سواء كانت  
تسكن عند القطب الشمالي أو بجانب الخط الاستوائى أو فيما  
بينهما - وفيه غرفة مخصصة لبيان أهل فرنسا بحسب أقاليمها  
وتنوع معيشتهم ومساكنهم واخلاقهم وغير ذلك

أما متحف التربية فيحتوى على مكتبة مركزية خاصة بالتعليم  
الابتدائى فيها الكتب المؤلفة فى فن التربية واساليب التعليم  
ورسوم واشكال وخرائط ومجاميع وكتب مطالعة وغير ذلك مما  
يلزم الدارسين والمدرسين وفيه زيادة على ذلك مكتبة متنقلة تعبر  
الكتب الى القسامين بوظائف التعليم فى سائر انحاء فرنسا وفيه  
آلات التعليم وأدواته وأجهزته وجملة مجاميع للتاريخ الطبيعى  
ولتعليم الرسم والتصوير فى المدارس الابتدائية والثانوية ومدارس  
المعلمين وفيه تماثيل للبنى الدراسية لبيان أوقفها للصحة والتعليم  
من حيث التهوية الاضاءة وغير ذلك من المرافق - وهذا

المتحف المقيد يحتوي على قاعة كبيرة فيها كلها خرائط جغرافية فقط وغرف أخرى للرسم ومعامل للكيمياء والطبيعة والاشغال اليدوية وأخرى تحتوي على أثاث المدارس وأدوات الدراسة وغونجات تصور المدارس الغير فرنساوية وفي الدور الاول مكتبة التريسة الفرنسية والاجنبية وأهم قسم فيها هو مكتبة للموسيو رابو تحتوي على ٦٨٤٨ مجلدا خاصة بهذا الفرع من التعليم وقد اشترتها الدولة بعد وفاته باسم هذا المتحف وبعض الكتب الموجودة في هذه المجموعة قد صارت الآن اندرمن الكبريت الاحمر وفيها أيضا مجموعة تحتوي على كتب التعليم في القرن السادس عشر وفي الدور الاول مجموعة علمية ومعامل للعلوم الطبيعية وأثاثات مدرسية وشرائع فرنساوية وأجنبية خاصة بالمدارس - وقد ترتب على انشاء هذا المتحف فوائد كثيرة خصوصا المكتبة المتنقلة فإنه قد يتفق وجود بعض من المترشحين لوظائف التدريس أوللترقى الى وظائف سامية ولا يكون في وسعهم الاستحصال على الكتب الدراسية اللازمة لبعدهم عن المدن الكبيرة ولضيق ذات يدهم فانشأت الدولة هذا المتحف ليعبرهم الكتب اللازمة بناء على طلبهم فيرسلها لهم خالصة أجرة البريد في صناديق محكمة من الخشب مدة شهر أو شهرين



بحسب ما يريدون ولهم الحق في تمديد الاجل المحدود وسأشرح الكلام في الرحلة على هذا المتحف بنوع مخصوص لماله من المزايا الكبيرة

أما متحف جيمى أو متحف الاديان الالهلى فانه يتضمن كل ما جمعه الموسيو ايميل جيمى E. Guimet اثناء سياحته في بلاد المشرق ثم انه تبرع بهذه المجموعة النفيسة التى تبلغ قيمتها أكثر من ٤ ملايين من الفرنكات لمدينة باريس لاجل افادة ابناء وطنه والغاية منها درس الاديان القديمة وعقائد المشرق بحسب الرسوم الصحيحة والتمثيل والكتب والتصوير الاصليّة الصادرة عن نفس المتعبدين وهى مرتبة بحسب المذاهب والاعتقادات والاقوات ثم ان هذا الرجل الكريم فضلا عن هذه الهبة السنية تبرع بنصف المصاريف اللازمة لبناء دار المتحف وقد بلغنى من ثقة ان رجلا من اغنياء الانكليز عرض عليه مبلغا وافرا من النقود لمشترى جزء زهيد من المجموعة فأجابها بما معناه (انما تعبت وجمعت ماترى لافادة ابناء بلادى وللإعانة على رفع شأن وطنى وذلك آمن وأعلى مما تعرضه على الآن بما لا يقدر بأى حال) فهكذا تكون الشهامة والمروءة فى محبة الوطن والسعى فى اعلاء كلمته وتمجيد ذكره ومن أهـم ما فى هذا المتحف مكتبة تحتوى على

كتب كثيرة بخط اليد و ١٤٠٠٠ مجلد في مواضيع متنوعة  
و ٧٠٠٠ مجلد صيني وياباني ومصري قديم وهو يحتوي على  
مصنوعات من الخزف خاصة بديانة الصين واليابان وقدماء اليونان  
وايطاليا وفرنسا وقبائل افريقية والاقويانوسية وآلهتهم وتعبداتهم  
وهياكلهم ومعابدهم وفيه هياكل كثيرة منها هيكل يسمى بالمندره  
يحتوي على ١٩ إلهة (والمندره هي المعبد الذي يجتمع فيه جميع  
الالهة عند اليابان مثل البانتيون عند اليونان والكعبة عند  
الجاهلية وأقدم هذه المنادر هي مندره سين جون وكان  
فيها ١٠٦٠ إلهة) وآلهة الهيكل المحفوظ بهذا المتحف تنقسم  
الى ثلاثة أقسام لتدبير الكون وهي الكمال في الاعتقاد البوذي  
ثم التجسد لخلاص الارواح بطريق الاقناع ثم التحول بلذنب  
النفوس بالوعيد والتهديد - وهناك أيضا آثار كثيرة مما يتعلق  
بديانة الفراعنة وكيفية معيشتهم في هذه الدنيا ونعيمهم في الحياة  
الآخري وفي ضمنها تماثيل آلهة وتماثيل وأوراق بردى ومذابح  
وهياكل وأحجار مقدسة وغير ذلك - وفي هذا المتحف غرف  
للتدريس والعمل وجميع جدرانها مغطاة برسوم وأشكال تناسب  
الاشياء المعروضة في كل غرفة أو تكلمها بحيث ان الناظر الدقيق  
يقف تمام الوقوف على كيفية التعبد والتدين عند كل قبيلة

من هذه القبائل - وقد رأيت في فناء المتحف عنسيرا لتربية  
النباتات المحلوبة الى فرنسا من البلاد الحارة وفي أقصى الفناء  
قاعة يصعد اليها بسلم وفيها مجموعة من الاجار المختلفة وشواهد  
القبور القديمة عنى يجمعها اثناء سياحته في آسيا جناب الموسيو  
دومرجان الذى هو مدير المتحف المصرى الآن - وقد تقرر اثناء  
أقامتى فى باريس ان تلامذة المدارس العالية وتلامذة المدارس  
الحرفية فى هذه العاصمة يذهبون الى هذا المتحف فى كل يومين  
مرة بالمناوبة مع بعضهم لاجل الوقوف على كيمييات اصطناع  
الخزف والطقوس الدينية بارشاد الموكاين بحفظ المتحف أوالموسيو  
جيمى نفسه

أما متحف والتنين هاوى فقد سمي باسم أول من أسس  
مدارس العميان وهو وان كان صغير الآن لكنه جدير بالنظر اذ  
يحتوى على الآلات والادوات الخاصة باعمال العميان وعلى كثير  
من مصنوعاتهم فى جميع البلاد وقد كان دليلى فيه أحدهم وهو  
الموسيو جيلبو أحد اساتذة مدرسة العميان وأطلعنى على جميع  
مافيه قطعة قطعة بارشاد وثبات ومعرفة بمواضع كل شئ حتى  
انبهرت من هذا الدليل الماهر فانه له معرفة بالغزل والنسيج وكثير  
من الصنائع اليدوية وأخص معلوماته الجغرافية والتاريخ والفنون



الادبية وقد اتحفني ببعض من مؤلفاته وفيها ديوان شعر يعبر فيه عن عواطف العميان وأحاساساتهم وكيف يقدرون الاشياء وله كتب أخرى كثيرة تدل على فضله وسعة اطلاعه وهو الذي سعى في تأسيس هذا المتحف على نفقته ثم أمدته الجمعيات والمدارس في البلاد الاوروبية والامريكانية بمتحف أخرى ولا يزال يدفع ايجار المنزل من ايراده

وفي باريس متاحف أخرى كثيرة لا يجوز لي ان أتكلم عليها لانني لم أزرها وقد جرت عادتي اني لأذكر الا ما عرفت به بنفسى ولكنني أشير الى اسماء بعضها مثل متحف الطوبجية والاثاث الاهلي والطب ومقابلة التشريح والمعادن وآلات الموسيقى والرصدخانه والنقود والمحفوظات (الدفترخانه) والمتحف التاريخي لمدينة باريس (وبه مكتبة فيها نحو ٩٠.٠٠٠ مجلد) ومتحف المجموعات الفنية لمدينة باريس ومتحف كاين وقد أسست زوجة كاين ومتحف جاليرا ومتحف الغشاشين (ويوجد له نظير في كرك الاسكندرية) وفوق ذلك فان لاغلب المدارس والجمعيات العملية والفنية متاحف خاصة بها

قصور باريس

هذه بلد القصور حيثما قلب الانسان ناظره رأى قصرا شاهقا وبنينا شامخا واتقانا زائدا ولكنى لأتكمم الآن الاعلى بعض المقصور المهمة واترك الباقي لفرصة أخرى فمن آخرها قصر التويلرى يدل على ذلك مابقى منه بعد الحريقة التى ألتهمته اثناء ثورة الكومون فى شهر مايو سنة ١٨٧١ كانت بنيته فى سنة ١٥٦٤ وقد أقيمت فى مكانه الآن حديقة أنيقة مزدانه بأنواع الازهار تتخللها تماثيل رمزية وفساقي تدفع الماء الى حيضان بهجة بكيفيات رشيقة تسر الناظرين أما قصر اللوفر فقد شيد فى عام ١٥٤١ على اطلال قلعة عثر القوم على بعض بقاياها تحت الارض فى سنة ١٨٨٣ وسكنه كثير من ملوك فرنسا قبل أن يكمل تماما حتى جاء الامبراطور نابليون الاول فشدد الاوامر بانتهائه ولكنه لم يساعده الزمان على بلوغ الغاية فى هذا الامر الخليل فلما كان الامبراطور نابليون الثالث أتمه على الوجه المرغوب واحتفل بافتتاحه فى سنة ١٨٥٧ وقد بلغت اكلافه ثلاثة ملايين من الجنيهات الاسترلينية (٧٥ مليون فرنك) وفيه رسوم ونقوش وتصاوير وتماثيل وزخرفة وتزويق فى الجبس والحجر والرخام والخشب وعلى وجهاته وعقوده وجدرانه

وسقوفه ونوافذه ومطلانه وافنائه ورحبانه تسلب العقول وتخلب  
الالباب وواجهته الاصلية مركبة من عمد مستنده على عمد تمثيلا  
لاجل وأعظم هياكل العبادة عند قدماء اليونان وخلاصة القول  
انه اليوم تحفة حوت متاحف واعجوبة جمعت عجائب

ومما يلحق بهذا القصر ميدان الكاروسل وهو من أجل  
ميادين باريس ويبتدئ بقوس نخار هائل تحيط به البساتين الناضرة  
ويحف به من اليمين والشمال تماثلان رمزيان للحرية والسرعية  
ومن هذا المكان يمتد النظر الى بستان التويلري والمسلة المصرية  
وقصر الشانزلزي وقوس نخار الكوكب وينتهي الميدان المذكور  
بمذائق اللوفر وفيه تجاه قوس نخار الكاروسل عمود أثرى أقيم  
لتخليد ذكر غامبتا المشهور وهذا العمود يتركب من كتلة حجرية  
عظيمة تحيط بها تماثيل من البرونز (الشهبان) تصور الحقيقة والقوة  
والحرية والمساواة وفوق هذه القاعدة منشور هرمي من الصوان  
يبرز منه تماثيل الرجل واقفا ومائلا برأسه الى الخلف قليلا وباسطا  
ذراعه الايمن بشهامة وهو يرشد أبناء وطنه الى الواجب والشرف  
وتحت أقدامه الذائدون عن حياض الوطن يرعاهم ملاك فرنسا  
وقدارتفع بأجنحته الى عنان السماء فقاموا من سقطتهم ونفضوا  
ماعليهم من الغبار وجعوا أسلحتهم المتكسرة وعلى الواجبات



الآخري من المنشور جل مقتطفة من المقالات الرنانة التي ألقاها  
هذا الخطيب على قومه يدعوهم الى الدفاع عن بلادهم الى آخر  
نقطة من حياتهم وغير ذلك وفوق قمة هذا الاثر تمثال رمزي  
للديمقراطية (أى حكومة الاهالى بأنفسهم) وقد فازت وعلت كلمتها  
فامتدت صهوة غضنفر ذى أجنحة - وقد أقيم هذا التمثال في  
١٣ يوليو سنة ١٨٨٨ بنقود جمعها التوم من اكتاب عام  
اشترك فيه أبناء فرنسا المقيمين في حومتها والبعيدين عنها  
وأما قصر البورصة فهو على شكل معبد يونانى بمائى واجهته  
وحوله وفي داخله من السوارى والاساطين وطوله ٦٩ مترا وعرضه  
٤١ وفي أركانه من الخارج تماثيل أربعة للتجارة والعدالة  
القنصلية والصناعة والزراعة وفي داخله قاعة كبيرة للعمليات المالية  
تسع أئى شخص وعلى جدرانها تصاوير بالغة في الاتقان بحيث  
يخالها الناظر نقوشا بارزة وهى عبارة عن الاحتفال بافتتاح  
البورصة على يد شارل التاسع وفرنسا وهى تستقبل الاتاوة من  
أقسام الدنيا الخمسة واتحاد التجارة والعلوم والصنائع وأهم المدائن  
في فرنسا - وقد زرت هذا القصر ولكنى أعترف بأننى لم يتيسر  
لى أن أدرك شيئا من أحواله أو أقف على نزر من تفاصيل  
ماجرياته حتى كنت أتحف بها القراء ونغاية ما رأيت به فيه جلبة

وضوضاء وصياح وصخب وتماوج وتدافع وأيدى ترفع وأرجل  
تهرول وأقوام يخرجون وآخرون يدخلون وفي يد كل واحد  
قرطاس وقلم من الرصاص وصكوك مختلفة الألوان ولا أدرى  
كيف يتفاهمون في بابلهم هذه وإن كانوا كلهم بلغة واحدة  
يتخاطبون - وفي هذا القصر مكتب للتأخراف وآخر للتلفون  
وبارومتر كبير وسكردان يتناولون فيه غداهم من غير أن يتعدوا  
عن الميدان

أما قصر الانواليد (لعساكر السقط) فقد شاده الملك لويز  
الرابع عشر في سنة ١٦٧٠ فإن هذا الملك العظيم أراد أن يضم  
حياة طيبة للعساكر الذين تبت بعض أعضائهم أو تصيبهم بعض  
العاهات ولا يكون لهم وسيلة للتعيش بعد أن وخط الشيب رؤسهم  
وهم في سلك النظام ولكن الذي نظم هذا القصر حقيقة وأجاد  
ترتيبه انما هو نابليون - ومسطح الارض التي يشغلها هذا القصر  
عبارة عن ١٢٦٩٨٥ مترا مربعا وهو معد في الاصل لسكن  
٥٠٠٠ نفس ولكنه اليوم لا يحتوى الا على ربع خمس هذا العدد  
لان قدماء الجهادية في هذا الزمان يفضلون تمضية ما بقى من عمرهم  
في استقلال وحرية وانفاق المعاش الذي يخوله لهم القانون  
بحسب ما يريدون - أما النازلون به فتعتنى الدولة عناية تامة

بمسكنهم ومطعمهم وملبسهم وتدفتتهم وكل ما يلزم لهم  
وامام هذا القصر رحبة فسيحة طولها ٥٠٠ متر وعرضها  
٢٥٠ وفيها صنوف كثيرة من الاشجار

وبعد هذه الرحبة فناء خارجي تحف به الخنادق من كل  
جانب ويحديق به من اليمين والشمال بطارية مدافع اعتمتها الجيش  
الفرنساوى فى حروبه وهى التى تستخدم فى انباء الباريسيين  
بالحوادث الكبيرة مثل الانتصارات والمواسم وغير ذلك وحول  
هذه المدافع مدافع أخرى من طرازات متنوعة وعبارات مختلفة  
وفى خلال صفوفها مماشى يتنزه فيها قدماء الجنود النازلين  
بالقصر - أما واجهة هذه البناء الفخيم فتحديث فى النفس  
بجلالة وفى الفكر اجلالا وطولها ٢١٠ أمتار وفيها ١٣٣  
شباكا وعلى يمين الباب تمثال إله الحرب وعلى يساره إله الحكمة  
وفى الدهاليز تمثيل بعض الوقائع التى انتصر فيها الفرنسيون وفى  
الفناء الداخلى تماثيل كثير من قوادهم وشجعانهم وأهم ما استوقف  
انظارى فى نفس القصر هو المكتبة التى أسسها نابليون وهى  
تحتوى على ٣٠ ألف مجلد تقريبا ولا يجوز الدخول والشغل  
فيها الا للعساكر السقط ومن ملحقاتها قاعة تحتوى على صور  
جميع مارشالات فرنسا ومديرى هذا القصر وتصغير يمثل للرأى



عمود وندوم المشهور والقنبلة التي قتلت تورين في سنة ١٦٧٥ وهو من أفرس ابطالهم ومثال من الجبس لتمثاله فوق فرسه وبعض الخلفات التي تركها نابليون في جزيرة سنت هيلانة منقاة بجمعها بعض المغرمين بجذره مثل اغصان من الشجرة التي كان يستظل بها وقطرات من الينبوع الذي كان يستقي منه وقبصه من التراب الذي وطئه بقدمه وقصة من شعره وقطعة من ورقه وما أشبه ذلك وضعها بعض المجيدين في لوحة تأخذ بالابصار لما أودعه فيها من الابداع وهناك أيضا أشياء كثيرة من التي كان يستخدمها الامبراطور في منابه

وفي هذا القصر كنيسة باسم القديس سان لويس وليست ذات أهمية بالنسبة لبنائها بل لانها مخصصة لدفن المارشالات ومديرى القصر ولانها تحتوى على كثير من الآثار التي تحيي ذكر ابطالهم المعدودين وفي قبورها كثير من الرايات التي اغتنتها القوم في مواقع القتال في افريقية والقريم وايطاليا والصين والمكسيك والتونكين وفي احدى بيوعها صورة لسيدنا عيسى عليه السلام مرسومة على القماش ولكن الناظر اليها يخال انها محيطة بكل انتظام

وخلف هذه الكنيسة قبر الامبراطور في قبة هي أجل أزدبني  
مصنوع في فرنسا بحسب الطرز اليوناني ولا يدخل القوم اليها  
الا بعد ان يرفعوا قبعاتهم تعظيما وتفخيما وفيها بيعة تحتوى على  
بقايا جيروم شقيق الامبراطور وبقايا ابنه البكرى وبيعة أخرى فيها  
قبر تورين ذلك البطل العظيم وامامها بيعة فيها عظام ووبان Vauban  
وبجانبها ناووس فاخر يحتوى على بقايا شقيق آخر للامبراطور  
أما قبر الامبراطور نفسه فهو في ناووس من الصوان الاجز  
لم ير الاثرون مثله في البهجة والرخامة وهو في وسط القبعة في  
حفرة عميقة مكشوفة للاظهار ومبلطة بالقسي فسفاء وهناك  
من التصاوير الهائلة وقبور المخلصين لهذا الرجل وتمثيل  
انتصاراته وغير ذلك مما يدهش الابصار ويقضى على الانسان  
بالاعظام والاكبار ويجعل خطواته مقرونة بالتحسب والهوننا  
ويذكره بان هذا العالم مصيره الفناء وان نهايات الجسد الزوال  
ويتذكر قول القائل ﴿ألا كل شيء ما خلا الله باطل﴾ خصوصاً عند  
ما يقرأ هذه العبارة التي أوصى بها نابليون (أتمنى أن تدفن عظامي  
على ضفاف نهر السين في وسط هذه الامة التي أحببتنا حبا جما)  
فيخرج المنفرج وهو يقول الملك الله والدوام لله سبحان الخي الذي  
لا يموت ان الله وانا اليه راجعون

وأما قصر الفنون المستظرفة - فقد أقيم على اطلال دير وتم  
تشييده في سنة ١٨٣٩ وفيه مدرسة لتعليم الرسم والنحت والعمارة  
والنقش بأنواعه وذلك التعليم نظري وعلمي ولهذا القصر فمنا آن  
وضعت في أولهما أبواب قصور قديمة وأعمدة منقطة بأشكال  
مختلفة وتمائيل للماعرين من الصانعين وغير ذلك وفي وسطه عود  
من المرمر الأحمر مشوب بالشب وفوقه تمثال الخصب وأما الفناء  
الثاني فبنيه مجاميع من تماثيل وقطع تماثيل من أيام القرون  
المتوسطة الى عصرنا هذا وفي وسطه فسقية من قطعة واحدة  
من الحجر كانت امام قاعة الطعام في أحد البيور لاجل غسل  
الايدي وعلى الواجهة الاصلية لهذا القصر هذه الكلمات الثلاث  
(رسم عمارة نحت) منقوشة بعناية واتقان وتفنن وابداع وعلى  
اليمين والشمال اسماء الاساتذة الذين نبغوا في هذه الفنون وفي  
دهاليز القصر وغرفه أمثلة لتماثيل قديمة ومعابد وثنية ومصنوعات  
في النحاس وتصاوير رفائيل في قصر الفاتيكان وأشهر العماير في  
فرنسا وغيرها وصور أعضاء جمعية الرسم والنحت وبعض أساتذة  
المدرسة وفيها مكتبة تحتوي على ١٢ ألف مجلد ونحو مليون  
من النقوش وفيه مجموعة للصور التي تجوز الطبقة الاولى في امتحان  
روسة وهي أعلى درجة يمكن للصور الماهر أن يتوصل اليها



وخلاصة القول انها حوت من ظرائف الفنون ما اثبتت في تلامذتها  
قوة التصور وابراز الافكار على القرطاس أو الاجار

أما قصر لكسمبورج - فهو الآن مستقر لمجلس السناتو  
(شيوخ فرنسا) وقد زرتة أربعة مرات بواسطة حضرة الفاضل  
الكامل الموسيو بوليا ( M. Pauliat ) أحد اعضاءه الموقرين  
وهو قد وقف نفسه على خدمة ابناء العرب في الجزائر وتونس  
والذب عن حقوقهم ورفع الاذى عنهم وللمسلمين في قلبه محبة  
شديدة وبواسطته تمكنت من الحضور في الجلسات أربع مرات  
ووقفت على اساليب المذاكرة والمدولة والمناظرة والمناضلة  
ولوشئت حضور الجلسات أكثر من ذلك لتمكنت بواسطته جزاه  
الله خيرا - هذا القصر أمرت بتشيمده ماري دويسيدس زوجة  
هنرى الرابع على مثال القصر الذى تربت فيه في فلورانس ثم  
تقلبت عليه الاحوال فبعد ان كان سكا للملك أصبح سجننا في أيام  
الثورة الفرنسية ثم مقرا لمجلس المشيخة ثم للقنصلية ثم للسناو  
ثم لنبلاء فرنسا ثم لمحافظة السين (دار أمانة المدينة) ثم للسناو  
في هذا الزمان وفيه مكتبة تحتوى على أكثر من ٥٠٠٠٠ مجلد  
وفوقها قبسة مغطاة باشكال ناضرة فاخرة - وفي القصر تماثيل  
نصفية لبارات فرنسا ( Pair de France ) وشيوخها قديما

وهو من أجل القصور وأكثرها زخرفة وتزييناً وقاعة الجلوس فيه عبارة عن نصف دائرة متقابلين يجلس الأعضاء باحزابهم وانشقاقاتهم وتنوعاتهم في النصف الأكبر وأما الرئيس وأعضاء الإدارة ففي النصف الآخر وعند ما تفتح الجلسة لا يتم الانتظام بل يستمر الأعضاء الذين يدخلون على التماسر فيما بينهم وعدم الالتفات للخطباء ولا للرئيس وترى الموكالين بالخدمة يتصايحون بهذه العبارة (صه ايها السادات) ويردون بها جملة مرات فتذهب في الهواء تتردد من جدار يدفعها الى جدار من غير أن يكون لها تأثير على الحاضر وترى بعض القوم يخرجون وآخرون يدخلون والرئيس يدق الجرس في كل نفس فلا يؤثر أكثر من صياح الجرس حتى اذا جاءت مواضيع المذاكرة الحقيقية وقام الخطيب الذي عليه الدور أخذ الانتظام حده وصار القوم يرمقونه ويتهمون كلامه ومنهم من يجيبه بالتنفيذ وآخر يؤيده بالتأكيد وفريق يصفق له استحساناً وآخرون يهزون الاكف استهجاناً وبعضهم يقاطعه في الكلام وغيرهم يساءده على الاتمام والرئيس يدعو الجميع الى ملازمة النظام وهكذا حتى ينتهي الخطيب مما ندب نفسه اليه فيحتمل مكانه أحد المتحزبين له أو عليه ويصعد الوزير لتأييد سياسة الحكومة وتزكية مساعيها

اوليان ما يطلبه الاعضاء من الافصاح عن حالة البلاد في الداخل  
أو الخارج ولا يزال القوم في أخذ وعطاء وبيع وشراء واستفهام عن  
ابهام وافصاح بقول صراح حتى تنفض الجلسة ويفيض الاعضاء من  
حيث أفاض الناس ولا يصبح الصباح الا وقد طبعت أعمال الجلسة  
وما قيل فيها كلمة كلمة وحرفا حرفا بالتمام والكمال اذ في خدمة المجلس  
كتاب مختدلون Sténographes ينقلون بالاشارات المختصرة كل  
ما يلقى الخطيب من البيانات أو يرد عليه من الاعتراضات أو يقع  
من الاضطرابات أو يظهر من الاشارات ثم يرسلونها للطبعة بعد كل  
عشرة دقائق وهناك يصير نقلها أو ترجمتها للكتابة العادية وجمعها  
واعدادها للطبع فلا يبقى نصف الليل الا وقد تم طبع الجريدة  
الرسمية وفيها حوادث الجلسة بالتفصيل الذي ليس بعذر تفصيل  
مع ان الجلسة لا تفتح الا في الساعة الثالثة ونصف من بعد الظهر  
وقد تنتهي فيما بين الساعة الخامسة والسادسة أو بعد هذه  
بقليل

وأما قصر بوربون - فهو مقر مجلس النواب وله واجهتان  
احدهما تطل على نهر السين والاخرى على ميدان باس القصر  
والاولى هي الواجهة الاصلية وفوق عمدانها نقوش ورسوم تمثل فرنسا  
وفي يدها الدستور وحواليها تماثيل الخيرية والسلام والحرب والفنون



والفصاحة والصناعة والتجارة وقاعة الجلسات كلها من المرمر  
وحولها عمدان منضودة وهى على شكل نصف دائرة تسع ٥٨٤  
نائباً ونظام الجلسات فيها يشبهه فى السناتو سوى ان اللغظ فيها  
أكثر والعرال أظهر والخصام أقرب من جبل الوريد والدعوة الى  
المبارزة ليست بالامر الجديد بل قد تحصل فى كل لحظة عقيب  
أقل لفظة وقد رأيت فى كلا المجلسين ان بعض الخطباء لا يوفق  
الى نوال القبول من عموم الحاضرين فيعطف بمناسبة حينما اتفق  
الى ذكر الوطن وشرفه ومجده ونخره ووجوب التفانى فى اعلاء  
مقامه وبذل المهج لاعزازه ثم يحيى القائمين بنصرته الذائدين عن  
حومته ويترحم على وفاة من وفاه حقه وعرف واجبه وهكذا  
من الاساليب الخطائية فيخلب الالباب ويسحر العقول ويستجذب  
القبول فيجابه السامعون بالتصفيق وعلامات الاستحسان وكلمات  
الابحباب خصوصا اذا كان قوالا سميلا وخطيبا مصقعا يعرف  
كيف يقرن الاشارات بالكلمات وكيف يكون توقيع الالفاظ  
ليكون لها وقع فى الفؤاد - وقد اتفق فى الجلسة التى حضرتها  
فى مجلس النواب حصول مطر بغير سحاب استبدلت فيه الامواه  
بالاوراق فكانت تتناثر على الاعضاء من غير افتراق وذلك ان رجلا  
اسمه الكساندر هوليه تربص فرصة مناسبة فخذف عليهم

بكراريس مطبوعة عنوانها (هتك ستر الطرارين) ولكن الجنود قبضوا عليه في الحال وأودعوه السجن تحت المحاكمة وقد قالت بعض الجرائد انه يعنى بذلك مسألة بناما فكتب الرجل الى الجرائد انه لم يحم حول هذا المقصد ولا أعلم الا الآن ماذا تم في أمره

وأما قصر الصناعة - فهو معد للمعارض السنوية والجزئية وقد أقيم في سنة ١٨٥٥ بمناسبة المعرض العام من مال شركة مؤلفة من كثير من المساهمين ثم اشترته الدولة وله فناء مستطيل طوله ٢٥٠ مترا وعرضه ١١٠ أمتار ومسطحة ٣٢٠٠٠ متر وعلى بابه شمال كبير يمثل فرنسا وهي توزع أ كاليب الفخار من الذهب النضار على الصناعة والفنون وهما جالستان تحت اقدامها وعلى الجدران المحيطة بالقصر أسماء الذين برعوا في العلوم والفنون والصناعة مرقومة بحروف من الابريز وقد جعلوه بعد سنة ١٨٥٥ مقرا للمعارض السنوية للرسم والنحت والعمل والصناعة وفن الحدائق ومعارض الخيول والحيوانات والاطيار الخ وقد كان فيه اثناء مقامي بباريس معرض اشغال النساء فكان فيه جميع أصناف ملبوساتهن بحسب الازياء وتنوعها في كل عصر وعند كل أمة قديمة أو حديثة نسقوها على شكل معجب مطرب وخصوصا قبعاتهن وأشكالها المختلفة وتفننن فيها بما يجذب

الابصار ويسلب الالباب وليس هذا مقام الشرح عليها فتركها  
وصفها الى فرصة أخرى

وخلف هذا القصر بناء من الحديد واللبن يسمى كشتك مدينة  
باريس وهو معد للجله معارض متنوعه وكان به أيام مقامي في  
هذا البلد معرض الصنائع المتعلقة بلحم الخنزير وكانت الدولة  
ترسل اليه الموسيقى العسكرية تصدح فيه بالخانما الشجية

واختم الكلام في هذا الموضوع الطويل العريض بخلاصة  
قصيرة على قصر التروكلديرو فقد بنى على رابية بمناسبة المعرض  
العام الذي أقيم في سنة ١٨٧٨ وقد اشتمت فيه حكومتنا  
المصرية وأصابت حظا وافرا من الفضل والفخار وهو يشتمل على  
أحسن أساليب البناء وطرقات العمارة وفوقه تمال الشهرة وفيها  
بوق تنفخ فيه وفيه قاعة المواسم والاحتفالات مزخرفة بنقوش  
وتصاوير وفي هذه القاعة مكان للموسيقين يسع ٤٠٠ نفر منهم  
بالآتهم وأما القاعة نفسها فيمكن ان يجلس بها ٥٠٠٠ متفرج  
بالراحة وتحتته حربي لاسمك المياه العذبة موضوعة في مغارات  
فسيجة تتجدد فيها المياه على الدوام ومنظر هذا القصر وعمدانه  
وابراجيه وأروقته وأجنحته وحديقته وفسقيته مما يفتن العقول  
ويستغرق الزمان في التأمل والامعان



وفي باريس غير ذلك عدد كبير من القصور العمومية  
والخصوصية ولا أتكمم عليها لاني لم أدخلها

معامل باريس

مثل هذه المدينة العظيمة لا يتخلو من المعامل المتناهية في  
الاتقان ولكني لأتكمم الآن الاعلى معامل الجبلين (بضم الجيم  
وسكون الباء وكسر اللام) ومعامل الدخان  
فأما الاول فقد كان انشاؤه في سنة ١٦٠٣ على يد الملك  
هنري الرابع وبعد أن دار الشغل فيه نحو خمسين عاما اشتراه  
لويز الرابع عشر وجعله معملا للامتعة والاثاثات الملوكية بناء على  
اشارة وزيره كويمير فكان يشتغل العمال فيه بالطنافس والستائر  
المشهورة التي لانظير لها في السكون وباشغال القص والنسيفساء  
وبتاقيم العاج وتطعيم الابنوس وبصياغة الحلي والجواهر  
وباصطناع التماثيل المخصصة لقصر فرساي وبعد حكم هذا الملك  
اقتصر العمل على اصطناع الطنافس والستائر وفي ٢٥ مايو سنة  
١٨٧١ أحرق ثوار الكومون بفرنسا جزءا منه فالتهمت النار  
كثيرا من نفائس الطنافس وستائر الستائر وقد أبدع هذا المعمل في  
تقليد الرسم وألوانه بالنسيج في انواله على منواله مع الدقة والرقه

حتى ان الملوك والامراء ينخرفون قصورهم ومتاحفهم بصنوعاته التي سارت بحسنها الركبان وفيه متحف حوى شياً كثيراً من غرائب منسوجاته ومنسوجات الامم الاخرى وقد رأيت قباطى مصر المشهورة في كتب العرب مع انى من بلادها ولم أرها فيها وربما تكلمت على هذا المعمل الجليل بما يستحقه من التفصيل اذا ساعدت العناية في فرصة أخرى

وأما المعمل الثانى أى معمل الدخان فهو في بناء كبير يبلغ مسطحة هكتاران ونصف وله خمسة أدوار ويستغل فيه ١٩٠٠ عامل أكثرهم من النساء وقد رأيت فيه من جميع أصناف الدخان وكيفية تهيئته بعد عرضه لعمليات متعددة واعداده سبحانه ساعة للشاربين ويبلغ مدة دار الدخان الذى يبيعه في السنة الواحدة ٧,٦٥٠,٠٠٠ كيلوجراما وقد علمت من مديره ان قيمة الربح الصافي الذى يصيب الخزينة من معامل الدخان في السنة هو ٣٥٠ مليون فرنك (١٤ مليون جنيهه انكليزى) مع ان جميع المستخدمين به لهم معاش كامل من غير ان يخصم منهم يوم احتياطى

ولوجود هذه المعامل في كل أوروبا منفعة أخرى أعظم وأهم وهى ان الذين يشربون الدخان في هذه البلاد موقنون بجودة الصنف

وانه ليس مشوبا بورق الخس والقلقاس وخصوص النخل وغير ذلك مما تتولد منه بعض الامراض الصدرية التي لايشفى منها صاحبها كما انه يتعذر أو يتعسر شفاؤه من معاقرة هذا النوع من الشراب ولما كانت هذه المسئلة ذات أهمية عمومية عظيمة فقد اتفقت مع حضرة المدير المشار اليه على ان يتحفظ بما يلزم من المعلومات والبيانات لانشرها بين قومي عسى أن يكون لها بعض الفائدة وقد باع مجموع استهلاك الدخان في فرنسا في سنة ١٨٩١ ٣٥٨١٣٨٥٤ كيلو جراما منها ٢٩١١٠٠٩٢ كيلو جراما من الدخان المعد للتدخين و ٥٤٥٧٤١٣ من الدخان المعد للشوق و ١٢٤٦٣٤٩٩ من الدخان المعد للضغ واليك جدول الاستهلاك بالكيلوجرام في جملة سنين لمعرفة زيادة انتشار هذه العادة أو الافة

سنة	دخان التدخين	دخان الشوق	دخان المصغ	مجموع الكميات المبيعة
١٨٦٩	٢٢٦١٩٠٧٩	٨١٦٨٤٥٠	١٢٤٥٢٢٩	٣٢٠٢٢٧٥٨
١٨٧٤	٢١٣٤٨٣٢٢	٦٥٧٣٦٤٤	٠٩٦٢٥٩٥	٢٨٨٨٤٥٦١
١٨٧٩	٢٤٣٠٣٩٤٢	٦٨٢٧٦١٤	١١٦٥٦٨٢	٢٢٢٩٧٢٣٨
١٨٨٤	٢٨٠٥١٠٩٩	٦٧٠٢٦٥٩	١١٨٠٩٥٧	٢٥٥٩٣٤٧١٥
١٨٨٩	٢٨٧٨٤٦٦٠	٥٨٣٤٣٩٠	١٢٠٠٢٦٢	٣٥٨١٩٢١٢
١٨٩١	٢٩١١٠٠٩٢	١٢٤٧٤١٣	١٢٤٦٣٤٩	٣٥٨١٣٨٥٤



ولاجل أن تكون المقارنة صحيحة ينبغي التنبيه على وجوب تنزيل نحو مليوني كيلوجرام من المقادير الخاصة بسنة ١٨٦٩ وذلك في نظير استهلاك أهل مقاطعتي الالزاس واللورين فانهما انفصلتا من فرنسا بعد حرب السبعين ومن هذا الجدول يتضح ان مجموع استهلاك الدخان لم يتغير تغيرا محسوسا منذ سنة ١٨٨٤ وان استهلاك دخان التدخين قد ازداد بالتدريج بنحو مليون من الكيلوجرامات ومثله دخان المضغ ولكن النشوق أخذ في النزول بنسبة ٢٠ في المائة

وقد بلغت كميات الدخان المستهلك في مقاطعة السين وحدها (وهي التي بندرها باريس) في سنة ١٨٩١ نحو ٤,١٦٤,٧٩٠ كيلوجراما (منها ٣,٥٣٧,٧٧٨ للتدخين و ٥٣٧,١٥٧ للنشوق و ٨٩,٨٥٥ للمضغ) يقابلها في سنة ١٨٦٩ ٣,٦٩٨,٠٠٠ (منها ٣,٣٧٧,٨٥٠ للتدخين و ٧٥٣,٠٢٨ للنشوق و ٩٤,٨٣٥ للمضغ)

خزائن الكتب بباريس

اشتهرت هذه المدينة بالفوقان على غيرها في ميدان الخلاعة واجلد فانها مقر الملاهي والبدع والمبتدعات ومركز المعارف والمعالي والمخترعات فلا يخلو أقل بيت فيها من خزانة كتب بحسب

حالة صاحبه وذوقه فكل أهاليها يقرؤون ويكتبون حتى ان سائق  
العربة بل والكاس اذالم يكونا مشغولين بالسوق والكاسة يكونان  
منكبين على القراءة والدراسة وبهذه النسبة يقاس ولوع القوم  
بتثقيف العقول وتنوير الازهان كلما صعدنا في سلم الارتقاء الى  
أعلى الطبقات ولا أدعى الاقتدار على استيفاء الكلام في هذا  
المطلب على خزائن الكتب في باريس ولكني أذكر لمعايسيرة  
عنها بغاية الايجاز حتى يتصور القارئ ماهيتها فيتمكن من الحكم  
عليها

فان وجود الكتبخانات من اسمى الدلائل على ارتقاء المدنية  
وضخامة العمران ومن أوجب الاعمال لتخليد الذكر وحسن  
الاحدوثة حتى لقد سعى الملوك في جميع الاعصار في جمع الكتب  
والعناية بها لينوه التاريخ بذكورهم في جملة المساعدين على نشر  
المعارف وتوسيع دائرة العلوم أما الآن وقد اتسع نطاق العرفان  
وساغت موارد التعاليم للطالبيين فقد صارت العناية بالكتب فرض  
عين على جميع الحكومات المتقدمة

المكتبة الاهلية - هذه المكتبة يكاد لا يكون لها مثل  
في العالم وأول من عنى بتأسيسها شارل الخامس ملك فرنسا في

سنة ١٣٧٥ فانه جمع ١٢ ألف مجلد وجعلها بقصر اللوفر ثم  
انها نقلت منه فيما بعد الى جهات أخرى  
ولما جاء الملك فرنسوا الاول اهتم بها اهتماما خصوصا وزاد في  
عددتها لغرامه بالمعارف وولوعه بالعلوم حتى انه نقلها الى قصره  
في فونتبيلو لتكون على مقربة منه ثم ان الملك شارل التاسع  
أعادها الى باريس ولكن ازديادها في كل يوم كان يوجب نقلها  
من مكان الى آخر على انها مع كل هذه العناية لم تزد عن خمسة  
آلاف مجلد في أول عهد الملك لويز الرابع عشر فاهتم حينئذ  
وزيراه كولبير ولوفوا بشأنها وتقدمها اهتماما لا يزال مستمرا الى  
يومنا هذا ثم نالت عليها الهدايا والوصايا من كتب بخط اليد  
ومداليات وأحجار منقوشة ونقود ومبصومات وغير ذلك ولقد بلغت  
المطبوعات فيها في سنة ١٧٨٩ ثلاثمائة ألف مجلد (٣٠٠٠٠٠)  
ثم ازداد هذا العدد زيادة كلية في أيام الثورة الفرنسية بما نوارد  
عليها من الكتب التي انتزعت من الاديرة ومن قصور المهاجرين  
حتى انه صار من المستحيل عمل فهرست أو برنامج للمكتبة  
واكتفى القوم بوضع الكتب المستجدة في أقسامها الخاصة بها  
باعتبار الحروف الهجائية لاسم المؤلف  
ومما يستحق الذكر انها صارت في ذمتين عرضة لمصيبة



من أعظم المصائب ولم تنج منها الا بما بذله مستخدموها من شدة  
العناية وصادق الاخلاص فان البروسيانين لما حاصروا باريس  
في سنة ١٨٧٠ كانت المكتبة مهددة بالحريق في كل لحظة اذ لو  
وقعت عليها قنبلة لكانت أعدمت هذه الكنوز الثمينة الى ابد  
الآبدن فلذلك كان أغلب مستخدميها يذهبون بالنهار الى الحصون  
والقلاع للدفاع عن المدينة ومتى جن الليل يرجعون الى المكتبة  
ويطوفون حولها خفراء عليها وبعضهم يصعد على أسطحها للوقاية  
من هذا العدو المبين وهو النار ولما دخل البروسيانون باريس  
اجتهد عمال المكتبة في اخفاء أهم ما فيها من الكتب التي بخط  
اليد حتى لا تطمح اليها أنظار الفاتحين

ولما تم عقد الصلح وعادت السكينة الى ربوع فرنسا جاء خطر جديد  
لم يكن في الحسبان وهو ثورة الكومون وذلك انه لما زحف  
الثائرون من فرساي على باريس ودخلوها كانت النار تمهد  
الكتبخانة من كل جانب ولكن الله سلم

ولما عادت المياه الى مجاريها واشتغل الناس بالعلوم والمعارف اكتسبت  
المكتبة أهمية فوق العادة حتى لقد بلغ عدد الكتب التي وردت  
اليها في سنة ١٨٩٠ وحدها ٧٠٠٠٠ مجلد

وعدد ما فيها من الكتب الآن يبلغ مليونين ونصف مليون

وإذا أضفنا إلى ذلك العدد ما هنالك من المجاميع والكتب المكررة  
بلغ العدد ثلاثة ملايين بالتقريب

ولا شك ان هذه الكنوز المتعددة تستوجب تحرير فهرست  
واف بيان محتوياتها وقد راعت ذلك الجمعية التشريعية فأصدرت  
بهذا المعنى أمرا عاليًا في ٢ يناير سنة ١٧٩٢

ولكن كثرة الوارد حالت دون كل نظام غير ان عمالها قد  
ابتدؤا في سنة ١٨٥٢ بتحرير أوراق منهزلة بالبيان الكافي عن كل  
كتاب ورد للكتبخانة وقد كاد الفهرست العمومي يتم اليوم واعلم  
ان المبلغ المخصص للطبع هو قليل جدا بالنسبة لجسامة العمل  
فانه عبارة عن ١٠ آلاف أو ١٢ ألف فرنك فقط مع ان المتحف  
البريطاني بلوندره يتفق في مثل هذا السيل ٢٠٦١٢٥ فرنكا  
وفي غرفة المطالعة ٧٥٠٠ مجلد ويقابلها في مثلها في المتحف  
البريطاني ٥٠٠٠٠ ولكن المانع الوحيد هو ضيق المحل في باريس  
وكانت متصلة بعمائر ومساكن لبعض الافراد فقرر البرلمان مبلغ  
١٠٠٠٠٠٠ فرنك لعزلها عنها فاجتهدت الدولة حينئذ حتى اشترت  
هذه المباني واضافتها الى المكتبة لتوسيع نطاقها وعزلها عما يجاورها  
بحيث أصبحت في سنة ١٨٨٢ بجزيرة تحيط بها شوارع أربعة  
(١٦ - رسايل)

من الجهات الاربع وتلك العناية بقصد الوقاية من اتصال الحريق  
اليها مما يجاورها وفيها مركز لرجال المطافئ وهي على أربعة  
أقسام أولها قسم المطبوعات والخرائط والمجموعات الجغرافية وثانيها  
قسم الكتب المخطوطة (التي بخط اليد) والنظامات السياسية  
والاجازات أى الدبلوماسية وثالثها قسم الميداليات والاسجار المنقوسة  
والقديمة ورابعها قسم المصومات . وفي الخزانة غرفة للمطالعة  
تفتح في كل يوم من الاسبوع حتى في أيام الاحد من الساعة التاسعة  
صباحا الى الساعة الرابعة والخامسة أو السادسة الافرنكية من  
المساء بحسب اختلاف الفصول وفيها غرفة أخرى للاشتغال  
بالكتب ومراجعتها

فأما قسم المطبوعات فهو فريد في أوروبا يزيد على جميع  
مكاتبها بكثرة ما فيه من الكتب النادرة المعدومة فإنه وحده  
يحتوى على ٢٥٠٠٠٠٠ مجلد من ضمنها الكتب التي ظهرت  
أيام نشأة المطبعة أو التي طبعت في أشهر المطابع القديمة  
وأما غرفة المطالعة ففيها طاولات عظيمة يجلس حوالها  
١٠٠ مطالع بالراحة وفيها نحو ٢٥٠٠٠٠ مجلد من مجموعات  
دورية وعلمية وموسوعات ومعاجم وأشهر الكتب المتداولة في  
الآداب والعلوم والصنائع وغير ذلك وعلى عقود هذه الغرفة أسماء  
أشهر الطباعين والمشتغلين بفن الكتب



وأما غرفة الشغل فمساحتها ١١٥٥ مترا مربعا ويمكن أن  
يجلس فيها ٣٤٤ شخصا بكل الساعة والراحة وسقفها عبارة  
عن ٩ قباب مغطاة من الداخل بالقيشاني ومتكئة على أسانيد  
مقربصة من الحديد قائمة على ١٦ عمودا من الزهر ارتفاع كل  
عمود منها ١٠ أمتار وحوالى هذه الغرفة دواليب فيها نحو  
١٠,٠٠٠ مجلد من معاجم ومجاميع وغير ذلك وهى متصلة  
بمخزنة الكتب الخاصة بها وفيها أكثر من ١,٢٠٠,٠٠٠ مجلد  
ويتصل بهذا القسم المجموعة الجغرافية ولا نظير لها فى أوربا كلها  
اذ جعت فيها الدولة الفرنسية خرائط جغرافية للممالك والبقاع  
والبلدان وأغلبها مصنوع بالجبس وفيه خرائط فرنسوية وأجنبية  
من جميع اللغات ويبلغ عددها ٢٥٠,٠٠٠ خريطة  
أما القسم الثانى ففيه أوراق وكتب من جميع اللغات  
ومجموعها ٩٠,١١٩ مجلد منها نحو ٨,٠٠٠ منيئة بأشكال وتصاوير  
وحروف مذهبة ومزوقة ويتبعه مجموعة من أوراق البردى  
المصرى والاعريقى واللطينى وتعليمات شارلمان والعهود والعقود  
من سنة ١٢٠٠ الى سنة ١٤٢٥ ومنشورين من البابا على  
ورق من البردى تاريخه سنة ٩٩٩ وغير ذلك وفيه حجرة قد  
وضعت فيها جميع مؤلفات فولتير فيلسوفهم وشاعرهم وأديبهم  
ومؤرخهم المشهور وفيه أيضا صناديق مغطاة بالواح من الزجاج

تحتوى على أندر ما يوجد من المطبوعات والمخطوطات ذات القيمة  
الغالية تدل على أصول المطبعة والتجليد وغير ذلك وفيها كتب بخط  
اليد يونانية وشرقية وأمريكية وكتبة كانت ملكا للملوك  
والسلاطين وتجليد عجيب بالعاج والباغية وأوراق بردى ورق  
غزال وغيره وخطوط بعض المشاهير

أما القسم الثالث فأول من أسسه لويز الرابع عشر وهو  
من أهم المجموعات المماثلة له في العالم فإنه يحتوى على أكثر من  
٢٠٠٠٠٠ ميدالية وفي الدهايز الموصل اليه منطقة فلانك  
البروج التي كانت بدندرة ومجلس أجداد تحوتس الثالث وكلاهما  
أثريهما الفرنسية من مدينة طيبة بالصعيد ويوجد به أيضا ألواح  
قديمة من أبحار متنوعة عليها نقوش بلغات شتى مهجورة وفيها  
أبحار دقيقة كريمة منقوشة أو محفورة بالتجويف أو بالتبريز ونقود  
اسلامية وغير اسلامية وغير ذلك مما يطول شرحه

وأما القسم الرابع ففيه أكثر من ٢٠٠٠٠٠ قطعة  
مجموعة في ١٤٠٠٠ مجلد و ٤٠٠ لوح من الورق المتسین  
المعروف بالكرتون وفيها مبصومات تدل على تاريخ الفنون  
في فرنسا من ابتداء القرن الخامس عشر الى عصرنا هذا وغير  
ذلك

ويعنى بالمبصومات تلك الرسوم المصنوعة بالريشة أو بالقلم

الرصا ص لكي تكون قاعدة في الطبع وهي بالنسبة لالواح الصور الزيتية كالترجمة للاصل

ولتسكلم الآن على ميزانيتها اظهارا لمزيد أهميتها فقد كانت في سنة ٩٢ ٧٨٨٠٠٠ فرنك منها ٤٣٦ ألف للمستخدمين و ٢٧٢ ألف للادوات والمهمات و ٨٠٠٠٠ للفهرست والمخصص للمشتري من هذه المبالغ هو ٨٠ ألف فرنك وللجليد ٢٥٠٠٠ فرنك أما ميزانية المتحف البريطاني فانها تزيد على ٥٠ ألف جنيه أى ٢٥٠٠٠٠ فرنك نصفها للماهيات والنصف الآخر لمشتري الكتب وتجليدها وغير ذلك نعم ان المتحف البريطاني فيه كثير من المجاميع العلمية غير الكتب والآثار والمخلفات القديمة ولذلك ينبغي لنا المقابلة بين قسم المطبوعات في كل منهما

ففي باريس ٦٠ مستخدم وعامل وفي مثلها في لوندرة ١٢٢ مستخدمًا وعاملا مرتبهم ٤٩٦٠٥٠ فرنكا وهذا جدول مقابلة الماهيات

(مكتبة باريس)

١	مدير عام	١٥٠٠٠	فرنك
١	سكرتير وصراف	٧٠٠٠	«
٤	امناء	١٠٠٠٠	«
٦	مساعدو أمناء	٧٠٠٠	«
٥٠	كتبخانني ووكلاء وتحت التمرين	١٨٠٠ الى ٦٠٠٠	«

وغيرهم من أصحاب اليومية والكتابة



(المتحف البريطاني)

حافظ	من	١٨٧٥٠	فرنك
٤ مساعدون	١٢٥٠٠	الى	١٥٠٠٠
١٣ معاون درجة أولى	٦٢٥٠	»	١١٢٥٠
٢٢ » »	٣٧٥٠	»	١٠٢٥٠
٣٦ » »	٢٧٥٠	»	٣٠٠٠
٤٦ فراش	١٥٠٠	»	٢٥٠٠

وكانت ميزانية المكتبة الاهلية في أيام لويز الخامس عشر عبارة عن ٦٨٠٠٠ لير أى فرنك منها ٤٦٤٦٩ للمستخدمين و ٢١٥٣١ لمشتري الكتب والادوات وفي سنة ١٧٧٨ بلغت ٧٣٠٠٠ ليره ثم ازدادت في أواخر حكم الملك لويز السادس عشر مبلغا جسيما جدا بالنسبة لذلك الوقت وهو ١٦٩٢٢٠ ليره وعشرة صلدى منها ٦٣٠٠٠ للمشتريات

كتبخانة سنت چنقباف (بفامين فارسيتين) - تحتوى على ٢٠٠ ألف مجلد منها أربعة آلاف بخط اليد وفيها زيادة على ذلك ٢٥ ألف لوحة مزدانة بنقوش بديعة وفيها خرائط قديمة كثيرة وبصومات وفيها غرفة مطالعة خصوصية تحتوى على أغرب

ما فيها من مجاميع وكتب بخط اليد ومطبوعة ونقوش وفيها  
تمثال أرلرش جيرنج أول من أدخل فن الطباعة الى باريس  
في سنة ١٤٧٠ وغيره من المشاهير وفيها غرفة مطالعة عمومية  
تسع ٤٢٠ شخصا وحواليها ستائر من صنع الجبلين تمثل المطالعة  
وقد دهمها الليل وهو رمز الى الشغل النهاري والليلي في هذه  
الغرفة

كتبخانة مازارين - وهي في جمعية المعارف وفيها ٢٥٠ ألف  
مجلد منها ٦ آلاف بخط اليد

هذه هي أشهر المكاتب العمومية وفي المدينة مما يقاربها  
مكتبة متحف الفنون والصنائع وقد قلنا انها تحتوى على ٣٠  
ألف مجلد ومكتبة مدرسة فرنسا الجامعة وفيها ٤٣ ألف مجلد  
ومكتبة مدرسة الفنون المستظرفة وقد قلنا ان عدد كتبها ١٢  
ألف ومكتبة المجموعات التاريخية لمدينة باريس وفيها ٩٠ ألف  
مجلد و ٧٠ ألف مبصوم ومكتبة مدرسة المعادن وفيها ٦ آلاف  
مجلد ومكتبة بستان النبات وفيها ٨٠٠٠٠ مجلد ومكتبة الاوبرا  
وفيها ١٥ ألف مجلد وكراسة و ٦٠ ألف مبصوم وفيها كثير  
من الرسوم والتصاوير والتماثيل الخاصة بفن التشخيص والموسيقى

والقيان والقيانات وقد ذكرنا كتبناات أخرى في الفصل  
المتقدم

واعلم ان لكل جمعية مهـ ما كانت غايتها ومذهبها ومشر بها  
في السياسة والصناعة والعلوم مكتبة خاصة بها تعد المجلدات  
فيها بالالوف وعشرات الالوف وكذلك الشركات والمدارس  
والمكاتب العمومية ولاغلب الكتبناات فترة معينة في السنة  
تقفل فيها

العمائر الدينية في باريس

يوجد بهذه المدينة ٧٠ كنيسة (ذات أبرشية) غير البيع  
الصغيرة التي قد لا يخلو بعضها من الاهمية والسائح الذي يريد  
أن يقف على الدقائق ويكون له بعض احاطة عمومية باحوال  
البلاد التي يجوبها لا يصح له أن يغض الطرف عنها ولا يكتفي  
أقتصر في هذه الخلاصة على بعض اشارات خفيفة وأقوال  
وجيزة

كنيسة نوتردام - كان البناء في بنائها سنة ١١٦٥ ثم توالى  
عليها التدمير والترميم والتكميل والتحويل والتبديل حتى استقرت  
على ما هي عليه الآن منذ سنة ١٨٤٥ وطولها ١٣٣ مترا



وعرضها ٤٨ مترًا وارتفاعها ٣٣,٧٧ مترًا في المتوسط ولم يحصل  
تكريسها الا في سنة ١٨٦٤ وهي من أجمل العماير التي في فرنسا  
على الطرز القوطي المنفرد بالشكل البيضاوي ويحف بواجهتها  
برجان ضخمان وفيها كثير من تماثيل القديسين والقديسات  
وغيرهم وملوك وأمرء وفيها جرس زنته ١٣ ألف كيلوجرام وجرس  
مأخوذ من سباستبول حينما تحالف الفرنسيون والانكليز  
وسراذينا مع الدولة العلية أيدها الله على الروسية ولم يغلبوا  
الروس الا على سباستبول وفيها وردة من الزجاج عرضها ٩ أمتار  
و ٦٠ سنتي تمثل باشكالها وألوانها الحوار بين الاثنى عشر وهم  
يجتمعون في مكان واحد وفوقها سهم من خشب البلوط مغشى  
بالرصاص مركب من ثلاثة أدوار أفرغ صانعه جهده في تنسيقها  
وتزويقها وهذه الادوار على شكل هرمي ويرتفع السهم عن الارض  
بخمسة وتسعين مترا وثقله ٧٥,٠٠٠ كيلوجرام منها ٥٠٠,٠٠٠  
من الخشب و ٢٥٠,٠٠٠ من الرصاص وفي داخل الكنيسة  
٣٧ بيعة ومنابر متناهية في الجمال يعظ فيها القساوسة الناس  
وفي الخوروس أشغال في الخشب تهر الانظار خصوصا الترا كيب  
والترايع المعروفة بالعربية التي هي عبارة عن خطوط متشابكة  
متلاعبة متداخلة في بعضها على طريقة أهل المشرق والاندلس

وفيه أرغن من أكبر أمثاله في فرنسا وأكلها يحتوي على ٦٠٠٠ ر  
قصة لاجراج الهواء وتوقيع الانغام - وأهم ما فيها بصرف النظر  
عن ضخامة البناء واتساع الأجزاء وانتظام العقود وارتفاع القباب  
انما هو خزينة الذخائر فانها تحتوي على مخلفات ثمينة مصنوعة من  
الفضة الخالصة والذهب الصافي ومرصعة بالاججار الكريمة وأواني  
مقدسة ومباخر والعباءة التي تردى بها نابليون حينما كرسه البابا  
امبراطورا على فرنسا والتحف النفيسة التي أهداها الامبراطرة والملوك  
والملكة ماريه انطوانيت وتمثال من الفضة للسيدة مريم عليها  
السلام وصور وتمائيل رؤساء الاساقفة في باريس ومجموعة من  
الاججار الكريمة محفورا فيها صور جميع الباباوات الماضين وجملة  
صلبان وكؤوس وجامات وشمعدانات وغير ذلك من الحلى والملابس  
المزركشة المرصعة التي تستخدم في الاحتفالات الدينية الكبيرة  
وفي بعض الايام يعرضون على الجماعات المتقاطرة الى الكنيسة  
صندوقا فيه اكليل الشوك وبعض المسامير التي يقال انها  
استخدمت في صلب كلمة الله (عليه السلام) ويعرضون قطعة من  
خشب الصليب أحضرها هي والاكليل والمسامير القديس لويس  
من بلاد المشرق أيام الحروب الصليبية  
وخلف هذه الكنيسة منزهة بديع يفضى الى مكان مربع

تقبض له النفوس وتصم من ذكره الاذان وهر المعروف عندهم  
بالمورج تعرض الحكومة فيه الاموات الذين لا يعرف أهلهم حتى  
اذا استدل عليهم أحد من العموم أرشد جهات الادارة عنهم وقد  
زرتهم ورأيتهم يحفظون الغرقى والمعتولين والمسنوقين وغيرهم مع  
العناية المتناغية والاحتراسات الواقية فلا تخرج منهم رائحة  
مطلقا وايس منظرهم بشعا مشوها بل تراهم كأنهم نيام لابسين  
ملابس لائقة ولا يظهر منهم الا وجوههم

البيعة المقدسة - بنيت في سنة ١٢٤٢ وتمت بعد ذلك بخمس  
سنين وهي في باريس كالدارة اليتيمة في العقد القديس خصوصا  
سهمها الذي لم ير الراؤن أبدع منه في الحسن والجمال وهي أقدم  
وأجل ما في باريس من العماثر القوطية بناها الملك لويس التاسع  
القديس ليضع بها الاكامل الشوكي والمسامير وقطعة الخشب  
التي سبق لنا الكلام عليها بعد أن اشتراها من بودوين الثاني  
ملك القسطنطينية وقد استخدمت حينما من الدهر كاستودع  
للمحفوظات القضائية ولكنهم رموها الآن كما ينبغي واقتضت  
العمارة فيها ثلاثين سنة من الزمان وبظاهر وجهتها تمثل الملك  
لويس وشقيقه لويس الاسقف وفوقهما تمثل العذراء عليها  
السلام والبيعة من الداخل تتلأأ بالخرقة الفاتسة والنقوش



المذهبة وهى على شكل بيعتين احدهما فوق الاخرى فأما السفلى فلا تستعمل الآن فى تعبداتهم الدينية وأما العليا فيحصل فيها القداس فى يوم ١٦ اكتوبر وقد كان القضاة بالمحاكم ملزمين بحضوره قبل هذا الزمان وبجانب سوارىها تماثيل الحواريين الاثنى عشر وفيها من الشبايك ما يبهر الابصار وتماثيل الافكار من انسجام ألوان الزجاج وتناهى بهائه وصفائه مع الاحكام فى التنسيق والاجادة فى التزيين وفوق البوابة وردة من قطع الزجاج تقرر رؤيتها العيون وتعرف بجمالها العقول

كنيسة سنت أوستاش - أحسن الاوقات لزيارة هذه الكنيسة المتناهية فى الضخامة يوم الاحد اذ يكون فيها تلحين الآلات الموسيقية وتوقيع النغمات الصوتية بكيفية تطرب لها الاسماع وهى شبيهة ببعض القصور العربية من ان خارجها لا ينبئ بشئ عما فى داخلها من الزخرفة والانتقان فان واجهتها ووجهاتها من الخارج حقيرة بالنسبة لما يكمنه داخلها من متانة الصناعة وجسامة المقادير وضخامة الاجار وارتفاع العقود ارتفاعا متطاولا واتساع القواس اتساعا هائلا حتى ان الانسان ليخال له انها أعدت للتحصن والاعتقال وكان البدء فى تشييدها فى سنة ١٥٣٢ وقتت فى سنة ١٦٤١ ولذلك فهى ليست على مثال واحد أو من

طرز متجانس من الطرازات المتعارفة في فن العمارة ولكنها من  
أجل كئاس باريس وأكثرها زخرفة وتزييقا وطالما مررت عليها  
ولم تكن نفسي تحدثني بضيق الوقت في الدخول اليها ولما  
شاهدتها رأيت أنها بعكس خضراء الدم من ظاهر قبيح وباطن مليح  
ولا أرى من حاجة للكلام الآن على ما فيها من المصنوعات  
والتحف والنقوش في الرخام والمعادن والاحجار أو البيع الكثيرة  
المشحونة بالزخارف والطرائف أو زجاج الشبايك أو منابر الوعظ  
أو مفاتيح العقود التي تربط الاقواس والحنايا ولكني أقول ان  
الضياء فيها أكثر منه في أمثالها كما أن هواءها أجود وأخف على  
الروح وقد دفن بها كثير من مشاهير الفرنسيات مثل كولبير  
وزير لوزير الرابع عشر والقصصى لافونتين الطائر الصيد الخلد  
الذكر وغيرهما من كبراء رجال السيف والقلم والحل والعقد والادب  
والحسب

كنيسة سنت جرمان لو كسروا - هي في ميدان اللوفر بنيت  
في القرن السادس للميلاد وكان ملوك فرنسا يحضرون القداس فيها  
ثم نوات عليها الايام واتفق ان النورماندين اعتقلوا بها في سنة  
٨٨٥ ثم جعلوا عاليها سافلها فأقام القوم بناءها في أوائل القرن  
الحادى عشر ثم شرعوا في تجديد معالمها وتغيير أوضاعها ولم يتم

تشيددها في هذه المرة الثالثة الابعة - د مضي ثلاثة قرون من  
الزمان وانما ذكرت هذه الكنيسة لشهرتها في التاريخ اذ انه في  
ليلة ٢٤ أغسطس سنة ١٥٧٢ (وهو اليوم المشهور بواقعة  
سنت بارتلمى التي قتل فيها الكاثوليكيون البروتسانتين قتلا ذريعا)  
اتفق المتحالفون المتماثلون على ان يتدووا في العمل حينما يدق  
ناقوس هذه الكنيسة للايذان بقداس الصباح وفي يوم ١٣  
فبراير سنة ١٨٣١ أقيم فيها احتفال جنائزي عن نفس دوله  
دوبرى ولكن احزاب الثورة التي حصلت في يوليو أولوا هذا  
الاحتفال تاويلا فاسدا واتخذوا ذلك ذريعة للتشجيع على  
الكنيسة فباعتها العوام والطعام ونهبوا كل ما فيها من النفائس  
والاعلاق ثم أقفلت الكنيسة وجعلت مقرا لدار أمانة المدينة  
مدة سبع سنين فانها في ١٣ مايو سنة ١٨٣٧ أعيدت الى  
وظيفتها الاولى

أما داخلها ويبيعها مثل الكنائس الاخرى ولكن احدى هذه  
البيع تمتاز بكثرة الزخرفة على الطراز القوطى وفيها بيعة أخرى  
تحاكى برسومها وزجاجها البيعة المقدسة التي ذكرناها  
كنيسة سان سولپيس - هي عبارة عن عمارة بالغة في  
الجمال متناهية في الاتساع كان وضع الحجر الاول فيها بحضور



الملكة انه دوتريش Anne d'Autriche في سنة ١٦٤٦ وواجهتها  
عبارة عن سوارى قائمة على بعضها بشكل يروق الانظار فيمابين  
البرجين الشاخصين وفي دائرها من الداخل بواكى واسعة تعلوها أساطين  
متمقنة وبيع متعددة تزيد في حجتها وفوقها قبة مزخرفة بصور  
ونقوش من صنع بعض الماهرين في هذه الفنون وفي وسط صحنها  
مسلة من المرمر يمر عليها خط من النحاس للدلالة على الاتجاه الشمالى  
وفيه منبر للوعظ في غاية ما يكون من الحسن أمر بصنعه المارشال  
ريشليو وفيها عدا ذلك أشياء كثيرة لاتستحق الذكر الآن سوى  
الارغن فانه من أكمل وأجمل ما يوجد من هذا القبيل والقواعتان  
العظيمتان اللتان يوضع فيهما الماء المقدس وهما هدية من جمهورية  
البندقية الى فرانسوا الاول وسيل فاخر محاط بتماثيل بوسوييه  
وفنلون وماسيليون وفليشييه وهم من أهم وعاظ الكنيسة وادباء  
الفرنساوية في عصر لويز الرابع عشر

البانتيون - مجرد ذكر هذا الاسم يشعر بالعظمة والجلال  
ويبعث في النفس هيبة ووقارا وفي الفؤاد اجلالا واكبارا كيف  
لا هو مستودع لبقايا الذين خدموا العالوم والفنون وسعوا في تعزير  
وطنهم وترقية بلادهم حتى جعلوا لها بين الامم مقاما محمودا وفضلا  
مشهورا ولا يدخله انسان الا وتداخله السكينة والتؤدة فيسير

فيه على أطراف الاقدام ملازما الصمت التام بل تكاد تخرج من فيه ألفاظ التحية والسلام على عظام هؤلاء العظام (والپانتيون كلمة يونانية من پاس أى جميع وثيومس أى اله ومعناها المعبد المخصص لجميع الآلهة مثل الكعبة في أيام الجاهلية وكثيرا ما تستعمل للدلالة على التعظيم والاجلال للذين يقوم بهما الخلق في حق المشاهير وأهل الفضل فيقولون ان فلانا له مقام معين في پانتيون التاريخ وهكذا)

بنى هذا المكان في سنة ١٧٦٤ وجعل كنيسة باسم القديسة سنت جنثياف (بجيم وفامين فارسيتين) راعية باريس وحاميتها ثم جاءت الحكومة الاتفاقية في سنة ١٧٩١ فغيرت ماوضع له ومنعت العبادة منه وأطلقت عليه اسم پانتيون وكتبت على واجهته هذه العبارة الوجيزة في الكلمات البليغة في المعاني والدلالات

### (لعظام الرجال شكر الاوطان)

(Auxgrands hommes, lapatrie reconnaissante.)  
فلما آل الامر والسلطان لعائلة بوربون ورجعت الحكومة الملوكية أعيد پانتيون الى أصله حتى كانت الثورة في سنة ١٨٣٠ فسمى پانتيون مرة ثانية واستمر كذلك مدة ٣١ سنة الى أن جاء الامبراطور نابليون الثالث فأصدر تقليدا ملوكيا يقضى باعادته للديانة باسم سنت

جنتياف ولكن الحكومة الجمهورية الحالية أصدرت أمرا عاليا  
في يوم ٣٢ مايو سنة ١٨٨٥ عقيب وفاة فيكتور هوغو مباشرة  
بإعادة اسم البانتيون للمرة الثالثة وبعد صدور هذا الأمر بأيام  
قليلة احتفل الفرنسيون قاطبة بنقل جثة هذا الشاعر العظيم  
إلى البانتيون ودفنوها بجانب مقبرة جان چاك روسو وفولتير  
وميرابو وكان هذا الاحتفال بالغيا في العظمة بحيث لم يسبق له  
مثال وقد اشتركت فيه الدولة بصفة رسمية والامة بإجمعها ممن في  
فرنسا وفي الخارج واعلم ان واجهة هذا الهيكل قائمة على اثنتين  
وعشرين اسطوانة وفوقها نقوش بارزة تمثل الوطن واقضايا  
الحرية والتاريخ وهو يوزع أكاليل المجد وشارات الفخار  
على عظماء الرجال مثل بونابرت من جهة اليمين ومن جهة اليسار  
روسو وفولتير وميرابو ودافيد وغيرهم من رجال فرنسا المعدودين  
وطول هذه العمارة الفخيمة ١١٣ مترا وعرضها ٨٥ مترا  
وفوقها قبة (قطرها ٨٣ مترا)

أما داخله فتمه فيه كثير من التماثيل والصور الدينية والتاريخية  
التي لها علاقة بالمدينة ولا حاجة لتفصيلها الآن أما القبة فهي  
عبارة عن ثلاثة قبب فوق بعضها وفيها كلها نقوش لا يستحق



الذكر منها الاما يستجلب الانظار في القبسة الثانية من الرسوم التي تصور الموت والوطن والعسك والجمد وعلى العمدان التي تستند عليها القبسة يرى الانسان ألواحاً مزداية باسماء أبناء الوطن الذين ماتوا في سبيل الدفاع عن القوانين والحريية في ٢٧ و ٢٨ و ٢٩ يوليو سنة ١٨٣١ وسأتكلم عليهم بمناسبة العمود الذي أقيم لاحياء ذكرهم ومما ينبغي تنبيه الشرق اليه من الرسوم الكثيرة المزداية بها جدران هذا الهيكل الصورة التي تمثل الامبراطور شارلمان وهو يعيد العلوم والآداب بعد اندراسها ويفتح المدارس ويؤسس المكاتب ويستقبل وفود الخليفة هارون الرشيد ومعهم من قبل أمير المؤمنين مضايق القبر المقدس هدية منه لهذا الملك العظيم الشأن وهناك طنفسان من ستائر الجبلين قيمتهما ١٠٠٠٠٠ فرنك (أربعة آلاف جنيه انكليزي تقريبا)

ومن سعد الى أعلى قمة القبسة رأى أبهج المناظر وأحسن المرائي اذ يكون مشرفاً على باريس وطرفاتها وقصورها وحركتها أما الدور الذي تحت الارض فهو عبارة عن جملته مغائر منقسمة الى أروقة منتظمة يتردد فيها الصدى بكيفية تقرب مما رأيته بل سمعته في رومة ويشته وكنيسة القديس بولس بلوندره واللوثر ومحفظ الفنون والصنائع بباريس وغير ذلك وفيه

قبور كثير من عظماء فرنسا الذين يتفاخر بهم ابناؤها اذا اجتمعهم  
المحافل

وقد كان رجوعي الى باريس عقيب وفاة رنان يبضعة أيام  
وكانت الجرائد ورجال السياسة مشغولين بمسئلة نقله الى البانتيون  
وكثر حديث القوم بهذا الشأن الى درجة لا يمكن تصورها وجرت  
مسئلة رنان الى التحدث بنقل غيره من مشاهيرهم أيضا فقدم  
وزير المعارف مشروع قانون لمجلس النواب لكي يصادق عليه  
حتى يكون نقل بقايا رنان بمقتضاه وقد قال الوزير في تقريره  
مامعناه (ان حكومة الجمهورية تقترح على المجلس اشراك ميشليه  
وكينيه مع رنان في هذا الاجلال والتعظيم فانهم وان اختلفت  
ملكاتهم وتباينت أفكارهم ومصنفاتهم فلا تزال بينهم رابطة  
لا يمحوها مرور الزمان اذ كانوا كلهم اساتذة في مدرسة فرنسا  
وقد أنشأها مؤسسها لخدمة المعارف الحرة وهم كلهم قدجاهم ودوا  
لتأييد الاستقلال فيما يتعلق بابداء الافكار وكلهم احتملوا الشدائد  
وقاسوا المصاعب في هذا السيل)

ولكن الجرائد وبعض اعضاء مجلس النواب شطوا في الطلب  
وتغالوا في نقل عظام بعض المشاهير الى البانتيون وكثير منهم  
أخذ في التهزيب والتهكم وفريق آخر في نحت كلمات مستنفرة

من لفظه باتيون وهكذا مما هو شأن الجرائد في هذه البلاد عند حلول أى حادث يستلفت الانتظار فقام جماعة بطلب نقل عظام بعض البارعين في توقيع الانعام وآخرون منتصرون لنقل بعض المؤرخين أو رجال السياسة أو المعارف أو النظم أو الادب أو التصوير أو الطب أو نشر الكتب أو الكيمياء أو الاقتصاد أو اللغات أو أعضاء مجلس النواب أو غير ذلك وقام بعض النواب بطلب نقل بقايا تيارس المشهور فردت عليه أخت زوجته بكاب أرسلته الى كافة الجرائد ترجوه فيه العدول عن هذا الطلب لان زوج شقيقتهما كان على الدوام يعرب عن رغبته في أن تدفن عظامه بجانب أهله وقالت له في ختامه (انى أسألك ان تتكرم بالكف عن اقتراحك وأن تترك الموسميوتيارس بعيدا عن اضطرابات السياسة في مكان الراحة والسلام الذى اختاره أهله له) وبمثل ذلك أجاب بعض ورثة الشاعر المشهور لامرتين والمؤرخ ميشليه برفض نقلهما الى الباتيون وغيرهما وغيرهما ورايت كثيرا من الجرائد المعتبرة والثانوية اتخذت هذه الحوادث فرصة لاستعمال الفاظ الطيش والحفة فيقولون

﴿ عقود الباتيون الباردة - خباياه المظلمة - زواياه المحزنة - هيكल الملل - مدفن عظماء الرجال الذين يؤدى لهم الوطن



مأليه من دين الشكران بشح وتقدير - ان هذه العمارة التي اجتمعتها  
يدافلان ( كان انشاء هذا البانتيون جريمة لاتعتفر ) اراها لا تحتوي  
على شئ من الاجلال الذي يتصور القوم اتحاف عظام العظاماء به  
بعد وفاتهم - ان دانث الشاعر الطلياني الذي كتب على الخيم  
لواطع على هذه الاروقة الصاقعة ليعلمها في سقر وبنس المستقر  
وأمثال ذلك من عبارات السخرية التي لا تذكرها

وبمناسبة هذا البانتيون أذكر خلاصة موجزة على المائر المشاكة  
له في بعض البلاد التي مررت عليها فاني رأيت في معظم الكنائس  
التي تفرجت عليها ان لم أقل كلها قبورا لمشاهير أبناء الوطن  
ومن أهم ما يستوقف أنظار المتسوح في أوروبا عند قدومه الى  
إيطاليا البانتيون الروماني القديم وفيه الآن قبر الطيب الذكر  
فيكتور عمانويل وفي كل سنة يتقاطر الطليانيون الذين اشربت  
قلوبهم بحب الوطن الى هذا المكان ويزورون هذا القبر بغاية  
التبجيل والتوقير وبجانب الملك قبر رفائيل الرسام المشهور وغيره  
من النابغين في الفنون المستظرفة وفي فلورانس مكان يسمى  
سنتا كروتشي (الصليب المقدس) ويسمى بانتيون إيطاليا لانه  
يحتوى على كثير من تماثيل عظمائها في كل فن ونوع من التصوير  
والادب والفلسفة والموسيقى والنحت والنقش والسياسة والدولة

والعلم الطبيعي وبعض أعضاء العائلة الملوكية وغيرهم ممن كان  
يندرس ذكركم لولم يكن اسمهم منقوشا على الرخام ومعروضا  
لانتظار العامة والخاصة على الدوام ولا أطيل الكلام بذكركم  
المدائن الأخرى وأذكركم ماني لوندرة فكل الصيد في جوف القرى  
فان دير ويستمينستر هو أحق هذه العائرا باسم البانتيون أي الأثر  
الذي يقيم الوطن الشاكر لابنائهم فضلهم العارف لهم حق خدمتهم  
وذلك لان من يريد أن يقف حقيقة على عظمة الأمة الإنجليزية  
ومجدها في التاريخ ينبغي له أن يذهب الى هذا الدير الذي يحتوى  
على أكثر من ثلاثمائة أثر أقامها الوطن لعظماء الرجال في  
السياسة والعلوم والموسيقى والفلسفة والشعر والسياحة والملاحه  
والاستكشاف والاستنباط وتشخيص الروايات وأعضاء العائلة  
الملوكية وكل من عاون على اعزاز إنجلترا ورفع منارها بابه كينية  
من الكيفيات ولاشك ان الرجل من أبناء بريطانيا العظمى حينما  
يدخل الى هذا المكان ويطوفه ويقرا ما فيه من الاسماء يكبر في  
عين نفسه ويرى من الواجب عليه ان يذل كل جهده ليكون  
جديرا بالانتساب الى هؤلاء الأجداد ولا يكتفي بان يقول كان أبي  
أوصنع قومي

جبانة باريس

كانت المدافن في هذه المدينة بجوار الكنائس فأقصتها الدولة الى ما وراء المساكن حفظاً للصحة وتوسيعاً لنطاق البلد ويبلغ عددها الآن ٥٩ جبانة منها ١٣ داخلية في حومة باريس والباقي خارجها وأجدرها بزيارة الغريب ثلاثة فقط وأهمها وأكبرها مقبرة الأب لاشيز ولذلك توجهت اليها ثلاث مرات في ثلاثة أيام لانتظامها واحتوائها على كثير من عظماء الرجال

هذه المقبرة كائنة على رابية ذات انحدار خفيف ويبلغ مسطحها ١٣ هيكتارا وكانت ملكاً لرجل من اليسوعيين اسمه الأب لاشيز (كان أمين سر الاعتراف للملك لويز الرابع عشر)

ولهذه المقبرة ذكر متواتر في روايات الفرنسيين وأقاصيصهم مما يتعلق بالغرام ولكن أشهر ما وقع فيها انما هو المقاتلة العنيفة بل المذبحة الشنيعة التي حصلت في ثورة الكومون

كان انشاء هذه الجبانة وهندستها في سنة ١٨٠٤ ثم أخذت بعد ذلك في الاتساع والامتداد من جهة المشرق حتى أصبحت الآن عبارة عن ٤٣ هيكتارا أو ٩٤٠٠٠ متر وعدد سكانها وحدها ٣ مليون أي أكثر من الاحياء في باريس كلها وفيها



١٥٠ طريقا ويمر تحتها نفق لسكة حديد الحزام التي تمر حول المدينة فيكون الاحياء تحت الاموات وفوقهم وليس فيها شيء مما يقبض النفوس ويرزع الناظرين بل يعتبرها كل من زارها كأنها من أحد المنتزهات البديعة وخصوصا حينما يتجول فيها الانسان تارك نفسه مع تيار الافكار متأملا في هذه الحياة الدنيا ثم يقف من غير قصد فيقرأ الاسماء التي على القبور ويرى بينها بالصدفة اسم رجل عظيم أفاد الوطن أو الانسانية بكتابه أو أعماله فاني كنت في هذه الحالة يحصل لي انشراح عظيم كأنني أكتشف أمرا جليلا أو وقفت على سر نافع وتعرفت بالرجل ذاتيا خصوصا وان قبور العظماء ليست كلها على حافة الطرقات أو في المواضع التي تستوقف الانتظار فترى العالم بجانب الزارع وبعدهما صانع يخلفه شاعر يتلوه مؤرخ فتباحر فرجل حينما اتفق فقاؤد كبيراً وأمير شهير أو فليسوف نابغ أو محسن فاضل الى غير ذلك من جميع أصناف الناس وطبقاتهم وأذكر الآن بعض الذين وقفت أمام قبورهم وتذكرت أعمالهم وما استفدته من تأليفهم أو الذين سمعت بشهرتهم مكتفيا بذلك الاسم لعدم الاطالة واعدت نفسي بالإشارة في الرحلة الى أعمالهم منال ذلك فيكوندي وروسيني والفريدو موسيه ولونوار وفايتن ومادام بلان وإرازو وفولبيني وفيرون وأورنانو ومادام هوارو

ومادام ماري رويّر ومورل ووالسكي ولازارچو وزنيا تاللي والاثر  
المقام للعساكر الفرنساوية الذين قتلوا في الدفاع عن وطنهم في حرب  
سنة ١٨٧٠ المشهورة والاثر المقام للحرس الأهلى الذين قتلوا  
في الحرب المذكورة وفيرديشليمه وآدم والكونتس داجولت ودوسيز  
وشوليه وكاموس وبرجيه والاثر المقام لتيارس المشهور ومنه يرى  
الناظر أمامه قبعة البانتيون ثم قبر بلانكي وبيار ومد موازل الوتر  
ومدموازل دوچنيلس ولاپلاس وغرسية ومولير بجانب لافونتين  
وجي لوسالك ومقبرة لهوجو سان سيمون ووينجامين كونستان  
وماكدونلد والجنرال فواويرانجيه وبومارشيه وسكريب وفولني  
وجرامون ولوبل والمقبرة التي أعدتها سارة برنار لنفسها وهي تتعهد لها  
في أوقات كثيرة وقبر أبدي والمقبرة المخصصة للمسلمين الذين يتوفاهم الله  
في باريس وقبر موازل دوشسنا وتاليران ولافيت ومقبرة دلوسس  
وأنديوورسپاي ومونج وكازمير بيريه وفونتان وديدو ومقبرة  
الاسرائيليين وفيها ميشل ليقي (لاوى) وروتشليد وما دام فولد  
وراشل (راحيل) المشخصة المشهورة وغيرهم ثم قبور پاچيس وچيريكو  
وبليني ودنون ودلامبر ورأيت أثرا يشبه ضريحاً مكتوب عليه  
ما هذه ترجمة (مقبرة الاب الابدى) وأقول انهم يعنون بالاب الابدى  
المولى الواحد الاحد الذى لم يلد ولم يولد تعالى الله عما يصفون

وانما ذكرت هذه العبارة من باب الغرابة والعلم بالشيء وناقل  
الكفر ليس بكافر وبعدها استغفرت الله تزهت صفاته وتقدست  
اسماؤه مررت كعادتي فرأيت قبر شينيه وكوفيه ومنتون  
ولدرولين وكوسين ومالهرب وأوبير وأراجو ومدموازل  
لونيومان الكاهنة العرافة المعروفة التي انبأت نابليون بجميع وفائعه  
في المستقبل بواسطة ورق الكتشفة بغاية الضبط وتمام التدقيق  
وكان كما قالت من غير تحريف أو تبديل وقد اتفق انها حوت  
بجملته مرار وكانت على الدوام تقول للقضاة انكم انما تتعجبون  
أنفسكم سدا وتضيقون أوقانكم عبثا بفاني لأموت الابد  
سبعين سنة (أو عدد آخر لا تذكره الآن) وبالفعل كانت  
وفاتها في الوقت الذي أخبرت به وقبور بول بودري ولويس دافيد  
وكسافيه بيشا ولافوازيه وبرناردان دوسان بيروشيرويني  
المارشال فيكتور والاثر المقام للذين ذهبوا فريسة الحوادث في  
شهر يونيو سنة ١٨٣٢ وقبرنيلاون وشامبوليون وكالمران  
وجوفوان سان سير والجزال جوير ودوپويترن ولافاليت وسوشيه  
ودافيد دانجيه وبود والمارشال لوفغر وماسينا وبيسكو والمارشال  
مورتييه والمارشال ني والمارشال لوبو وراسين وجوفروا سنت  
هيلير ورميدوف وبراديه ودزوييه واللان كارديك والمنسجمة



دجارت وبالزناك وأوجين دولا كروا وقبر الاملتين كروسى سبينالى  
وسيقول وقد ماتا شهيدين فى سبيل المعارف حينما صعدا فى  
الجو بالقبة الطائرة الى طبقة عالية جدا وحققا أمورا كثيرة مفيدة  
ثم سقطت بهما فلم تقم لهما بعدها قائمة وقبر الكونتس داجو  
صاحبة التأليف المشهورة التى أخفت فيها اسمها حيث اتسمت  
بدانيل سترن وغيرهم من المشاهير الذين بطول ذكركم فى هذه  
الورقات وهنا انبه القارئ الى أن بعض الاكابر الذين ذكرت  
اسمائهم يوجدون مدفونين فى جهات أخرى من باريس أو فى مدائن  
غيرها ولكن الحكومة جعلت لهم قبورا فى هذه الجبانة احياء  
لذكركم وتنشيطا للاقتداء بهم وليس فى هذا شئ من الغرابة  
بالنسبة لعناية هذه البلاد بعظماؤها بل الاغرب والاعجب اننى  
رأيت ضريحاً نفيساً عليه تمثال رجل وامرأة بجانب بعضهما  
وفوقهما قبة لطيفة على ٤٤ رشيقة تحف بهما أشجار صغيرة  
وأزهار نضرة وقرأت عليهما هذين الامتين (هيلاويدس وأبيلاز)  
وصار اسمهما علما على المحبة الزوجية الصادقة الحقيقية وقد  
أحضر هذان التمثالان الى باريس وعينت الدولة بوضعهما فى هذه  
المقبرة فى مكان لطيف وقد علمت انهم متى اصطحب قتي بفتاة وتبادلا  
عهود المودة الحققة والالفة الصادقة وشرعا فى عقد الزواج يأتیان

في كثير من الاحيان في اوقات خلو المقبرة من الناس ويضعان  
الازهار والاكاليل على هذا الضريح تيمنا بنبات الوداد وتفاؤلا  
بتبادل الصداقة من الطرفين وقد رأيت أيضا عمودا أقامته  
الحكومة كأنه قبر لكل من يموت غريبا فيعتبره أهل الميت قبره  
ولذلك تتراكم عليه الاكاليل في بعض المواسم بما يفوق العدد  
والوصف

وقد وافق وقوع مولد جميع القديسين أيام مقامى بباريس  
فاغتمت هذه الفرصة وتوجهت لهذه المقبرة لكي أقابل ما أراه  
فيها بما هو جار عندنا وهذا اليوم يسمونه عيد الاموات وقد نزل  
المطر رذاذا طول النهار ولكنه لم يمنع أهل باريس من التوجه الى  
مقابر أهلهم وذويهم ووضع الاكاليل والازهار عليها كما هي عادة  
الافرنج ولاأذكر شيئا عن تراجم الجماهير في هذه المقبرة التي زرتها  
حينئذ وأكتفي بذكر العدد وقدره ٤٨,٣١٠ ومع ذلك فقد قال لي  
الثقة ان الازدحام كان أقل مما في الاعوام الماضية وقد بلغ عدد  
الذين توجهوا الى جميع الجبانات (٤٤ فيها الاب لاشيز) ١٩١ و٢٦٧  
ولو فرضنا ان نصف هذا العدد كان حاملا لازهار ثمنها في المتوسط  
فرنك واحد لتحصل عندنا ٥٣,٤٢٤ جنيتها انكليزيا (منها نحو  
٢,٠٠٠ لعمود الغرقى الذي ذكرته) وهو أقل مما يمكن تقديره لان

الفقير منهم يقرر على نفسه ويقتصد من مأكله ومشربه عند اقتراب هذا الموسم لكي يتمكن من شراء اكليل يهديه الى فتيدة العزيز المحبوب فان عادة اهراء الاكليل متمكنة عندهم الى درجة لا يتصورها العقل بل انه كثيرا ما يتفق ان الرجل أو المرأة يموت جوعا واذا طلب من أصحابه وأصدقائه شيئا يستعين به على سد رمقه أجابوه بالرفض فاذا ماتت عصارى النهار أو في اليوم الثاني بادرت الجماعة التي ينتمى اليها (مصورين حدادين نجارين طحانين أو أعلى أو أدنى من ذلك) بفتح قائمة قد تبلغ قيمتها مئات من الفرنكات فيشترون بها رجاما يضعونه على قبره و إكليلا يحتملونه بإيداعه عقيب دفنه

وأذ كر بمناسبة الاحتفال بالاموات ان الفرنسية أشد الامم الذين رأيتهم اعتبارا لليت حتى انه متى مر سير الجنازة يبادر الرفيع قبل الوضع برفع قبعته اجلالا واعظاما مهما كانت درجة الذي فارق الحياة الدنيا

وقد قرأت في الجرائد بمناسبة عيد الاموات ان جميع الفرنسية الذين في برلين توجهوا بصحبة أعضاء جمعية محبة الانسانية وموظفي سفارة الحكومة الجمهورية الى قبر العساكر الفرنسية الذين قتلوا في برلين اثناء حرب سنة ١٨٧٠ وان وفدا حضر من فرنسا الى



هذه العاصمة لهذه الغاية وكذلك جرت جماعة الفرنسية المتوطنين في بروسيا عاصمة البلجيكا على عاداتهم فتوجهوا في احتفال عظيم الى الاثر المقام لاجلاء ذكر الجنود الذين ماتوا في خدمة وطنهم وكان السابق في هذه المظاهرة المليمة القومية اعضاء غرفة التجارة فانهم وضعوا على الاثر كايلا جيلا عليه هذه العبارة (من اعضاء غرفة التجارة الفرنسية ببروسيا الى مواطنيهم الذين ماتوا في سبيل الوطن - اول نوفمبر سنة ١٨٩٢) ثم جاءت جمعية التعاون الفرنسية ووضعتا كايلا في غاية الاتقان مصنوعا من الحديد المطروق وعليه هذه الكلمات (الى الجنود الفرنسية الذين ماتوا لاجل الوطن في سنة ١٨٧٩ وسنة ١٨٧١ - من جمعية التعاون الفرنسية ببروسيا سنة ١٨٩٢) ثم وقف الرئيس على سطح الاثر والتي خطابا لابس من تعرييه في هذا المقام وهو اقيمت الاثار وشيدت الانصاب في كل مكان سقطت فيه العساكر اثناء دفاعها عن الوطن في سنتي ٧٠ و ٧١ فسواء في ذلك المدائن الكبيرة والكفور الحقيمة وقد اختار الزلاء الفرنسيون منذ بضعة سنين هذا اليوم اول نوفمبر لتمجيد سيرة اولئك الشجعان الذين اثنى عليهم الجراح وفقدوا بعض الاطراف والاعضاء فلادوا بهذه الارض ارض بلجيكا لتقضية ما بقى من ايامهم فيها

ومن الامور المستعذبة الموجبة للتسليمه الباعثة على العزاء أنهم  
مع بعدهم عن مسقط رأسهم وأرض اجدادهم قد صادفوا هنا  
عناية أخوية جديرة بالمدح والثناء - ان بلجيكا كرمت مشواهم  
وعاملتهم بالحسن - فهذه العبارة الجميلة المنقوشة بحروف من  
الذهب على هذا القبر العام الذي ضم بقاياهم يكون فيها ذكرى  
للاجيال الحاضرة والآتية بما اصطنعته بلجيكا من العمل المدوح  
المجود واليد المشكورة المبرورة

ولنا الهناء نحن اعضاء جمعية التعاون الفرنسية على مجيئنا  
الى هذا المكان نشرفيه على قبور هؤلاء العزاز تلك الراية المثلثة  
التي كانوا يسيرون تحت ظلها في ميادين القتال - فلتحي بلجيكا  
ولتحي فرنسا اه

وقد أصغى جميع الحاضرين الى هذا المقال بغاية الرعاية  
والاجلال وعند ما أتم لرئيس كلامه أبدوا كلهم علامة الاقرار  
والاستحسان

بعض الاعمدة والبوابات

والفساطق و برج بقل

ان الاعمدة الاثرية في باريس هي ثلاثة أولها وأقلها أهمية عمود  
سواسون وهو الاثر الوحيد الذي بقي من القصر المعروف به - هذا

الاسم وارتفاعه ٣٠ مترا ويقال انه كان مرصدا لمنجم الملكة  
كاثرينة دومديس كان يراقب فيه حركات الافلاك واقتران  
الكواكب ليتمكن من اخبارها بالكائنات قبل كينونتها وفي  
داخله سلم يوصل الى قمته وفي اعلاه منزلة شمسية

والثاني هو عمود فاندوم في الميدان الجميل البهيج المعروف  
بهذا الاسم وهو مسبوك من بروز ١٢٠٠ مدفع اغتمتها الجيوش  
الفرنساوية في الوقائع الحربية وتمت اقامته في سنة ١٨١٠  
وارتفاعه ٤٤ مترا و ٢٠ سنتيمترا وقطره ٤ أمتار وفي منتهاه  
تمثال نابليون متسحبا بلباس امبراطور روماني وعلى هذا العمود  
نقوش وكتابات تخلد انتصارات فرنساوية في أوائل هذا القرن

والعمود الثالث هو المعروف بعمود يوليوس وهو في وسط ميدان  
الباستيل أقيم تخليدا لذكر الحربة في نفس المكان الذي كانت  
فيه قلعة الباستيل معدن الجور والحيف والاستبداد وعليه  
بجروف من الذهب اسماء الذين استماتوا في اعلاء كلمة الحرية  
ونشر رايتها على ديار فرنسا في سنة ١٧٨٩ وفي سنة ١٨٣٠  
وفي أسفله مقابر أولئك الابطال محطا للاعجاب والاجلال ومن  
صعد الى قمة هذا العمود الذي يبلغ ارتفاعه ٤٧ مترا رأى باريس  
كها تحت أقدامه وأمتع ناظره برأى جميل ومعجب وفوق هذا



العمود تمثل من البرونز المذهب يمثل ملاك الحرية وفي يده مصباح يرسل النور منه الى جميع أطراف العالم

وبمناسبة العمدان نذكر المسلة المصرية المعروفة بمسلة كيلوبطرة التي هي أجمل حلية في أجمل ميدان في أجمل مدينة قد أهداها الخلد الذكر محيي مصر المغفور له أفندينا الكبير الحاج محمد علي باشا الى فرنسا فوضعها في ميدان الكونكوردي الذي تحف به تماثيل كثيرة تمثل مدائن فرنسا التي خدمت الوطن برجالها وأعمالها وهذه المسلة من حجز واحد من الصوان الوردى وعليها كثير من النقوش البربائية وطولها ٢٢ مترا و ٨٣ سنتيمترا ووزنها ٢٥٠٠٠٠ كيلوجرام وفي أسفلها ترى نقوش بالذهب تمثل كيفية أقامتها ورفعها بمقتضى علم الاثقال وكان ذلك في سنة ١٨٣١ على يد المهندس الماهر الموسيوليا

أما البوابات والاقواس فهي كثيرة نذكر منها باب القديس ديس (وهو الذي بعد أن قطعت رأسه في أيام الاضطهاد رفعه من الارض بين يديه وهو مضرج بالدماء) وهو أثر جميل قد نالت عليه العمارة والترميم وكانت أقامته في سنة ١٦٧٢ تجميدا

لذكر لويز الرابع عشر وتذكارا لفتوحاته في بلاد الالمان  
وكذلك باب القديس مارتين على مقربة من الباب السابق  
تذكارا لفتح اقليم فرانش كونتى وهزيمة الالمان على يد لويز الرابع  
عشر وفيه نقوش بارزة متقنة

وقوس الكوكب وهو أكبر بوابات الفوز والاتصار  
الموجودة في باريس فان مجموع ارتفاعه ٤٥ مترا و ٣٣ سنتيمترا  
وعرضه ٤٤,٨٢ مترا وأول من ابتدأ في تشييده هو نابليون  
في سنة ١٨٠٦ لاجل تخليد فتوحات الجيوش الفرنسية  
واحياء ما أثرها ولكنه لم يتم الا في عهد الملك لويز فيليب  
وقد بلغت نفقاته ٩,٠٥١,١١٥ من الفرنكات (قريبا  
من ٣٦١٣٢١ جنيا)

وهو كانه مغشى بنقوش في الحجر مناسبة لمقتضى الحال  
وحول أركانه الاربعة تماثيل ضخمة تصور هيئة النصر والفوز  
والمقاومة وعقد الصلح وفي بعض أعاليه رسوم بعضها تصور واقعة  
أبي قير وأخرى تمثل استيلاء الفرنسيين على الاسكندرية - وقد  
تقصده ثوار الكرمون في سنة ١٨٧١ فوجهوا قنابلهم نحوه ووالوا  
اطلاق المدافع عليه ثلاثة أسابيع متوالية كان عدد المقذوفات  
التي أصابته في كل يوم بالمتوسط ٩٠ فيكون مجموع ما أصابه

من القليل ٢٠٠٠ بالتمام ولكن القوم أعادوا ترميمه واصلاحه  
بعد أن انطفأت نار هذه الثورة الشنيعة

وفي يوم ٣١ مايو سنة ١٨٨٥ عرضت الدولة الفرنسية  
تحت هذا القوس التابوت المحتوى على جسد الطيب الذكر  
فيكتور هوجو باحتفال جليل استمر ٢٤ ساعة

وقد صعدت الى أعلى هذا القوس فاستغرق ذلك من وقتي  
٨ دقائق ورأيت من فوقه منظرا بهيجا جدا إذ انى كنت في  
ميدان يصب فيه ١٢ دربا سلطانيا محتوية على صفيين من  
الاشجار وخلفها المباني الفخيمة أو البساتين البديعة

وقد سبق لى كلام وجيز على قوس نزار الكاروسل فلا  
موجب لاعادته فى هذا المقام وانما أستعوضه بذكر برج القديس  
جالفانه فى وسط حديقة أبيقة فى مركز ميدان الشاتلية

وهو من أطرف الآثار القديمة الباقية فى باريس وفى أسفله  
جملة ٤٤ مدان فى وسطها شمال العلامة المحقق باسكال وفى قمته  
شمال القديس المذكور - وارتفاع هذا البرج ٥٢ مترا وفيه  
بعض آلات فلكية خاصة بعلوم الآثار العلوية وفيه غرفة  
يحضر اليها التلامذة لتعلم الرصد وما يتعلق به وقد تناقل القوم



ان العلومه باسكال جدد فيه تجاربه المتعلقة بعرفة مقادير ضغط  
الهواء على البارومتر

وأما الفساقى فهى كثيرة فى باريس منها فسقية كوفيهه  
العالم بالتاريخ الطبيعى صاحب الاكتشافات الكثيرة ومخترع علم  
الكائنات الحفرية وفوق هذه الفسقية شمال من الحجر للتاريخ  
الطبيعى ثم فسقية الشانلييه فى مكان سجن كان هنالك قديما  
وهى فى وسط الميدان المعروف به - ذا الاسم الآن وعليها تماثيل  
للإمانه والقوة والقانون والتيقظ ويندفع الماء الى حوضها من  
أفواه أسفنكسات (أبو الهول) وفوق الفسقية شمال الانتصار  
وفى يده أكاليل الفخار ثم فسقية جرينل وفيها شمال باريس وهى  
جالسه فى سفينة وتحت قدمها نهر السين والمارن وحولها  
تماثيل الفصول الاربعه والسفينتان اللتان هما شعارها ثم  
فسقية الابرياء تحيط بها حديقة زهرية وهى من أجمل الآثار  
التي يقصدها الزوار وعليها نقوش تمثل جنيات الماء فى غاية  
الابداع وقد كانت أولا فى سوق الفواكه ثم نقلوها الى محلها  
الآن حجرا حجرا ثم فسقية لوفوا وهى بناء أبيض أمام المكتبة  
الاهلية وتحتوى على تماثيل متقنة تمثل الانهار الاربعه التى فى

فرنسا تحمل الحوض العلوى الذى ينحدر منه الماء فى الفسقية  
ثم فسقية مولير من الرخام الناصع أقيمت بواسطة اكتاب أهلى  
وفى أعلاها تمثال هذا الشاعر المجيد وعلى يمينه ويساره تمثال  
الكوميديبة الجدية والكوميديبة الهزلية ومعنى الكوميديبة  
التشخيص المضحك وهذه الفسقية أقيمت أمام البيت الذى مات  
فيه الرجل وفسقية الرصدخانه وهى عبارة عن حوض فيه ثمانية  
أفراس بحرية وكلها من البرونز وفى وسطها تمثال أقسام الدنيا الاربعة  
تعلو كرة أرضية ثم فسقية القديس جرجس وفيها تمثال الايمان  
والرجاء والاحسان فى المرمر ثم فسقية سان سوليدس فى وسط  
الميدان الكائن امام الكنيسة المعروفة بهذا الاسم وحول هذه  
الفسقية تماثيل بوسوييه وفنلون وماسيلون وفليشييه وهم من  
أكبر وعاظ الكنيسة وأشهر كتاب الفرنساوية ثم فسقية الانتصار  
مزدانة بتمائيل الايمان والتيقظ والقانون والقوة وفوق الجميع  
تمثال الانتصار مموه بماء الذهب - وفى باريس فساق أخرى مثل  
اللتين يزدان بهما ميدان الكونكوردي (الاتلاف) واحدهاهما  
رمز للملاحه فى النهر والثانية للملاحه فى البحر ومثل اللتين فى ميدان  
التياتروالفرنساوى وفسقية مديس ونوتردام والقديس ميشل  
(وقد كانت العمارة جارية فيها أثناء وجودى بباريس)

أما برج ابفل فقد طار خبره وعرف أمره وقدره بحيث كان  
الواجب أن أهمل ذكره ولكنني أتخف القارئ بمعلومات جديدة  
وأقص عليه شيئاً من التأثير الذي حصل لي أثناء ارتقائه في  
المسعدة والنزول منه على درج السلام ولا حاجة للاحاطة بأنه  
أعلى جميع الآثار التي شاهدتها الإنسان في جميع الأزمان فوق  
سطح هذه الكرة الأرضية وأنه يخترق كبد السحاب (من غير مجاز)  
بارتفاعه البالغ ٣٠٠ متر وطالما كان المطر يتهاطل على أسافله  
وحواليه من غير أن يصب الذين قد ارتقوا إلى ذروته بحيث  
أنه لو كان فيهم ممدوح لصح لشاعره أنه يقول أنه علا حقيقة  
على السحاب مثل ذلك الذي قيل فيه أنه علا في الحياة وفي  
الممات وعدوا له ذلك من المعجزات

وفوق قمة هذا البرج قمة عليها فنار يبعث الضياء فيبدد حجب  
الظلام بما يرسله من مختلف الألوان بحسب ألواح الزجاج ويمتد  
شعاع النور إلى مسافة قاصية وبعرض واسع وأول ما رأيته وأنا  
فوق إحدى قناطر السيزرأيت مناشيره أشبه شئاً بأجنحة طاحونة  
عظيمة يديرها الهواء بسرعة وأما البرج فهو أشبه شئاً بشععدان  
هائل خصوصاً مع وجود النور في أعلاه وهذا الشععدان مركب  
على أربع قوائم مسافة الانفراج بين كل قائمة والثانية عند القاعدة



١٠٠ متر وكنت أثناء افامتي بباريس أترصد في كل صباح  
فرصة الصعود الى هذا البرج الفريد لأتمتع بماحوله من المناظر  
الرائقة ولكن نوالى احتجاب الشمس في أغلب الايام كان يحول  
دون هذا المرام حتى خشيت تعذر الحصول على هذه الامنية  
لاقترب ميعاد اقاله ولكن الله يسر لي يوما طلعت فيه الشمس  
بهبهتها وأرسلت صافي أشعتها فبادرت اليه مسرعا وأنا لأصدق  
نفسى من شدة الفرح وكنت كلما سعدت في طبقات أرى المدينة  
تنضم الى بعضها وتتقارب أبعادها وتنصغر مسافاتهما وتتلاقى  
أطرافها فتبدو بكال جبالها فرجة للناظرين وبينها نهر السين  
كقناة طويلة يتصور الانسان أنه يكفيه أقل وثوب للانتهال  
من أحد شطبيها الى الآخر وعليها القناطر العديدة أشبه بخطوط  
كثيرة مستطيلة كأنها شريط رفيع من البناء أو سلك رقيق من  
الحديد وكانت برك الماء كدموع من مآقي المشتاق وبعض بنى  
الانسان أشبه بالازهار أو بتلك العرائس الصغيرة التى يتلاعب بها  
الصبايا والبعض الآخر كأنهم من قوم يأجوج ومأجوج أو من  
أولئك الاقزام العائشين فى أواسط افريقية وباريس بازدهامها  
كقرية النمل أو خلاية النحل وكنت كلما ارتقيت ازدادت أمامى  
بهجة الرياض الانيقة والقصور الرشيقة المجاورة للبرج مثل قصر

الترو كاديرو وحديقة الشان دومارس وفسقنيتة البديعة وقبة  
القصر المركزي وفوقها تمثال الشهرة ثم قبة رواق الآلات وقبة  
الانقلابيد والبانتيون ثم تيارو الاوبرا وقصر الصناعة وعمود  
فاندوم وبرج كنيسة فوتردام وفي اثناء ذلك كنت أسمع اعتراضك  
الرياح في الصبا والجنوب وتضارب تياراتها في القبول والدبور  
فتحدث لها قرعة كأشد ما يكون من تلاطم الامواج في البحر  
العجاج وبينما أنا غارق في هذه الاحوال نهني بعض الذين سعدوا  
الى صفحة يكتب عليها الزائر اسمه أو أى عبارة تحظر به فأخذت  
القلم وريقت ماأملت به على القريحة لله درك يا ايضل لقد  
برعت فيما أبدعت ونبت بما اخترعت فعلوت بعثلك على سائر  
أبناء عصرك كما ارتفع برجك الى عمان السماء فالتقا جميع الآثار  
اشماء مفصحا بكل اسان عن فضل الاله الفرنساوية في ميدان  
العرفان

ثم نزلت متمهلا متأملا وقد كبر الرجل في عيني أكثر مما  
كنت تصورته خصوصا بعد أن علمت ان الموسيو ايضل اذا جلس  
على كرسية امام مكتبته يكون ضغطه على الارض أكثر من  
ضغط هذا البرج الهائل وذلك أن قوة الضغط التي تحدث على

الارض اذا جلس على الكرسي (هو أو أى انسان آخر) تكون باعتبار ثلاثة أو أربعة كيلوجرامات بالاقبل عن كل سنتيمتر مربع بخلاف البرج فان تأثيره على الارض هو باعتبار كيلوجرامين اثنين فقط مع ان ثقل البوية التي على جدرانها قد قدرها العلماء بنحو ٣٠ طونولاطة وقرروا أن مجموع وزنه (من غير البوية) يعادل ٧ مليون كيلوجرام وقالوا ان الهواء الموجود في قصر الآلات يزن ربع هذا المقدار مع لطافته فيا للعجب العجاب من غرائب الاحصاء والحساب

ومما يجمل بنا ذكره في هذا المقام أنهم استخدموا هذا البرج لأمور كثيرة مثل الأكل والشرب والتصوير والبيع ونحو ذلك وانهم وضعوا فيه منذ سنة ١٨٩١ ماؤمترًا زئبقيا لقياس تمدد البخار هو أكبر وأجسم ماظهر في الوجود الى هذا الزمان وقد أعدوا في الصيف الماضي تياترو في إحدى طبقات هذا البرج وكانوا يشخصون فيه رواية عنونها (باريس في الهواء) وقد جرت عادة الأفرنج أنهم يرفعون قبعاتهم أثناء التشخيص ولكنه اتفق في بعض المرات وجود رجل لم يتبع هذه السنة بل أبقى عمارته على رأسه فتدمن الحاضرون واعتبروا ذلك اهانة منه وخروجا عن حد الأدب ثم



طالبوه برفع القبة فاجاب بجاه اليه مدير التياترو وأظهر له وجوب الامتثال فما ازداد الرجل الاعنادا واصرارا بحيث لم يكن للمدير من واسطة سوى استدعاء رجال الشرطة واخراج الرجل بالقوة ولكنه تدبر وتعمل ثم ذهب بجانب رئيس الموسيقى فهمس في اذنه بكلمة واحدة أجابه عليها صاحبه بعلامات الامتثال ثم رفع عصاه فلحنت جوقة الموسيقى السلام الروسى فكان الرجل أول من وقف ورفع قبعته اجلالا وتعظيما ثم قال ( ان هذا خبث منك وكيد عظيم . انى أخشى تيار الهواء فى مثل هذا المكان وأفضل الانصراف على هذا الاضطرار ) ثم خرج وشكر الناس حذق المدير وفطنته فى صرف هذا الحادث الذى أوجب لغطا كثيرا واضطرابا شديدا وذلك لان التقرب فى هذه الايام شديد وثيق فيما بين فرنسا والروسية ومتى سمع أحد الفرنساويين التشييد الروسى الوطنى قابله بالاجلال فى الحال وكذلك الروس يكشفون الرؤس عند ما يسمعون التشييد الفرنساوى حتى ان رجلا من محررى الجرائد فى بطرسبرج واسمه برتوف حضر الى باريس أثناء اقامتى بها ساعيا على أقدمائه ليس الا فى كل هذه المسافة التى يبلغ طولها ٩٥٠٠ كيلومتر فقط وكان يمشى فى اليوم الواحد ٣٠ أو ٤٠ كيلومترا وقد استغرقت هذه النزهة

منه نحو ٨ شهور ونصف ولما حل بياريس كان آلاف كثيرة من  
الناس في انتظاره فحياتهم وحبوه ورحبوا به كثيرا وأطنبت الجرائد  
في مدحه

وقد ظهرت في هذه الايام الاخيرة جريدة اسمها (برج ايفل)

بستان النباتات

كان تأسس هذا البستان في سنة ١٦٢٦ وافتتاحه للجمهور في  
عام ١٦٥٠ وهو ينقسم الى أربعة أقسام أولها البستان وثانيها  
مربي الحيوانات وثالثها متحف التاريخ الطبيعي ورابعها العنابر  
الزجاجية المعدة لتربية نباتات البلاد الحارة ومما يليق ذكره أن  
الانسان اذا دخل من أكبر أبواب هذا البستان يرى امامه مشمين  
من الصفصاف غرسها العلامة بوفون المشهور وفي منتهى  
البستان توجد الدار التي مات فيها الرجل المذكور في يوم ١٦  
ابريل سنة ١٧٨٨ وفي هذا البستان مدرسة لتشجير الزخرفة  
ومدرستان لاشجار الفاكهة احدهما مخصصة للفاكهة ذات  
النواة وأما الثانية فلاشجار الفاكهة ذات البزر وفيها ١٨٠٠  
نوع من أشجار الكثرى وهناك مجموعة أشجار مثمرة تحت الدرس

والمطالعة ومدرسة لعلم النبات تحتوى على أكثر من ١٣٠٠٠

نوع من النبات

وأما مرابي الحيوانات ففيه ٢٢ مقصورة عليها أبواب من  
قضبان الحديد تسرح فيها الحيوانات الضارية والوحوش الكاسرة  
والطيور الجارحة كالأسد والفهد والبيروالتمر والذب والنسر  
والعقاب والرخ والكندور وغير ذلك وفيها أصناف لا تحصى من  
الحيوانات المعروفة في بلادنا والمجهولة لنا مثل الايائل والوعول  
وتبوس الجبل والاثوار والابقار والاعناب والماعز والجاموس  
ذى السنم والكنجورو والذئاب والضباع والحلايف وبنات  
آوى والعقبان والنسور وغير ذلك مما لا يمكن الاطاحة به مع تعدد  
أصناف النوع الواحد وهناك قطعة مستديرة مغطاة بأسلاك  
الحديد تسمى قصر القردة فيه منها أجناس كثيرة بين كبيرة وصغيرة  
وامام هذا القصر مستدير كبير ترى فيه الافيال وأفراس البحر  
والسكركدن وأصناف الهجين وهناك تمر قناة من الماء تسبح فيها  
خلائق كثيرة من الطيور المائية وبالقرب منها ترى حيوانات  
بحرية تسمى أسد الماء وبجانها أبراج لانواع كثيرة من الطيور  
ومرابي لاطيار الصيد المرغوبة مثل الصقور والبواشق والشواهين  
وغير ذلك وهناك أصناف من الايائل الخنزيرية التي توجد في بلاد



الهند والقرب من هذا المكان مربى أطيار الدج والقطا والحجل والقواخت والورق والورشان والشفاتن والطياهيح وغيرها والطيور المغردة وأنواع الببغاء والطواويس - وقد رأيت في كشك الزواحف أصنافا كثيرة من الثعابين السامة وغير السامة وعدد عظيم من السلاحف والضفادع والعلاجيم وأصناف التمساح التي اشتهر بها نيلنا السعيد وحرم من رؤيتها المصريون فلا بد لهم من الجحى الى باريس لرؤية هذا الحيوان المشهور حيا يرزق لاملقا على بعض البيوت لفائدة لم أقف عليها مع كثرة السؤال عنها وفي هذا الكشك أيضا أصناف كثيرة من أسماك المياه العذبة

ولابد لنا من ذكر كلمتين أيضا على رواق تطبيق التشريح وعلم الانسان (الانثروبولوجيا) فانه يحتوي على ٢٤٠٠٠ تجهيز وأكثر من ١٣٠٠٠ نموذج يختص أكثرها بدرس السلائل البشرية القديمة والحالية و ٣٠٠٠ جمجمة و ٢٠٠ هيكل عظمى وجملة قطع تتعلق بالانسان الحفري (الذي وجد في الكائنات الحفريه) وفي الدور الاول من هذا الرواق مجموعة وافرة من هياكل جميع الحيوانات وغرف كثيرة مخصصة لدرس التشريح الانساني وفيها صور جميع الاجناس بحيث يتمكن من مقابلتها ببعضها وهناك مجموعة كاملة من رؤس مصنوعة

من الجبس يمكن لاهل علم الفراسة أن يطبقوا معارفهم عليها  
أوزيدوا في معلوماتهم بواسطتها وخصوصا ان القوم اعتنوا بتمثيل  
رؤس بعض المشاهير في ارتكاب الجرائم واقتراف الجنايات وامام  
باب هذا الرواق حوت هائل طوله أربعة عشر مترا (من الصنف  
المعروف بالهائشة) وهيكلي عظامي وجاجم من أفراد هذا النوع  
وسمعت أنه يوجد متحف لما قبل الطوفان غير أنني لم يتيسر لي  
رؤيته مع كوني توجهت الى هذا البستان ثلاث مرات في ثلاثة  
أيام ولكن اتساعه وكثرة ما فيه من الغرائب حال بيني وبين  
رؤيته بجميع أجزائه وتفصيله وقد رأيت هناك شيوخ البحر  
تسبح في برك من الماء ولها صيغة مزججة ورأيت أشجارا لا تنفارقها  
الخضرة على الدوام ولا حاجة لذكر العناية الزائدة التي تلاقها  
نباتات البلاد الحارة في عنابر هذا البستان فانها فوق الوصف  
ولكن القوم لم يتمكنوا الى الآن من تربية النخل المثمر وان كانوا  
توصلوا الى حفظ كثير من أصناف النخيل الخاصة ببلاد الهند  
وأواسط افريقيا وأما متحف التاريخ الطبيعي فيحتوى على شئ  
جسيم وعمد عظيم من الحيوانات الثديية الكبيرة وهياكل  
الحياتان (الهواش) والاساد والامبار والديباب والقراد والزواحف  
والطيور والامالك والحيوانات الرخوة والحشرات كل ذلك

بهندام ونظام لا يمكن أن أصوره للقارئ باي حال فان وصف  
ما في هذا المتحف يستغرق مجلدات كثيرة وحياة علماء عديدين  
قد وقف كل واحد منهم نفسه على درس فرع صغير من  
فروع هذه الفنون

وهناك أيضا رواق كبير فيه مجموعات مستبكرة من الاجار  
الضاللة والنيازك والشهب الساقطة من السماء ومجموعة فيها أنواع  
الاراضي التي تترب منها قشرة الكرة الارضية وصخور ومعادن  
وأجار كريهة ثم رواق النباتات وفيه تماثيل الفطر والكبابة  
(بنات الرعد) بالجبس ومجموعة من الفواكه الجافة والفواكه  
اللحمية والازهار محفوظة في الكؤل ومن النباتات ٢٠٠٠٠٠  
نوع وأكثر من ٥٠٠٠٠٠ عينة وكثير من أصناف النباتات  
الخشبية

المدارس والمخبرات الخيرية والاعانات

رأيت كثيرا من المدارس ووقفت على بعض أساليب التعليم  
وأحطت بوسائل التقديم وأرى الآن وجوب الاكتفاء بالكلام  
على مدرسة المنظمات السياسية ومدرسة العميان ومدرسة الخرس  
عسى أن يكون لشرحي فائدة في بلادى



أما مدرسة المنظمات السياسية فيتلقي الطلبة فيها كثيرا من  
الفنون أخصها علم أصول اللغة الرومانية واشتقاقاتها وعلم  
الكتب وتنظيم خزائنها وعلم السياسة وتاريخ المنظمات السياسية  
والترتيبات الادارية والقضائية في ديار فرنسا ثم عيون التاريخ  
الفرنساوي وفن تنظيم أوراق المحفوظات وتاريخ القانون المدني  
والكنايس في القرون الوسطى وعلم الآثار (الاركيولوجيا) في  
القرون الوسطى وتفتح قاعات الدروس للطلبة من الساعة التاسعة  
الافرنكية صباحا الى الساعة الرابعة أو الخامسة بعد الظهر  
بحسب اختلاف الفصول ولا يتجاوز عددهم في السنة الواحدة  
٢٠ تلميذا وينبغي أن يكونوا من الفرنسيين الحائزين على  
شهادة البكالورية في العلوم البالغين من العمر ٢٥ سنة كاملة  
بالاقل ويلزم امتحانهم في الترجمة من والى اللغة اللاتينية من غير  
استعانة باى معجم أو قاموس وفي تاريخ فرنسا وجغرافيتها قبل  
أول القرن التاسع عشر ومن يكون منهم عارفا باللمانية أو  
الانجليزية أو الاسبانية أو الطليانية يكون له فضل السبق على  
غيره عند تساوى الدرجات وقد ترتب على احداث هذه المدرسة  
فوائد جمة أوجب تفصيلها الى الرحلة ان شاء الله

أما مدرسة العميان فنظرا لقوائدها الجمية خصوصا في قطرنا  
المصري يجب على أن أتوسع في القول عليها قليلا مدخرا الاشباع  
الى الرحلة

يوجد في فرنسا ٣٢,٠٠٠ أعمى لهم من المدارس الخاصة  
٦٠ مدرسة وأهم هذه المدارس وأكملها مدرسة شبان  
العميان الاهلية الكائنة في باريس بدرب الانقلابيد وقد كان  
تأسيسها على يد الفرنسي هاوي فالنتين هاوي في سنة ١٧٨٤ وهي  
أول مدرسة ظهرت في الوجود من هذا القبيل وربما كانت  
أفضل من كافة المدارس المماثلة لها وأحسنها نظاما وترتيا وفيها  
الآن ١٥٥ غلاما و ٨٠ فتاة ومدة التدريس عشر سنوات  
تكون بين سن ١٠ و ٢١ سنة ويتلقون فيها علوما عقلية  
وفنوناً حرفية

فأما التعليم العقلي فهو ابتدائي وعال وقاعدة القراءة والكتابة  
فيها جارية على الاسلوب الذي ابتدعه الاعمى الفرنسي هاوي براى  
في سنة ١٨٢٦ وهو عبارة عن رسم الحروف بنقط بارزة لاتزيد  
عن ستة عن أى حرف

وأما التعليم الحرفي فيشمل الغزل والخراطة وعمل الكراسي

واشغال الابرة والنسيج والموسيقى والالخان (وهذان الفنان قد بلغا الدرجة القصوى والمكانة العظمى حتى لقد فاق تلميذان وتلميذة من المتخرجين في هذه المدرسة في امتحانات ٤ وميية على كثيرين من المتمعين بنور الباصرة)

ومساحة الارض التي تشغلها هذه المدرسة هي ١١,٨٠٠ متر منها ٣,٥٠٠ مشغولة بالمباني وفي فناءها شمال مؤسسها وهو يحاول تعليم الاعمى والفتيات قسم منعزل تمام الانعزال عن قسم الفتيان وللإساتذة غرف لسكناهم بالمدرسة فيها كل ما يحتاجون اليه وهناك سقيفة كبيرة يتنزه التلامذة تحتها ويتفرغون للعب والرياضات اثناء اشتداد الالهوية ونزول المطر وتغير حالة الجو أما نظام التهوية وتدبير التسدئة ففي غاية من الكمال والموافقة في الغرف والفصول والمكاتب والورش والماء كل والعباب (الانبار) وفيها بيعة صغيرة للطقوس الدينية وجمامات فيها ٣ قسمين وفي كل قسم منها جهازات الدوش (صب الماء رشاشا لانعاش كافة الجسد) بحيث يستحم كل تلميذ وتلميذة مرة واحدة في كل خمسة عشر يوما بالانفل وفي المدرسة ورش للتعجير والتصليح والترميم خاصة بالآلات الموسيقية التي يستعملها التلامذة ولذلك غايتان أولهما الاقتصاد فلا تتكلف المدرسة نفقة ذلك في



الخارج والثانية تمرين التلامذة على اصلاح آلتهم بانفسهم  
واضافة ما ينقصها وتعرف مواقع الخلل فيها حينما يسقط مسمار  
أو ينقطع وتر وفي المدرسة مطبعة خاصة بها يطبع فيها التلامذة  
كتباً كثيرة في فنون الاداب والموسيقى مما يحتاج اليه العميان  
وقد رأيت أيضاً مكتبة فيها ٢٥٠ مجلداً بالنقطة البارزة  
و ١٦٠٠ من الكتب المطبوعة بالكيفية الاعتيادية وهناك واعظ  
يقوم بالقاء الدروس الدينية وأما التلامذة الذين لا يدونون  
بالمذهب الكاثوليكي بل بمذهب آخر معتبر في الحكومة فتعليمهم  
يكون بحسب ديانتهم بعد الاتفاق على ذلك بين المدرسة وبين  
أهاليهم وشؤون الصحة منوطة بطبيب وحكيم اسنان موظفين في  
المدرسة (وعند الاحتياج يستشار حكماء آخرون) وطبيب عميون  
وجراح ولا يقبل التلامذة الا فيما بين السنة العاشرة والثالثة  
عشرة وقد خرج منها كثير من النابغين الذين أعلوا قدرها وشرفوا  
ذكرها بما اكتسبوه من حسن الاحدوثة وما قاموا به من انخدم  
الجليلة فمنهم برائى الذى أشرنا اليه قبلاً ورودنباخ الذى كان  
أميناً لاحدى مدائن البلجيكا وعضواً عن الامة في مجلس النواب  
البلجيكي من سنة ١٨٣٢ الى يوم وفاته في سنة ١٨٣٩ وبنچون  
الذى كان مدرسا للعلوم الرياضية في مدرسة أنجى الشهيرة وحائزاً

لوسام اللجيون دونور من درجة شفالبيه ثم فوكون ذلك الميكانيكي  
البارع الذي اخترع جهازا كثيرة لتسهيل الكتابة بين العميان  
والمبصرين وجوتية وروسل ولوبل وهم من اساتذة المدرسة قد  
صنفوا تلاحين موسيقية دينية وعمومية لها عند العارفين قيمة  
عظيمة وغير هؤلاء عدد عظيم يضيق عن سرده حجم هذه الرسالة  
ويوجد في فرنسا الآن أكثر من ٢٠٠ أعمى ينالون ربها واسعا  
ورزقا حلالا طيبا من صناعة البيانوبل ان بعضهم يديرون مخازن  
بيع آلات البيانوأ واصطناعها

وقد تأسست شركة مهمة لاستخدامهم ومعاونتهم والاهتمام  
بكل ما يتعلق بهم حسا ومعنى وبسط لواء حمايتها ورعايتها عليهم في  
جميع الاحوال وفي طول حياتهم ولا تطلب منهم في نظير ذلك  
سوى السير المحمود والاقبال على العمل بقدر ما تسمح لهم به حالتهم  
وقد بلغت ايراداتها في آخر ديسمبر سنة ١٨٩١ ٣٢,٣٣٥ من  
الفرنكات (نحو ١٢٩٣ جنيا ونصف تقريبا) ومصرفاتها  
٢١,٥٧٩ من الفرنكات (نحو ٨٦٣ جنيا وربيع تقريبا)  
والباقي في صندوقها ١٠,٧٥٥ من الفرنكات (أى قريبا من  
٤٣٠ جنيا وربيع) وأما رأس مالها فهو عبارة عن ١٨٥٤٩٦  
من الفرنكات وقد اتسع نطاقها وكثر عدد المشتركين فيها بالاقساط

والتبرعات حتى بلغ عددهم ٨٥٠ شخصا منهم ٢٨ من أكابر سيدات فرنسا جعلت الجمعية تحت حمايتهن و١٧٨ من السيدات و ١٥٢ من العذارى و ١١٤ من التلامذة الموجودين فيها لتلقى الدرس منهم ٤٠ فتاة

وقد تأسست جمعية أخرى باسم فالتين هاوى غايتها تعليم العميان الجاهلين وتشغيل العميان المتعلمين ولها ثلاثة جرائد خاصة بالعميان الاولى (فالتين هاوى) وهى مجلة عمومية تبحث فى جميع المسائل المتعلقة بالعميان والثانية (لويس براى) وهى جريدة تطبع بالحروف البارزة لكي يقرأها العميان والثالثة (مجلة براى) مثل التى قبلها وتظهر فى كل يوم أحد مشحونة بالمسائل الادبية والعلمية والموسيقية ولهذه الجمعية قاعة للخطابة يتباحثون فيها فى كل ما يهم العميان وتتبعها أيضا مكتبة متنقلة تعبر العميان الكتب المطبوعة بالحروف البارزة ليمقروها فى بيوتهم ويستفيدوا منها فى أوقات فراغهم ومن ملحقاتها المتحف وقد تكلمت عليه بما فيه الكفاية والله ولى المحسنين

أما مدرسة الخرس فلا يدخلها غير الذكور ومدة التعليم ثمانية سنوات فيتعلمون فيها زيادة عن المعارف الابتدائية أحد الفنون الآتية وهى طبخ الحجر (مع الكتابة والنقش على الحجر)



ونقش الخشب وطبع الحروف والتجارة واصطناع الاحذية وفن  
الساتين وأما التعليم الديني فيقال عنه فيها كما قيل في مدرسة  
العيان والغذاء مرتب بكيفية توافق الصم الخرس ولهم حمامات  
بجهازات ايدر وليكيه وحوض للسباحة ومروج واسعة وصحون  
فسيحة يلعبون فيها الجماز ويتعودون على الرياضات الجسدية  
وخلصه القول ان المدرسة تعتني عناية كلية بتقوية أبدانهم  
وأمرجتهم وفيها طبيب ومساعدان له وحكيم عيون وجراح عارف  
بفن الاسنان ومستشفى يقوم بالخدمة فيه ممرضات حائزات للدبلومة  
وقد شاهدت التعليم حينما يجيء الطفل فيها أول سنة ويترقى  
شيأ فشيأ بكيفية تدهش العقول فانهم قد منعوا استعمال  
الاشارات بالاصابع مرة واحدة ولا يتجاءر أحد من الاساتذة  
أو التلامذة على ابداء أية اشارة ظاهرة أو خفية وكل التعليم جار  
فيها (وفي جميع مدارس أوروبا وأمريكا كما علمته) بواسطة النطق  
بالاصوات ولذلك يجتهدون في تعليم الخرس مخارج الحروف  
بغاية الدقة ونهاية الاعتماء وقد تكلمت مع بعض الخرس فكانوا  
يجيبونني بالجواب المناسب غير اني في أول الامر رفعت صوتي  
كثيرا فلم يفهمني الاخرس مطلقا مع اني رأيتهم ناظر المدرسة  
كأنسرع ما يمكن بالنسبة لحالته فتذكرت الامر وحينئذ دعاني

الناظر لان أخذض صوتي (لانني مهما بالغت في رفعه فلن يسمعي  
أبدا) وان أكله وجهها لوجه حتى ينظر حركات شففتاي ولساني  
فعملت بما رسم وأجاني الاخرس على الوجه المرغوب ثم انني  
أملت على جملة من التلامذة عبارة فرنساوية فكتبوها بالضبط  
الا واحد منهم أخطأ في حرف واحد تشابه الخارج ثم كتبوا  
اسمي واسم بلدي على التختة ولم يملوا الا حرف H المقابل  
للحاء في لفظة (أجد) لعدم امكان النطق به في الفرنسية وأما  
الفنون الحرفية والصنائع اليدوية وحرث الارض وغرسها ففي  
درجة من التقدم يغطهم عليها أكثر الناطقين بالصاد وبغير  
الصاد وفي المدرسة متحف جليل يحتوي على جميع الطرق التي  
تؤدي لتعليم الاخرس ورسوم ونقوش وتصاوير كثيرة من صنع  
الخرس وقد كان لبعضها فوقان عند العارفين على ما صنعته كثير  
من الناطقين ويقال ان هذا المتحف لانظيره في البلاد الاخرى  
فان الابدولوني (وهو أول من عني بتعليمهم) له أكثر من ١٠٠ قطعة  
تراه فيها مصورا في جميع أحواله وهناك عدد عظيم من المتحف  
المتنوعة التي برع في احداثها كثير من الصم والخرس الذين نبغوا  
في جميع انحاء العالم ومما ينبغي ذكره بوجه الايجاز ان هذا المتحف  
يحتوي على رسوم الاماكن التي استقرت بها هذه المدرسة قديما

وحديثا ومناظر تصور هيئة أهم مدارس الخرّس في فرنسا وفي  
الخارج وصور الاب سيكارو معلمى الخرّس من القرن سابعين  
والاجانب وكثير من أعظم العالم الذين لهم دخل في تاريخ تعليم  
الخرّس من مؤسسى المدارس ونظارها والمحسّنين ومشاهير الكتاب  
ورجال الحكومات وأهل السياسة ثم أعمال الخرّس في جميع  
العصور وعند جميع الامم من مصورين ونقاشين ونحاتين ورسامين  
وطبايعين وفوتوغرافيين ومهندسين ثم صور كثير من مشاهير ارباب  
الفنون الخرّس ثم ميداليات ومسكوكات وكتابات بخط اليد وأشياء  
نادرة وغير ذلك مما يتعلق بهذه الطائفة

وقد تألفت جمعية لتعزيد الخرّس ووافق أنها اثناء اقامتى  
في باريس أولت وليمة فاخرة احتفالا بحلول السنة المتممة للمائة  
وثمانين من يوم ميلاد الاب دولوبى نعم انى لم أحضر هذه الحفلة  
الغزبية الشائقة ولكنى لأرى بأسامن افادة القارئ بما علمته  
عنها من الجرائد وذلك ان المدعويين كانوا كثيرين وكانت الحفلة  
تحت رياسة الموسى وكوشفر وهومن المهندسين الذين تخرجوا  
بهذه المدرسة وبعد انقضاء الطعام وقف يخطب فى القوم  
..... يلاغه باهرة مستعينا بالايماء والاشارة فانه ألم  
أحسن المام بذكر حياة الاب دولوبى وسرد ما آثره التى



أفاضت الخيرات على جزء عظيم من بني الانسان ثم شكر الجمهورية  
الفرنساوية على مساعدتها في تحسين حال امثاله ثم ختم مقاله  
باهداء ميدالية الى أحد النفاثين البارعين من الخرس وقدمها  
له باسم وزير التجارة والصناعة ثم تلاه كئسبر من الخطباء الخرس  
وكانوا كلهم يفيدون الحاضرين بعبارات ظاهرة مفهومة

أما أماكن البر والاحسان واصطناع المعروف وانعانة  
المهوف فهي أكثر من ان تعدولها شؤون كثيرة وفائدة عظيمة  
فيها ما يساعد الامهات لتمكنهن من ارضاع اطفالهن أو فقراء  
المعتوهين الناقهين بعد خروجهم من اليمارسات أو تلتقط  
اليتامى انا أو كوروتسكفل بتعليمهم وتربيتهم في طريق الشرف  
والاستقامة أو تعاون فقراء الالزاسيين واللورانيين الذين تركوا  
وطنهم وآثروا النقر مع بقاء الجنسية الفرنسية لهم على الدخول  
تحت أحكام المانيا أو تضم الامهات الفقيرات أو تضيف النساء  
والرجال الذين لا مأوى لهم بالليل أو تتكفل بالفقراء من الرجال  
أو النساء الى أن يجدوا لهم خدمة يتعيشون منها أو بالنساء  
الحبالى فقط أو الطاعنين في السن دون سواهم أو لوصف الادوية  
أو لتقديم الدواء أو للوالدات بعد الولادة وهن في دور النقاهة  
أو للفتيات بعد مرضهن أو لتقديم الاشغال للخياطات اللاتي

ليس لهن خدمة أو للتكفل بالإنشاء حين اشتغال والديهم عنهم  
يسبب كسب التوت أو لتطبيب الاطفال على العموم أو المصاين  
بداة مخصوص مثل الخنازير والكلاب أو الادواء العضالة وغيرها  
أولاستخدام العذارى في مخازن التجارة أو لاستخدام الفعلة والعملة  
من الجنسين والكلاب والحساب وغيرها أو لتعليم الزراعة أو لتبني  
الاولاد ووضعهم في مرابي الايتام أو لاستخدام البتامي والاولاد  
الذين تركهم أهلهم أو لساعدة العائلات أو لتعليم الاطفال الفقراء  
حرفة الصياغة والجواهر والساعات وغير ذلك من الفنون الحرفية  
أوللاغراب الامريكايين أو الانجليز أو النمساويين والمجرين أو  
الطليانيين أو البولونيين (اللاهين) أو السويسريين أو البلجيكين  
أو جميع الامم أو لتقديم الخبز أو لتقديم صنف من الطعام أو  
لفقراء المرضى أو لتعصيد التكايا أو لقبول المعلمات اللاتي ليس  
لهن وظيفة يتعيشن منها أو لفقراء الاسرائيليين أو لتقديم  
الجهازات اللازمة لمن تقطع بعض اعضائهم أو للولادة أو لتسهيل  
الزواج بحسب قواعد الدين واجراء المساعي اللازمة بين الطرفين  
أو لتسهيل الزواج بالطريقة المدنية من غير توسط القسيس  
وتقديم كل مايلزم من الصكوك والاوراق مجاناً والتكفل  
بأبنايت نسب الاولاد وجعلهم شرعيين أو لحماية الجنود البحرية

والبحرية الذين احرزوا نشانات في وقائع التونكين أو لمساعدة  
بحري الجنود (وهذه الجمعية مركبة من النساء) أول الذين كانوا  
في سلك الهندية وحازوا وسامات اللجيون دونور أو الذين سبقت  
لهم الخدمة في الجيش أو لمساعدة عائلات وأرامل ضباط  
البرية والبحرية أو أعمال الحكومة الذين تشابه وظائفهم وظائف  
الضباط أو لترتيب معاشات للعسكرية أو لحماية الذين يتطوعون  
في الخدمة العسكرية أو لتخديم الشبان الذين يتخرجون ببعض  
المدارس أو لاقراض عائلات العملة المبالغ اللازمة (من غير  
فائدة) لاستخلاص الاشياء التي وضعوها في بنك الرهونات ثم جاء  
الاجل ولم يتيسر لهم المال المطلوب أو لدفع ايجار مساكن  
الفقراء أو لاعادة النقرء والمرضى الى أوطانهم أو لمساعدة المحتاجين  
من المشتغلين بحرفة سباق الخيول أو لبذل الاعانة اللازمة في  
الحال أو لمساعدة الذين يروحون شهداء تأدية الواجب (وقد أرسلت  
هذه الجمعية في شهر اكتوبر الماضي ٤٠٠ فرنك لشيخ احدى  
البلاد لتوصيها لارملة رئيس المحطة وقد دهسه الواور بينما  
كان يجتهد في انقاذ امرأة ارتبكت على الشريط وقد أتى الواور  
و ٣٠٠ فرنك لعائلة رجل مستخدم بالدخولية دهسته العربات  
بينما كان يمانع تهريب بعض الاصناف و ٢٠٠ فرنك لرجل



من بوليس باريس أصابته جراح بليغة بينما كان يحاول لوقيف  
خيول حرونة وقد وردت لها في الشهر المذكور وصية من زوجة  
أحد القضاة بمبلغ ١٥٠٠٠ فرنك ووصية أخرى قدرها خمسين  
ألف فرنك من أحد النقاشين وثلاثة من إحدى العذارى وقدرها  
٥٠٠٠ فرنك) وهناك أيضا جمعيات لا تدخل تحت حصر وقد عدت  
الجمعيات التي وقفت على اسمها وعنواناتها وبيان أعمالها فإذا  
هي ٢٤٥ جمعية بعضها لها فرعان وخمسة وعشرة بل وخمسة  
وعشرون وبعضها خاص بطائفة من الناس أو بدين مخصوص  
أو بجنسية واحدة أو بسن معين أو ببني الانسان على العموم  
وفضلا عن ذلك فان الاكتابات تراها في كل جرائدهم  
لاقل حادثة مثال ذلك اني رأيت اعلانات من دار أمانة القسم  
الاول من باريس تدعوفيه أهل الخير لم يد المساعدة اليها لتعاون  
الفقراء على احتمال البرد وشدائده وتقول فيه انها أنفقت في السنة  
الماضية الاعانات التي جمعها من أرباب اليسار وقدرها ٢٠٠٠٠ و  
فرنك وقد قلت لك ان باريس تحتوى على ٢٠ قسما ولا بد  
انها كلها سارية على هذا المنوال ومثال ذلك انه لما أضرب العمال  
في مناجم الفحم الحجري بكارمو عن العمل فتمت جريدة  
الاترانسيجان اكتتابا اشترك فيه كثير من الناس وكنت أرى

في أعمدها ان فلانا وفلانا وفلانا من الفعلة في كذا تبرعوا بمبلغ فرنك واحد ولكنني ما كنت أستخف بذلك مثل أولئك الذين يهتمرون صغار الاشياء ولا يعلمون انها من الاجتماع ومنبع العمان ودليلي على ذلك ان الانترنسيجان جمع من هذا الاكتاب مبلغا يزيد على ١٨٠٠٠ فرنك ثم ان المجلس البلدي في باريس أرسل لهؤلاء العملة مبلغ ١٠٠٠٠ فرنك صفقة واحدة وقد تواردت عليهم الاعانات من جميع الجهات ومن جميع الطوائف ولا بد ان القارئ وقف على تفاصيل هذه الحادثة الهائلة التي اضطرت لها أساطين السياسة في فرنسا وشغلت العالم بأسره ولذلك فلا أرى وجهها للخوض فيها فضلا عن أن شرحها يحتاج لوقت طويل ومثال ذلك أيضا الاعانات التي يادر أهل فرنسا على اختلاف طبقاتهم ومشاربهم بارسالها الى الجرحى من جنودهم في غزوة داهوماي فمن ذلك ما قرأته حينئذ في الجرائد ان المحفل الماسوني (الزاس ولورين) قد أرسل لهم ٢٠٠ فرنك على يد وكيل وزارة المستعمرات وأرسلت لهم جمعية نساء فرنسا وللبجنود التي في التونكين ٣٧ صندوقا فيها أصناف كثيرة من المأكولات والملبوسات وغير ذلك واقتدت بها طوائف كثيرة في هذا السعي الحميد ولكن جريدة الفيجار وفاق الجميع فانها كتبت

في يوم ٧ نوفمبر تستحث أهل البر وخصوصا كبراء التجار على المساعدة في اكتتاب الجنود داهوماى وقالت انها تفتحه في ثلثي يوم وتقبله في اليوم الثالث وان ذلك يستوجب التعجيل ولم يرد اليوم الثالث وهو ٩ نوفمبر حتى كتبت تقول «لقد أجيب نداءنا باكثر من جميع آملنا فقد اجتمع في مكتب الفيجارو في أقل من يومين ٢٢٠٠٠ زجاجة من نبيذ بورديو والشامپانيا والمياه المعدنية و ٢٥٠٠ علبة من المربيات وأصناف المأكولات المحفوظة و ٢,٩٥٠ قطعة من مربعات الشكولاته و ٢٣,٤٥٠ سجارة فرنكية و ٣,٠٠٠ سجارة مصرية وأكثر من ١٠,٠٠٠ صنف من الاصناف المتنوعة مثل شراب الروم والشارتروز ومثل التايوكا وغير ذلك مما سبق لتاسرده في العدد الماضي وكان مبلغ النقود التي وردت لنا ٤٣,٠٠٠ فرنك ونصف (١,٧٢٠) جنيتها تقريبا في يومين اثنين (خلاف الاصناف الاخرى) وقد قلنا باب الاكتتاب» ثم أوردت بيان الاصناف وأسماء المتبرعين ولا فائدة في احاطة القراء بذلك فان هذا الاقبال يعنى عن الشرح والبيان وبمثل ذلك فليتنافس المتنافسون - وممثل ذلك اشتمامهم بعائلات الذين ماتوا في حادثة انفجار الديناميت في شارع بونرافان أثناء اقامتي في باريس فكان رئيس الجمهورية أول من اهتم بشأنها وقد



أرسل مندوبا من قبله ذهب الى منزل كل واحدة من الارامل  
وأعطاها اعانات من جيب رئيس الجمهورية الخصوصي وأعلمها  
بانه مشارك لها في أحرانها ثم توجه الموسيولوبى رئيس الوزراء  
حينئذ فزار كل واحدة منهم في مسكنها وقدم لها مساعداته  
شخصيا ووعدهن بان الحكومة تنكفل بالارامل وتعهدهن  
بتربية اليتامى ثم جاء محافظ المدينة ووزع عليهن ٧٠٠٠ فرنكا  
ثم تعهدهن مرة ثانية وقدم لهن ماورد اليه برهنهن من لجنة  
مصانع الحديد في فرنسا ولجنة مناجم الفحم الحجري وقدم لهن  
أيضا مبالغ جمعت في احدى الولا ثم وقد علمت ان مقدار ما أرسلته  
لجنة مناجم الفحم ٥٠٠٠ فرنك وقد وردت المساعدات  
من جميع أنحاء فرنسا بما يضيّق عنه المقام ثم تقرر ترتيب معاش  
لعائلات المصابين الذين كانوا في خدمة الحكومة يكون نصفه  
من ميزانية الحكومة والنصف الآخر من ميزانية مدينة باريس  
وقد كان فيهم رجل من خدامى القومبانية (التي قصد أصحاب  
الديناميت تدميرها) فلذلك تقرر صرف المعاش لاراملته وأولاده  
باحساب النصف على الحكومة والنصف الآخر على القومبانية  
المذكورة وهى قومبانية معادن الفحم الحجري في كارو -  
وخلصة القول ان تفننهم في وسائل الاعانة واقبالهم عليها أمر

يستغرق شرحه مجلدات ضافية الذبول يدل على ذلك ما قدره  
أهل المعرفة من ان مبلغ الاعانات التي يبذلها أفراد الناس في  
باريس على حدتهم تزيد على ٢٥ مليون من الفرنكات في كل  
سنة (انظر جريدة الطان عدد ١١٥٤٨ من هذه السنة) ومع  
كل هذا الاجتهاد فلا يزال بعض الناس يموتون فيها جوعا وان  
كانت النسبة أقل بكثير مما في لوندرة فقد رأيت في العدد  
٣٧٠٠ من جريدة الغولوا جملة طويلة على الفاقة وانخلو من  
العمل في باريس اقتطف منها بعض شذرات جديرة بالاعتبار

قالت انه بحسب البيانات الرسمية والاستعلامات المؤكدة  
التي استحصلت عليها يتضح ان عدد العملة الذين منعتهم شدة  
الشتاء ووقوف حركة الاشغال من كسب القوت يقرب من  
خمين ألفا وان طلبات الاعانة قد تواردت على مكاتب الاحسان  
العام بمقادير جسيمة تزيد من المعتاد وان هذه المكاتب قد ساعدت  
المساعدة لنحو ٩٢ أو ٩٣ ألفا من المحتاجين وانها تقوم بمعالجة  
نحو ٩٠ ألف مريض و ١٩ ألف والدة في منازلهم وان عدد  
المهوفين بحسب التعديل المتوسط سيزيد في هذا العام زيادة  
تذكر - أما الملاحة الليلية التي يلوذ بها الفقراء عديمو السكن  
فقد بلغ عدد الوارد على أحدها في كل يوم بالمتوسط ٢٠٠

رجل مع انه لايسع الا ١٥٠ وكان عدد النساء أكثر بكثير مما  
قدر لهن فان الوارد منهن في اليوم الواحد بالتوسط نحو ٥٠ مع  
انه لايسع الا ١٥ وان استمر الشتاء على شدته وكذب كما هو  
المنظور يزداد عددهن أكثر من ذلك وقد بلغ عدد النساء  
والاطفال الذين لجئوا اليه في العام الماضي ٣٦١٧ مضوا  
به ٩٦٥٧ ليلة وفي جلاتهن الخدمات والمعلمات والابكار  
والارامل وامناهن وغير ذلك والمقرر في هذا المجأ اعطاء  
الرجال كسرة من الخبز في الليل وورقة للخباز لاختذ رغيف  
وقليل من المرق بالنهار وأما النساء فلهن الخبز والمرق في نفس  
المجأ نعم ان هذه الكسرة وهذا القليل من المرق أمر زهيد جدا  
لايعتد به ولكنه في الجملة تصل قيمته الى ٢٥ ألف فرنك هذا  
فضلا عن كون بعض معامل الصناعة في باريس تعهد بتقديم  
٥٠٠٠ كيلو من الخبز في كل سنة الى هذا المجأ احتسابا لوجه  
الله تعالى ومعاونة له على أعماله الخيرية وهذا المجأ يوزع على  
اضيافه في كل عام من ٢٠ الى ٢٤ ألف كسوة وقيص  
وجوراب وصدار وفستان وخبز وغير ذلك وانى لأرى  
بعد ذلك كله حاجة للشرح والبيان بل أحمده الله على حالة  
بلادنا وأهلها



التيارات والملاهي والمنزهات

أصبح التشخيص في باريس من الكماليات الحاجية التي لاغناء لاهلها عنها حتى ان الرجل ليقصد من مصرفه الضروري لتمضية الليلة في أحد التيارات وكثيرا مائة كبد بعض العائلات نفقة باهظة جدا لقصر احدى المقصورات بواسطة الاشتراك (وخصوصا مقصورات الاوبرا) ليقال عنها ان لها مكانا معيننا في هذا التيار أو في ذلك المرحح ولذلك لايندر ان يحل موسم افتتاح التيارات الكبيرة ويس فيها محل خال للايجار والاعظم من ذلك ان الاوبرا يؤجر أما كنهه بالسته شهور بل وبالسنه الكاملة ويخيل لي ان أعاب نساء هذه العائلات انما يحضرن هذه الملاهي لعرض ملابسهن وابداعهن في زخرفتها وزركشتها ولاستجلاب العيون والعوينات فحوهن لا لقصده سماع الاغاني والالخان أو شهود التشخيص والتمثيل اذأنهن يكنن غالبا في اثناء ذلك مشتغلات باصلاح افسستان وهندمة دوائر ومستديراته وتعديل الصدار وتميق الوشاح والخايلة بالمراوح ذات الالوان التي تأخذ بالابصار وتراهن عندما يستقربهن المجلس يتدن بعد هذه الهدمات الضرورية لهن باستعمال النظارات المقربة المكبرة المجسمة لمراقبة بعضهن بعضا واستوقاف رائد الطرف فحو

التي تجلت في جبابب الظرف وفاقته بحسن الشكل وبرعت  
بجمال المنظر ثم يرسلن اللحاظ الفاترة في بعض الفترات لرؤية  
الرجال وهم يرمقونهن على الدوام حتى اذا جاءت ساعة التشخيص  
التفت هؤلاء اليه واقبل أولئك على شؤونهن الاولى من اصلاح  
الملابس والالتقان في التبرج والاعراب في الهرجة مع توالي النظر  
في المرايا أو المسامرة مع بعضهن ومبادلة أفكارهن فيما يتعلق  
بهن

تلك يا صاح حالة التيارات على العموم والاوراع على الخصوص  
وصفتها كما رأيتها مقتديا بعمرو بن العاص ذلك الصحابي الجليل  
الذي مع قرب عهده بالبدواة لم يتحاش من قول الحق في رسالته  
المشهوره التي بعث بها الى امام المسلمين وأمير المؤمنين الخليفة  
عمر بن الخطاب رضی الله عنهم ما وأرضاهما حيث قال في عرض  
وصفه اصرو وأهلها (ونسأؤها طرب) ولم يؤاخذ الخليفة الراشد  
المشهور بالصرامة والجد والصلاح في الحق الى آخره

وقد اقتسدت أيضا بطارق بن زياد فاتح الاندلس فانه قد  
وصف نساءها حينما خطب في قومه يحرضهم على قتال رذريق  
ملك الاندلس وأطنب في ذكر محاسنهن وجمالهن وغير ذلك مما  
تراه في خطبته التي أوردها صاحب نفع الطيب وجميع مؤرخي  
الاندلس وقد ترجت الى أغلب اللغات الافرنجية

وقد نحت أيضا نحو ذلك الرحلة المشهورة بابن جبير فانه  
وصف نساء الافرنج في صقلية وصفا مدققا كما يعلمه من له  
اطلاع على كتابه المطبوع المتداول وذلك لان وظيفة السائح تقرير  
الحقائق كما هي وذكر الوقائع كما حصلت الافرنجية

وفي أول ليلة توجهت الى الاوربا ورأيت مقصورات الطرف  
في مقاصيرهن كأنهن كواكب السماء قد انتشرت أو أزهار  
البهاء قد انتشرت حدثتني النفس بان أصعد بعد تشخيص الفصل  
الاول الى بهو الاستراحة البهيج للاسترق السمع ولكن لا استرق  
البصر فرأيتن كلهن يصدق عليهن قول كعب بن زهير في قصيدته  
التي مدح بها رسول الله صلى الله عليه وسلم

هيفاء مقبلة تجزأ مسدرة \* لا يشتكي قصر منها ولا طول

ومعلوم ان خاتم الانبياء الذي بعث لتتميم مكارم الاخلاق  
أعجب بهذه القصيدة إعجابا لا مزيد عليه حتى انه لم يكتف بيقن  
دم الشاعر بعد ان كان أهدره بل خلع عليه بردته الشريفة  
ولا يعجب اذا حق للغريب المتأصص في هذه الحال أن ينشد قول  
من قال

وانك ان أرسات طرفك رائدا \* لقلبك يوما أتعبتك المناظر

رأيت الذي لا كاه أنت قادر \* عليه ولا عن بعضه أنت صابر



والذى جرأنى على الاتيان بهذا الوصف القليل هو ماجريت عليه من الاحاطة ببعض أحوال باريس وان لكل مقام مقال فان من أراد أن يلم بشئ على التيارات فى هذه البلاد لايجوز له أن يضرب صفحا عن ذكر النساء فيها لانهن حياتها وروحها ولولاهن لما كان لها ذكر ولا قامت لها قائمة بل ان الرجل ليعتبر نفسه من أسعد السعداء اذا أصبح ورأى فى الجرائد ان زوجته أو أخته أو ابنته أو من تنسب اليه هى التى كانت محط الانظار ومحل الإعجاب والاستحسان فهذه هى عاداتهم وهذه هى أخلاقهم يشاركون فيها عامة الاوروبين تقريبا ولم أر مندوحة من الالماع اليها

أما التيارات فى حد نفسها فأهمها الاوبرا وقد كان الاحتفال بافتتاحه فى ١٧ يناير سنة ١٨٧٥ بعد ان اشتمرت العمارة فيه مدة ١٥ سنة وبلغت نفقائه ٦٥ مليون من الفرنكات وبهو المتفرجين يسع ٣٢٠٠ شخص اما ما فيه من المباني الجسيمة الفاخرة والرسوم الباهية الباهرة والصور الجميلة الجميلة والتماثيل المتقدمة المحكبة والنقوش المزخرفة والسلالم والقباب والثريات وغير ذلك من الامتعة الغالية العالية فذلك بمقدار مبالغ النفقات وفى ذلك ماينغنى عن الافاضة

ويجىء بعده التياترو الفرنساوى والكوميديا الفرنساوية  
وقد كان تشييده فى سنة ١٧٨٢ ويحتوى على كثير من اثار  
الفنون المستظرفة ويعتبره الفرنساوية فخرا قائما لهم وان  
الروايات التى تشخص به مسبوكة فى أحسن قالب وأكمل ذوق  
ولكن الرواية التى شهدتها لاتشهد بذلك وان كان مؤلفها من أكبر  
أكبرهم وهو ابن الكساندر دوماس ومن أعضاء الاكاديمية  
الفرنساوية فانها عبارة عن امرأة تحققت خيانة زوجها لها  
فاستعملت كل الوسائل فى ارجاعه عن جهله ولم تنجح فاضطرت  
ذات ليلة لاقتفاه أثره فى البالوشم فى المواخير وقلده فى جميع  
أعماله ثم أخبرته بذلك بتفصيل وتدقيق أثبت له حضورها فى  
المكان الذى كان فيه متخذة لها صاحبها حيثما اتفق من الشبان  
الى غير ذلك مما لا يساعدهنى القلم على كتابته وان كانت فى آخر  
الامر أثبتت براءتها بقولها عن الشاب المذكور (لقد كذب) فانها  
طلبت من زوجها أن يستعلم منه بطريقة خفية وانى أدع الآن  
تفصيل أفكارى فى هذا الموضوع الى الرحلة وانما أقول ان أغلب  
الروايات التى تشخص فى فرانسابل وفى أوروبا يكاد يكون الغرض  
منها تعليم النساء الحيل والمكايد مع انهن بنات يجدها وساقم

البراهين على ذلك بتلخيص بعض الروايات التي يزدحم عليها القوم  
ولا ازدحام الجياع على القصاص

وكذلك أقول عن جميع التيارات التي زرتها ماعدا الاوبرا  
في قليل من الاحيان وتيارو الشاتليه غالباً فإنه مخصص للقطع  
التاريخية ومما يستحق الذكر في هذا التيارو الاخير ان عدد  
الراقصات فيه يبلغ ٢٠٠ عدا المشخصات والمشخصين

واعلم أنه يوجد في بعض التيارات نظارات موضوعة في ظهور  
الكراسي بكيفية ميكانيكية لطيفة بحيث ان غطاءها ينفخ بمجرد  
وضع نصف فرنك في فتحة فيها وبعد تمام التشخيص يعيدها  
المنفرج لمكانها

ومن أغرب ما يتعلق بالتيارات تلك الآلة الكهربائية المسماة  
بالتياروفون (أى سماعة التيارو) وبيان ذلك أن لاغلب الجرائد  
المهمة قاعات فسحة يسمونها قاعة التلغرافات ولكنها أشبه  
شيء بمعرض للصور والرسوم وبعض المصنوعات الدقيقة اللطيفة  
وغير ذلك من مستطرف الآلات ومستحدث البدع فتوجهت  
الى كثير منها ورأيت فيها شيئاً شبيها بالتيلفون وفيه فوهة مخصوصة  
يضع الانسان فيها نصف فرنك أو فرنسكا بحسب المدة التي يريد  
ثم يضع السماعات على أذنيه فيسمع التشخيص بغاية الوضاحة كأنه



حاضر في أحسن محل بالتيار وويسمع الغناء بصوت صريح ويقف على جميع الأقوال التي يتبادلها الشخصون أثناء التمثيل مما قد لا يسمعه إذا كان جالسا في الصف الخامس من المتفرجين ولكن هذه الآلة لا تمكن المستمع بها من سماع التصفيق أو الموسيقى أو غير ذلك مما لا يتعلق بالتشخيص مباشرة لأنها مدبرة بحيث تنقل كل صوت يقع في نفس المرحح الذي يقف عليه الشخصون دون سواه وقد حضرت بهذه الكيفية فعطا كثيرة من بعض الروايات التي أعرفها إذ كنت كل ليلة أوجهه إلى قاعة التلغرافات في جريدة غير قاعة جريدة الامس

أما قهاوى المعاني وأما كن الرقص وما يشابهها مما يدخل في هذا الموضوع فهي أكثر من أن يتصورها الانسان وكلها في كل ليلة تكون غاصة بالجواهر المجهرة والعوالم المتقاطرة

أما المنتزهات والمسابقات على الخيول والعربات والاقدماء والعجيلات المفردة والثناييه والثلاثية (السيمكيت والبيسكل والتريسكل) وقباقب الرحلة على الثلج الطبيعي والصناعي والسباحة والملاحة والصيد والقنص والرماية ومراني العالم (صندوق الدنيا) أما بالانورا فقد تفتنوا وتمتقوا فيها إلى درجة قاصية حتى ان جرائدهم تخصص لذلك كله أعمدة طويلة في كل يوم بل ان لكل نوع منها جريدة أو أكثر خاصة به ومنتدى (كلوب) يجمع أهله وكثيرا

ماتكون مسابقاتهم على الاقدام أو العجيلات المفردة من مدينة الى مدينة أخرى بعيدتين عن بعضهما بمسافات كبيرة وقد يشاركهم كثير من النساء في هذه المسابقات ويفزن في غالب الاحوال بقصب السبق في هذه المضامير المتنوعة المتعددة ومن شدة غرامهم بالزحاقة على الثلج أحدثوا في الصيف الماضي قبل رجوعى الى باريس بقليل مكانا سموه (القطب الشمالى) وأحضروا له من آلات التبريد والتناجيج (مثل الآلات المعروفة في مصر المعدة لاصطناع الثلج) ما فيه الكفاية لتجميد الماء وإيجاد الثلج الصناعى بكية وافرة وحجم سميك يمكن المولعين بهذا النوع من الرياضة من قضاء ما رهبهم في غير فصل الشتاء وقد نال هذا المحل اقبالا عظيما جدا مع ارتفاع أثمان الدخول وتأجير القبقاب وتناول المشروبات وغير ذلك وهذا أكبر دليل على ان القوم لم يقدروا على كتمان اشتياقهم لهذه المسابقة الى أن يحل أوانها حتى اننى لم أربدا من زيارته في بعض الليالى حبا للاستطلاع والوقوف على حركته وكيفية ادارته فتوجهت أولا الى الحمام التركى (وهو على طرز الحمامات العمومية في مصر لا يفترق عنها الا بفرط نظافته ووجود المرشات الباردة وبرك السباحة وكال المعدات) وقد رأيت في جملة المكبسين الافرنجى الذين به رجلا من

الاسم كندريين اسمه حسن قد فارق ديار مصر مع عائلة  
أمريكانية منذ ١٨ سنة ثم انفصل من هذه العائلة واستقر في  
باريس يكسب قوته بكده وسعيه وبعد الحمام انتقلت الى القطب  
الشمالي فاذا هو مكان فسيح جدا فيه صور ورسوم تصور هيئة  
القطب الشمالي وتلوجه ونباتاته ومحبه وكواكبه وغير ذلك ورأيت  
الآلات وكيفية ادارتها ووقفت على سير هذه المصلحة المستجدة  
بالتفصيل وعرفت أسرارها مما سأخذه بالبيان الشافي في الرحلة  
ان شاء الله وقد هزني الشوق الى مجاراتهم ووطئ الثلج بتلك  
الاقدم المصرية التي لم يتخ لها قط فرصة مثل هذه في وادي  
النيل السعيد فاتخذت أستاذنا يسندني وكنت أحس بالبرد في  
أقدامي وانخليل في نفسي من رؤية الغلمان والفتيان والبنات  
والعذارى يتسابقون كالريح الهبوب ويرقصون على هذه المرآة  
الصقيلة رقصا موزونامع نغمات الموسيقى وإيقاعاتها ومنهم من كان  
يرسم دوائر كبيرة ثم صغيرة فأصغر وهكذا حتى يصل الى نقطة المركز  
ومنهم من كان يقبع على قطبه الجنوبي في هذا القطب الشمالي وأنا  
في خلال ذلك أنقل رجلا بعد أن أتأكد من ثبات الأخرى مع  
التوثق من استنادي على أستاذي كأني طفل قد ابتدأ في الخطى  
أوفيل جسم يسير بكل نؤدة على حافة هاوية عميقة أو على شفا



جرف هاروفى أثناء ذلك أخبرنى الاستاذ بان جماعة من الافرنج  
عزموا على ايجاد محل نظير القطب الشمالى فى مصر القاهرة بدلا  
من المكان المصفح بالقار والاسفلت المعروف باسم ( كيروسكيتنج  
رنك) فقلت فى نفسى لقد صدق من قال ان عقل هؤلاء القوم  
فى كذبهم وانهم لا يتمتع عليهم شئ من مستعصيات الطبيعة

التمثيل والميادين والزهرات المربعة (الاسكوير)  
والارصفة والقناطر

تحتل مدينة باريس مثل أ كثر المدن الاورباوية بتمائيل  
كثيرة لا عظم رجالها ولا أذ كر الآن ما فى داخل القصور والنظارات  
والمصالح العمومية الاميرية وديار البلدية والمتاحف وغرف الجمعيات  
العلمية والصناعية والتجارية وغير ذلك من دور العامة والخاصة  
وانما أذ كر ما رأيت به فى بعض الشوارع والميادين من ذلك تمثال  
الجمهورية وتحت أقدامها غضنفر يحمى كأس الانتخابات العمومية  
وعلى قاعدة التمثال رسوم بارزة تمثل أهم أعمال الجمهورية الاولى  
والثانية والثالثة فى فرنسا وتمائيل الخيرية والمساواة والاءاء وارتناع  
هذا الاثر ٢١ مترا ثم تمثال الملك هنرى الرابع وتاريخه مشهور  
خصوصا فى تودده للامة وتقربه من الاهالى حتى انه حينما كان

غائبا عن باريس وتمرد عليه أهلها ورفعوا لواء العصيان لبعض  
أمور دينية رجع اليهم وحاصرهم وضيق عليهم الحصار ولما علم  
بشدة الضنك الذي صاروا اليه أخذ يرسل اليهم الخبز من فوق  
الاسوار مع استمراره على الحصار وكان يقول اني لا أريد  
أن أمتلكهم بالجوع فذلك مما تأباه الشهامة والفروسية ثم تمثال  
الجمهورية أمام قصر جمعية المعارف وتمثال الفتاة جان دارك المشهورة  
باخراج الانكليز من فرنسا وتمثال لويز الرابع عشر ملك فرنسا  
المشهور وتمثالين لقولتير وتمثال لكلود برنار وآخر لدانتى الشاعر  
الاطليانى المخلد الذكر ولويز بلان الكاتب الطائر الصيت خصوصا  
بتواريخه على ثورات فرنسا وشارلمان الملك وديدرو من أكبر  
فلاسفتهم ورأس المؤلفين للموسوعات الفرنسية وبيرانجية صاحب  
التلاحين والاعانى التى يكاد يحفظها كل فرد منهم والكساندر  
دوماس صاحب الروايات العديدة المترجم بعضها الى اللغة العربية  
وجان بلك روسو ذلك الفيلسوف العظيم الذى كان له يد طولى فى  
تنقيف عقول الاممة وتنوير الازدهان وشا كسبير شاعر الانكليز  
وفيلسوفهم صاحب رواية كلبوطرة ملكة مصر وقد بلغ فيها نهاية  
الاجادة والامرتين ذلك الشاعر المفلق والكاتب الجييد وكثيرا  
ما كتب على المشرق ومصر والدولة العلية خصوصا كتابات تسخر

العقول وتخاب الالباب وقد تولى رئاسة الجمهورية وتمثال دانتون المشهور الذى حرك ساكن الوطنية فى قلوب قومه بخطبه الرنانة ومقالاته الماثورة ومن أهم كلماته قوله (كفى نهمعد و الوطن يلزمنا الاقدام ثم الاقدام وعلى الدوام الاقدام) وهى بلغتهم فى نهايات الفصاحة مع بساطة الشكل كالسهل الممتنع عندنا وتمثال الاب دولوبى (ذى الحسام) وهو أول من عني بتعليم الخرس وقد سبق لنا ذكره ثم تمثال الرياضى المحقق والطبيعى المدقق العلامة باسكال وقد أشرنا اليه فيما سبق وهناك تماثيل كثيرة لعظمائهم يضيق عن سردها المقام الذى يستحق التخصيص الآن هو تمثال رجل كان جاو يشا فى غزوة التونكيين واسمه الجاويش بوييللو وليس فى فرنسا كلها تمثال لصف ضابط سواه وسبب عناية القوم به لهذه الدرجة واكتتابهم فى جميع اطراف فرنسا لجمع المال اللازم لتشييد هذا الاثران الجنود الفرنساوية حاصرهم أهل التونكيين فى غابة كثيفة وأوشكوا على إبادةهم عن آخرهم لولا وجود هذا الرجل فانه تعرض لهم وفدى قومه بنفسه اذ شاعل التونكيين بثبات جاش وجرأة حتى تيسر اقومه وجود مخرج من هذه الورطة وقد قتل الرجل فى هذه الواقعة بعد ان أبلى فى أعدائه بلاء حسنا وبهذه المناسبة



اذكر ما رأيته في تورينو والشيء بالشيء يذكرك رأيت في أحسن  
مياذنها تمثل نفر من العساكر لم يجرز أدنى رتبة فتعجبت من  
هذه الحفاوة به واستفهمت عن السبب فقبل لي انه انقذ المدينة  
باسرها من أعدائها وفدى بلاده بنفسه وذلك انه لما كانت  
الحرب بين النمساويين واليطاليين اتفق ان أهل أوستريا فازوا  
على أهل تورينو والزموا جنودهم الفرار واحتلوا قلعتهم فلما  
ينتقم هذا الجندي من أعدائه ويأخذ بثأر وطنه أختبأ في  
مخزن البارود (الجحانة) ثم أوقع فيه النار فطارت القلعة بمن  
فيها وهلك هو وجميع الجنود النمساويين وقد كانوا اعتقلوا بها  
وكان الرجل أول من مات ولكنه انقذ حياة بني وطنه أجمعين  
أما الميادين في باريس فكلها في غاية الجمال ونهاية النظافة  
تحف بها المباني الخظيرة والقصور الجسمية ويبلغ عددها نحو  
الستين ولكن بالمقابلة وحفظ النسبة أقول ان الميادين العمومية  
في فلورانس أكثر منها في باريس وقد رأيت أيضا كثيرا من  
الزهريات المربعة (واسمها بالانجليزية سكوير لفظ انكليزي لانها  
من خصوصيات المدائن الانكليزية) ولها في مصر نظائر مثل التي  
في رحبة عابدين والعتبة الخضراء وميدان الاوبرا وغير ذلك وكلها  
مزودة بالتماثيل والفساق والازهار والشجيرات الغريبة والاعشاب

النضيرة وهي محطة العناية التامة من ديوان البلدية لانها تساعد  
مثل الميادين على اصلاح الهواء وترويح النفوس وعددها ٢٥  
زهريه

أما الارصفة والقناطر التي على نهر السين فهي من أهم  
المتزمات وجميع الارصفة مبنية بحجر الاستور ولها برازيق  
ودرابزونات عليها كثير من صنابير الخشب هي مخازر لبائعي  
الكتب القديمة ومنسوقى كتب (اللقطة) ولقد استغرقت منى  
هذه الارصفة ساعات طويلة في أغاب أياي واشترت منها كتب  
كثيرة بأثمان زهيدة وعدد الارصفة ٣٦ وأغلبها عليه أشجار ظليلة  
وأما القناطر فعدتها ٢٨ ومنها ما هو مبني بالحجر ومنها ما هو مركب  
من الحديد وعلى بعضها تماثيل فوق سطحها أو على أساطينها  
ومن المعلوم ان نهر السين يحترق بباريس كهية قوس يبلغ طوله  
١٢٠٠٠ متر إا قليلا فتكون المسافة المتوسطة بين كل قنطرة  
والثانية نحو ٤٢٧ مترا تقريبا وأحسن وقت لرؤية هذه القناطر  
هو الليل اذ تكون مضاءة هي والارصفة بالمصابيح المختلفة  
الالوان وترسل النور على صفحات النهر فتكون كذهب الاصيل  
على بلجين الماء

المطبعة الاهلية وبنك فرانس او بنك الرهونات

لا يمكن زيارة هذه المطبعة الا في يوم الخميس الساعة ٢ بعد الظهر بالضبط بعد الاستحصال على تذكرة خصوصية من المدير واذا حضر الزائر بعد الميعات المحدد لا يجوز له الدخول وقد طفتها ورأيت أعمالها الجسيمة وعمالها العديدين الذين يزيدون على ١٢٠٠ ذكورا واناثا يقومون بكافة ما تستلزمه صناعات الكتب من سبك الحروف الى تجليد الكتب ونقش الفوتوغرافيه والرسوم على الاججار وفي المطبعة ٢٨٨ نوعا من الحروف منها ١٥٣ خاصة باللغات الاجنبية وبواسطتها يتيسر لها طبع كتب بثمانية وخمسين لسانا شرقيا وقد ظهر فيها من الكتب والرسائل العربية أصلا وترجمة ما يكاد يكون مجهولا في بلادنا وفي فنائها تماثل لجوتنبرج مخترع الطبع

أما بنك فرنسا فيكاد يضارع مثيله في انكثرة ولقراطيسه ثقة عامة في جميع انحاء المسكونة وقد تزيد قيمتها في بلاد كثيرة من أوروبا وأمريكا ومن أهم ما يستوقف الانظار به بهو الذهب وهو عبارة عن قاعة طويلة مزخرفة بنقوش مذهبة وأخشاب مصنوعة باتقان واجادة وقد كانت بالقصر الذي هو فيه الآن



أيام كان سكا لبعض أفراد العائلة الملوكية فاباها البنك على حالها بل أجرى فيها ترميمات تزيد نفقتها عن المليونين من الفرنكات وهي معدة لاجتماع المساهمين في بعض أيام من السنة فقط أما بنك الرهونات فتعريب اسمه الفرنسي هو جيل التقوى وله فروع ونظائر في جميع أقطار الأرض وفي اسمه العربي دلالة كافية على ما يتعاطاه من الأعمال وفي كل سنة يباشر جدا عموميا على الامتعة والجواهر والسندات والقراطين المالية المرهونة فيه منذ سنوات عديدة وفي هذه السنة حصلت هذه العملية المهمة ومن جملة الغرائب التي تدوّنت في قائمة الجرد ستارة مضى عليها فيه اثنتان وعشرون سنة وصاحبها يجدد الرهن في كل سنة وهذا الامر ليس في شيء من الغرابة بجانب مطرية مرهونة فيه منذ سنة ١٨٤٩ على مبلغ ٦ فرنكات وقد أربت فوائد هذا المبلغ على ثلاثين فرنكا فتأمل

---

الاسواق والمطاعم ومعارض الصناعة

والزراعة ونحو ذلك

أسواق المؤنة المركزية في هذه المدينة تشغل مسطحا من

الارض قدره ٧٠,٠٠٠ متر مربع وقد كان وضع أول حجر منها في سنة ١٨٥١ وهى عبارة عن كشكات من الحديد ليس الا يعاوها سطح من التوتيا وتحتها سراديب فيها مخازن وسكة حديدية ستصل عما قليل بسكة حزام العاصمة وفي كل كشك ٥٢٠ دكانا وعدد الكشكات الموجودة الآن ١٠ وقد قدروا نفقات هذا العمل الجسيم بستين مليوناً من الفرنكات وقد استخدموا الكهرباء في اضاءتها بالليل منذ سنة ١٨٩١ ويوجد في جميع أقسام باريس أسواق مؤنة ثانوية منظمة على نسق الاسواق المركزية وأحسن وقت لزيارتها ورؤية حركتها هو وقت التمون أى في بكرة النهار قبل طلوع الشمس وضمف الى ذلك أسواق الازهار وهى تزيد على الخمسة وأسواق الاطيار وسوق الكلاب وسوق الخلود وسوق الخيول وسوق العلف وسوق البهائم (وله اتصال بالمذابح) وسوق التميل (الهيكل) وهو في يد قومبانية ومسطحة ١٤١١٠ أمتار وفيه ٢٤٠٠ دكان تباع فيها جميع الاصناف

أما المطاعم المعروفة باللوكاندا فهى كثيرة جداً ومنها ما يكون الاكل فيه بمن محدود أو بحسب قيمة كل صنف على حدته ومنها ما قد تبلغ الغدوة والعشوة فيه ثلاثين وأربعين وخمسين

ومائة فرنك ومنها مالا يتجاوز الاكلة فيه ثلاث فرنكات أو اثنتين  
بل وأقل من ذلك وأغلبها مزخرفة مضادة بالكهرباء وفي كثير منها  
خلايا منعزلة يدخلها الرجال مع بعض النساء ومنها ما هو مخصص  
لصنف واحد من المأكولات وبعضها يكون مفتوحا طول الليل  
وغير ذلك وأغلب القهواى ومشارب الجمعة (البيرايات) والحجرات  
تقدم الزاد لمن أراد والذي ينبغي ذكره بنوع التخصيص في هذا  
الباب هو مطاعم دو فال فقد بلغنى ان هذا الرجل كان قصابا  
(جزارا) ثم كانت تتأخر عنده اللعوم فيبيعها بأبخس الأثمان  
أولا ليجد لتصرفها من سبيل نخطر على باله أن يتخذ مطعما يشوى  
فيه هذه اللعوم ويبيعها بثمن بخس للآكين فشرع في العمل  
وأقبل عليه الدهر فتوسع في هذا الموضوع حتى صارت مطاعمه  
مقصودة من العامة والخاصة يتقاطر عليها الاكابر والاصاغر  
وذلك لبخس الأثمان وزيادة العناية وجودة المأكولات مع زخرفة  
الاماكن وازائها بالكهرباء وادارة هذه المطاعم الآن في يد  
قومبانية من المساهمين وقد بلغ عددها في أول يناير سنة ١٨٩٢  
٢٦ خلاف فندقين كبيرين وخلاف المخازن العمومية ومعمل الفطير  
والمغسل ومخازن الانبذة وعددها أربعة منها واحد في بورديو وخلاف  
دكاكين الجزيرة في ثلاثة شوارع واذا توجه الانسان الى مطعم من



هذه المطاعم في وقت الظهر أو بعد المغرب رأى منظرا غريبا اذ يرى  
كثاب الخادمين مسرعين مهرولين وجيوش الاكابر متسددقين  
ماضغين بالعين مع المواظبة على الشرب الحلال والحرام والداخلين  
أكثر من الخارجين ويكون المكان بهذه الخلائق المتموجة أشبه  
باحد سوارع لوندرة وعلى ذكر لوندرة أقول اننى أتعجب كل العجب  
من عدم محجى هذه الفكرة لرجل من أبناء بريطانيا العظمى  
فانها أشبه بما صنعه كوك وهويتلى وغيرهما والاغرب من ذلك  
انه لم يقم للان رجل من الانكليز بميل يضارع هذه المطاعم في  
« موسوعات الدنيا » بل قد نسجت قومبانية باريسية أخرى على  
منوال دوفال وأنشأت أربعة مطاعم وفندقا بقهوة ومطعم فى أهم  
شوارع باريس ودروها وهى وان كانت فى درجة من الرفاهية  
وحسن الحال لكنها لا تضاهى نجاح مطاعم دوفال - والعادة فى هذا  
النوع من المطاعم أن يعطى للانسان عند دخوله قائمة مطبوعة  
ففى الاثمان فقط ومتى طلب صنفا أشر الخادم أمام الثمن المقرر  
له حتى اذا فرغ الاكل توجه بهذه القائمة الى أمين الصندوق  
وأنتقه المطلوب ثم ردها عند الخروج للعامل الذى أعطاها له عند  
الدخول

أما معارض الصناعة فلها فيما أرى غايتان أولاهما تنشيط

الصناع وحثهم على التفتن والاختراع وثانيتها تعريف الاهالى بما  
ينجم عن ذلك من الفائدة والاقتصاد والحصول على أمور قد تطلبها  
النفوس من غير أن يقدر اللسان على التعبير عنها لعدم سابقه  
العلم بها ولذلك أنشأت مدينة باريس كشكا على حافة نهر السين  
يعرف باسمها وتأتى الجمعيات الحرفية والطوائف الصناعية لعرض  
مصنوعاتها فيه والمباراة لحياسة شهادات الشرف ووسامات الافتخار  
من أعضاء مجلس المحلفين الخبيرين المعينين لكل نوع واتفق  
انه فى اثناء وجودى بباريس كان الدور لمتعاطى صناعة لحم  
الخنزير فتوجهت الى الكشك حبا بالاستطلاع ورأيت فيه  
الموسيقى العسكرية تصدح بالخانها المطربة وأعمال الصناع  
معروضة على الانظار بتأنق وتجميل بحيث كانت تستوجب إعجاب  
القوم ونسبتدى شهيتهم فينظرون اليها نظرا متواليا ويالعون  
ريقهم ثم يقصدون الحانات فتعياطون المشروبات فكأنهم  
حينما أطربتهم نعمات الموسيقى تصوروا انهم أكلوا من هذا  
الصنف المستطاب لهم ورأوا من الواجب اتمام القصف بمعاقرة  
بنت الكرم وسأتكلم فيما بعد على هذا المعرض بتفصيل يشقى  
الغليل - ثم جاء الدور للطحانيين فافتتح مؤتمرهم باحتفال عظيم  
كان رئيسه وزير التجارة ومعه كثير من كبار الموظفين فى نظارته

ورئيس جمعية الطحانين بفرنسا - ثم معرض جمعية المشتغلين  
بتربية الازهار ثم معرض دولى للاطيار ثم غير ذلك من المعارض  
التي لايسعنى سردها الآن وكلها تجدد فى كل عام مع زيادة فى  
التفنن والاعراب - وكل واحد من هذه المعارض يتبدى  
باحفالات باهرة وينتهى بولائم فاخرة

ضواحي باريس

لا تخلو عاصمة من ضواحي يقصدها أهل الثروة وطالبو النزاهة  
لترويح النفس من ضواحي المداثن الكبيرة ولكنى لم أزر من  
ضواحي باريس سوى فنسن وفرساي فأمام مدينة فنسن (وسكانها  
٢٢٢,٢٧٨) فما تستحق الذكر لولا الغابة الجميلة التي بها والقلعة  
المهمة المنبوعة المعروفة باسمها وقد زرت هذه القلعة بتصريح  
خصوصى ورأيت غرف التعذيب وآلات العذاب والمكان الشاهق  
الذى هرب منه الدوك دوفور وقتاة السين التي كانت ترمى بها  
جثة المعذب بعد ان يسقى كأس الحمام وغرفة سجن بها أحد  
القساوسة ٧ سنوات وأخرى اعتقل فيها أحد الكرادلة ٧  
شهور ولكن ذلك كله أصبح أثرًا بعد عين وصار كاذبة مانحة  
لاعمل لها حتى انهم قد سدوا فوهة البئر الموصل لقناة السين وقد



يبلغ غلط الحائط في أعالي هذه القلعة ثلاثة أمتار ورأيت خزائن  
السلاح ولكنها ليست شياً مذكورا بجانب ما رأيت في برج  
لوندرة وحصن دو فر من أعمال انكلترة وأما الغابة ومنزهاتها  
وبحيراتها وجزائرها وخلوها فساتكم عليها في الرحلة مع الاماع  
بشيء الى غابة بولونيا والبوت شومون وغير ذلك

أما قصر فرساي فقد كان مقر ملوك فرنسا وهو في منتهى الجلالة  
والفخامة بحيث لا يكاد يعادله شيء مما رأيت وقد حوى صور جميع  
ملوك فرنسا ومشاهيرها على الجدران والرخام والقماش وغير ذلك بغاية  
الابداع ونهاية الاتقان ومن أراد ان يتف على تاريخ فرنسا في  
سويغات قليلة فما عليه الآن يتظر الرسوم التي أزدانت بها غرفه  
فانه يرى فيها جميع وقائعها وأعمالها وكل ما يتعلق بتاريخها ومما  
استوقف انظارى بنوع خصوصى صورة الشيخ السادات والسيد  
البكرى والشيخ الشرفاوى وغيرهم من أكابر مصر أيام دخلها  
بونابرت وقد رأيت أسرة ملوك فرنسا وأناناتهم وأمتعته الخاصة  
بشؤونهم الداخلية ورسوما تمثل الحروب الصليبية وحروب افريقية  
والقرم وابطاليا وغير ذلك مما لا يدخل تحت حصر واحفظ لنفسى  
حق الكلام عليه وعلى الروض الابق والفساقى البديعة وعربات

الملوك التي بقصر اخر بجواره يعرف ب(التريانون) وغير ذلك مما  
يضيق عنه نطاق هذه الاوراق

أهل باريس

اف لك يا باريس وألف أف فقد أعياني فيك الوصف واضطرتني  
كثرة ما فيك من المآثر والمفاخر وتعدد المشاهد والمعاهد للاطالة  
في المقالة بما ربما يوجب الملالة والكلالة مع اني لم أعترف للقارئ  
الاقطرة من بجرئك ولم أروحه الابنفحه من زهرك ولا يزال مجال  
الكتابة واسعا امامي فسيح الجولان اقلامي ولكنني لأرى مندوحة  
عن اقفاله الان لاقتتاحه بعد القبول الى الاوطان وأختم هذه  
الرسالة بذكر كلمات عن أهلك واخلاقهم وحركتهم ونشاطهم  
وافكارهم وآرائهم فقد ان لي ان أقدمهم الى بني مصر بناء على  
ما حققته بالاختبار وعرفته بعد بعض المعاينة حتى اني لأرى  
وصفا يصدق عليهم أكثر مما قاله أحد ولاة قرطبة في أيام الاسلام  
بعد ان تخلى عن ادارتها فانه وصف أهلها بالقيام على الملوك  
والتشجيع على الولاية وقلة الرضى بامورهم كما سجل ان خفت  
عنه الحمل صاح وان أثقلت به صاح فلا يدري أين رضاه وفي ذلك  
دليل على ان أفراد الانسان مهما كانت بلادهم قاصية وعاداتهم

متباينة وطبايعهم متخالفة وأقاليهم متنوعة ومعتقداتهم متباينة  
فلاتزال في أفكارهم وحدة تجمعهم وفي نفوسهم حاجات مشتركة  
٢٢٤

وأهل باريس أكثر من رأيهم من الأمم نظرا في الفرق  
الحاصل بين أفراد الهيئة الاجتماعية فانهم يرون الوضيعين  
كثيرين والرفيعين قليلين والواصلين الى ذروة النعيم عددهم يسير  
فيقولون لم هذا الاختلاف ونحن كلنا متساوون وانباء نوع واحد  
تجمعنا راية الجمهورية وقد كتبت عليها هذه الكلمات (حرية  
- مساواة - إخاء) ولما انتشر التعليم فيما بينهم ونفذت  
أشعته بين لفيق المتساولين الحرف الدينية منهم تصور هؤلاء  
الافراد أنهم يعرفون أكثر مما يعلمون وصاروا لا يقبلون أنفسهم  
بمن هو أعلم منهم بل ينظرون الى من هم أحط في الدرجة فداخلهم  
الاجباب بنفوسهم حتى خيلت لهم الخيلاء أنهم أهل للكلام في  
كل موضوع وان لهم الحق في الحل والعقد في جميع المسائل  
على اختلاف طبقاتها وأخذوا يجاهرون باللوم والتأنيب ويقولون  
انهم لو كانت الامور بأيديهم لكانت مساعيتهم أحمد عاقبة وأعمالهم  
أتم فائدة ولذلك تشعبت أفكارهم وكثرت مقالاتهم في حل المسئلة  
الاجتماعية وترتيب نظام الجمعية البشرية على أسلوب نبي بجميع



الحاجات فيقول فريق منهم (اننا لانطلب شيئاً ما من أحداً  
ولاحاجة لنا بكائن من كان فلماذا لا يتركنا الغير نعيش ممنعين  
بالحرية راتعين في مجبوحه الاستقلال . أليس من المستغربات  
الزامنا بدفع الضرائب والغرامات من المال الذي جعناه بكدنا  
وسعيينا بحجة القيام بتدقات يسمونها عمومية وهي لاتهمنا  
ولا تعيننا . أليس ان ما نكسبه بعرق جبيننا ملك حلال لنا  
فلماذا يضطرنا الغير لبذله في إغناء الغير) ويقوم فريق آخر  
بعضده ويقول (ليت شعري هل كتب علينا التعب والنصب  
لاجل ان نحمل ثمره اتعابنا الى مأمور التحصيل لاغناء المميزين  
وهم عدد قليل لعمرى انه لاحاجة لنا في ان يتحلى رئيس الشرطة  
وصاحب العسس بالشرطة من القصب والذهب أو ان يكون  
لخضرة المدير عربات تجرها الجياد الصافنات) فيقوم فريق آخر ويقول  
(اننى لأكثر الندب على المال فانه لامراء ان رئيس الشرطة  
وصاحب العسس لا يمكنهما ان يتفرغا للزراعة والصناعة بينهما  
آخذان في تعقب اللصوص وقطع دابر قطاع الطريق ولذلك فانه  
ينبغي لنا ان نكسوهم ومن رأبى ان شرائط القصب والذهب  
ليست من الزيادات والنوافل لانها تحدث الهيبة ولألوم المدير  
على اتخاذ الخيول فانه يجب عليه قطع المسافات الطويلة لتنفقد

أحوال مديريته ولكن الذي لا يمكنني ان أحمله أو أراضى به هوان  
القوم يفدون علينا في كل عام ويتزعمون منا زهرة الشبان ليدخلوهم  
في سلك الاجناد والاعوان . . . . الله الله أليس من أشنع الامور  
وأبشع الاعمال سوق أوائلك الفتيان الى سوق المذبحة الذي يسمونه  
بالحرب فلما ذا نحارب ولما ذا نضارب أليس ان الاولى ان نلبث في  
ديارنا بسلام وأمان منقطعين لحرث الارض وحمل المحصول الى  
السوق ومعاملة كافة الناس بالتي هي أحسن) فيقوم فريق آخر  
ويقول (نعمت هذه الافكار وباجد هذا الرأي لو كانت الناس  
كلهم عقلاء وقائمين برفع منار العدل فيما بينهم . قولوا الحق  
أفلو اعتدى جاركم على قيراط من أرضكم أمانتقوم القيامة لعمري  
أنكم تشرعون الاسنة وتفضى بكم الحال الى اهراق الدماء ألا نمت  
الحرفة حرفة الجندي يزود عن حياض وطنه ويحمي أهل بلده  
فان ذلك من أوجب الواجبات اذ من المنازعات ما لا يجدي فيها  
التسليم بل التسليم ومنها لا ينجح فيها الأذاع الا اذا صاح بافواه  
المدافع) ثم تشعب أفكار كل فريق ويستحسن بعضهم ما يقبحه  
الآخر ويأتى هذا ببعض التعديل وذلك بشئ من التبديل  
ولهم مثل ذلك فيما يتعلق بالنواب عن البلاد فيقول بعضهم  
(اننى لأرى الفائدة التي تعود علينا من اختيار رجل يذهب الى

مجلس النواب لينوب عنا وليشتغل بمصالح البلاد وذلك لوجوه  
أولها أننا نجري في هذا الانتخاب كالعلماء الذين لا يهتمون  
إلى الطريق فإن القوم يقولون لنا هذا الرجل يصلح وذلك الرجل  
لا يصلح ونحن نجهل حقيقة الاثنين في أغلب الاحوال وكل منهما  
يشنف أسماعنا بما يخرج من وطابه من مستعذب المقال وبعدها  
بأنه يوصلنا إلى تمام السعادة ولكن أين منا الماسر الذي يقدر  
على تمييز البواطن من الظواهر وتعرف الخبيث من الطيب فإني إذا  
توجهت إلى السوق أقدر على تمييز الحبوب الجيدة والاشمار  
الصالحة ولكنني أقول الحق أنني في اختيار النائب لا أعرف ماذا أنا  
صانع ولا أقدر أحكم عليه مثل حكمي على غيره من الأشياء التي  
لي بها تمام الخبرة فإن حضرة شيخ البلد (أمين المدينة) يوزع  
علينا قوائم الانتخاب ويقول لنا ان فلان هو الحائز لكافة  
الاصناف اللازمة وينبغي انتخابه ومن رأيي ان ينفرد أمناء المدن  
بعملية الانتخاب فإن رأيهم هو الغالب وحينئذ يتم هذا الامر في  
وقت قصير وفي اختصار الزمن فائدة عظيمة) فيقول فريق آخر  
(متى يحجز الانسان لاي سبب من الاسباب عن مباشرة شؤونه  
بنفسه فالواجب عليه أن ينيظ واحدا غيره يختاره لها فإذا لم يكن



عنده من المعلومات ما يكفي لهذا الانتخاب يجب عليه الاسترشاد  
برأى حكيم ناصح يثق بقوله ويعول على رأيه وحينئذ يكون له يد  
في ادارة أحوال بلاده ويدخله السرور بأن له كلمة معدودة وصوت  
معتبر) فيقول فريق آخر (كل ذلك حسن ولكني أرى ان أمور  
البلاد وادارة شؤونها تصلح كثيرا اذا كانت في يد رجل واحدا يحكمها  
بحسب ما أوتي من الحكمة فانه متى كان الخاكم واحدا كانت  
مصالحته الشخصية أكبر قاض عليه في ادارة الامة على أكمل  
منوال حتى يتقرب اليها ويتحجب منها ومن المقرر الذي لا يختلف  
فيه اثنان غرق السفينة التي فيها ريسان وقد رأيت في بعض  
الايام عربية يجبرها ستة من الافراس قد ارتبكت في طريق كثر  
وحمل له ووعثاؤه فتقدم لانقاذها كثير من الناس وبعضهم يدفع  
العربة ذات اليمين وآخر ذات اليسار وبعضهم يشدها من الخلف  
بينما نفر يجرونها من الامام ويجيء جماعة فيفوقون السباط على  
الخيول وهي لاتزداد الا حرا وتعاصيا وفي أثناء ذلك تزداد العربة  
غوصا في الوحل وارتطاما ولما رأى سائق العربة هـذه الحالة  
أبعد جميع هؤلاء الناصحين الغير ناصحين ونظم خيوله بجانب بعضها  
ثم استوى على كرسيه وهمهم على الخيل من غير أن يرفع عليها  
سوطه فعرفت صوته وجعت قواها ثم نهضت بحملها الثقيل نهضة

واحدة استخلصت العربية من الاحوال وسارت تركض بها في  
أحسن حال فهكذا تكون ادارة الاعمال) فيقوم فريق آخر ويقول  
(انما أفلح سائق العربية لمهارته وحسن ادارته ومعرفة بمهنته  
ولان خيوله كانت قادرة على جرحلها والا لو كان فوق طاقتها  
لما قدرت أن تقوم به أبدا ولكن الرجل لو كان غير كفؤ لوظيفته  
لاشك انه كان يعتبر نفسه سعيدا من وجود ناصحين له صادقين في  
خدمته يعاونونه على الخروج من مثل هذه الورطة بسلام بل ربما كان  
يشكر العناية الصمدانية اذا كانت قبضت له في مثل هذه الحال  
وجلا أقدرمته على قيادة العربية وخيولها فكان يلقي اليه بالزمام  
ليتعلم منه كيف تكون الادارة في المسالك الحرجية والمواقف  
الوعرة ولو كانت خيوله لا قبل لها بجرح العربية فهل كان يرفض  
نصيحة العقلاء الذين يشيرون عليه بتخفيف الحمل أو تهيد الطريق  
امام العجلات وازالة ما يعترضها من الاججار والموانع الاخرى فلذلك  
لا ينبغي الاستخفاف بالمشورة فان من انفرد برأيه زل ومن استغنى  
بعقله ضل وما خاب من استخار ولاندم من استشار)

هذا مثال من ألف مثال مما رأيت من حركة الافكار  
ولأود الاطالة بشرح أفكار القوم في المسئلة الاجتماعية

وهيجانهم الى درجة لا يتصورها العقل وسأشرح ذلك في الرحلة  
بالتفصيل وأطلع قومي على غرائب هؤلاء الاقوام والله المستعان

### الرسالة الاخيرة من الرسائل المؤتمرية

(وداع باريزود كرايندلسن والبرتقال

وجه الاجمال)

من غرناطة في يوم الاثنين المبارك ٥ رجب الفرد سنة

١٣١٠ - ٢٣ يناير سنة ٩٣

قضت فواميس الكون الانساني ونظامات الوجود العراني وداع باريس  
بان دوام الحال من المحال وانه لا بد من الفراق مهما طال التلاق  
وان لكل اجتماع انقطاعا ولكل اتصال انفصالا تلك سنة الله في  
خلقه جيلا فجيلا ولن نجد لسنة الله تبديلا  
أطلت المقام في باريز الى ما بعد الميقات الذي كنت ضربه  
لبراحها بايام كثيرة فاني كنت كلما عزمت على السفر رأيت وجوب  
التأجيل وعدم التعميل لمناظرة بعض الثار أو لشهود أنواع من  
الاحتفال أو غير ذلك مما يستوقف الراحل ويستغرق الاوقات  
ويحبس السائر عن عدوه ويحخرس الطائر المنفصح بشده فكم  
فيها من مسارح تنضح بها الجوانح ومحاسن يشغل بها عن وكره



الساخ ومطارح تطرح ذكر الوطن من ذاكرة الساخ حتى  
اعتراى الكلال والملال من كسرة مارأيت وما سمعت وصرت  
أترقب الفرص لتيسر الخروج من هذه الدار كما دخلتها بسلام  
فيسر الله الاسباب وفتح الابواب فودعتها فى منتصف ليلة ١٩  
الى ٢٠ نوفمبر سنة ٩٢ ورحلت عن هذه الاربا المتالقة والروح  
بها وبمن فيها متعلقة ثم سار القطار ينهب الارض نهبا ويقطع  
الغيا فى فدفا بعد فدفا ومر على كثير من مدائن فرنسا العامرة  
مثل توروهى مشهورة باعتدال اللسان الفرنسوى وصفاء اللغة  
حتى ان أكثر الطالبين لا بد لهم من الإقامة فيها شهورا طويلة  
لترسخ فيهم ملكته التى لاتشوبها ادنى شائبة ومثل انجوليم  
المذكورة فى كتب العرب باسم انقلزم ومثل بوردو المشهورة  
تغنى عن وصفها وقد سماها العرب بحسب التسمية اللاتينية  
برديل وبردال (وبالذال المعجمة فى كلتا اللفظتين)

وكان بودى أن أقف بكل من هذه المدائن الثلاث بضعة أيام  
ولكن وقتى لم يكن يسمح لى بانالة نفسى هذه الامانى ولم أصل  
الى تخوم اسبانيا الا بعد أن أمضيت فى القطار مدة أربع  
وعشرين ساعة لم تكتمل فيها عينى بأعد الكرى حتى أجهدى  
السير وأضناني السرى ولكننى تجددت فى القوى حينما شممت

عبير الاندلس واستنشقت نفحاته وتمتعت بالنظر الى صافي سمائه  
وقد ترصعت بالدرارى كما هو الشأن فى بلادى وأرض مهادى  
بخلاف ما كنت قد اعتدت عليه فى انكلترا وباريز من كدورة  
الجو وغم السماء وتوالى الغيوم وتعاقب الامطار فصرت اسامر  
بدر السماء واطارح النكواكب الحديث واشكو اليها ملاقيته فى  
غربتى واطيل النظر اليها حتى لقد كان

يخيل لى ان سمر الشهب فى الدجى \* وشدت باهدابى اليها اجفانى

وحيث شطعت مع تيار الافكار وليكنى ما لبثت ان انقبض  
صدرى وعلتنى الكآبة وتولانى الازعاج اذ أحاطت بى جيوش  
من اللوعة والاسف والحسرة واللهف لاننى تفكرت ماناله الاسلام  
من العز والاقترار فى هاتيك الديار أيام كانت تحفق فوق الاندلس  
اعلامه وتجول فيه أقوامه ناشرة ألوية الفخار والحضارة رافعة  
رايات المجد والكرامة أيام كانت المآذن قائمة على أعاليه  
وروايه تشق أكباد السحاب ويرتفع منها صوت المؤذن  
الى عنان السماء فتخشع القلوب وتغنو الوجوه لذكر الحى القيوم  
أيام كانت المساجد عامرة بجماعات الموحدين القائتين وربوع  
العلم زاهرة زاهية بالدارسين والمدرسين أيام كان التمدن العربى

بأساطير بساطه من اطرافه الى اطرافه والمرودة والشهامة ساريين  
في جسمانه أيام كانت خلافة المغرب تفوق مناظرتها في المشرق  
بما احتاطت به من أسباب البذخ والعظمة والعرفان حتى كانت  
ملوك أوروبا تتزلف الى الخلفاء وتلتبس رعايتهم وحمائهم أيام نبغ  
العلماء والمخترعون والمكتشفون الذين افادوا العالم باجمعه ورفعوا  
كلمة الاسلام وجاؤا باقوم برهان على ان الدين الحنيف يساعد  
بكلياته وجزئياته على البحث في اسرار الطبيعة وانه يحض على  
اقتناء ثمرات المعارف بجميع أنواعها ومطالبتها (ومارلنا الى الآن  
نقتبس أنوار الهدى من مؤلفاتهم القليلة التي استبقتهما الصدفة فحبت  
من التبديد والتمزيق وسأشير الى بعضها في الرحلة)  
وقد اشتد لي الوجد والوله حتى عدت التعبير وناب عقلي وما  
ابصرت نفسي والالساني يتدفع بتريدي بعض أبيات من القصيدة  
المشهورة التي نظمها أبو البقاء الرندي في رثاء الاندلس وقد ترجمت  
نثرا ونظما الى اللغة الالمانية والفرنساوية والاسبانية وغيرها  
وكنت أكثر من ذكرى هذه الابيات بحسب ورودها على لساني  
لكل شيء اذا ماتم نقصه — ان \* فلا يغرب طيب العيش انسان  
هي الامور كما شاهدتها دول \* من سره زم من ساءته أزمان  
وهذه الدار لا تبقى على أحد \* ولا يدوم على حال لها شان  
بخائع الدهر أنواع منوعة \* ولا زمان مسرات وأحزان



وللحوادث سلوان يسهلها \* وما لما حل بالاسلام سلوان  
دهى الجزيرة أمر لاعزاز له \* هوى له أحد وانهد نهلان  
أصابها العين في الاسلام فارتأت \* حتى خلت منه أقطار وبلدان  
فاسأل بلنسية ماشان مرسية \* وأين شاطبة أم أين جيمان  
وأين قرطبة دار العلوم فكم \* من عالم قد سما فيها المشان  
وأين حصص وما تحويه من نزه \* ونهرها العذب فياض وملان  
قواعد كن أركان البلاد فما \* عسى البقاء اذ الم تبتق أركان  
أتى على الكل أمر لا مرد له \* حتى قضاو فكان القوم ما كانوا  
وصار ما كان من ملك ومن ملك \* كما حكي عن خيال الطيف وسنان  
تلك المصيبة أنست ما تقدمها \* وما لها مع طول الدهر نسيان  
تبكى الخفيفة البيضاء من أسف \* كما بكى لفراق الالف هيمان  
على ديار من الاسلام خالية \* قد أقفرت ولها بالكفر عمران  
حيث المساجد قد صارت كائس ما \* فيهن الا نواقيس وصلبان  
حتى المحاريب تبكى وهي جامدة \* حتى المنابر ترثي وهي عيبدان  
يا غافلا وله في الدهر موعظة \* ان كنت في سنة فالدهر يقظان  
وما شيا مر حيا لهيه موطنه \* أبعد حص لعز المرء أو طان  
يارا كبين عتاق الخيل ضامرة \* كأنها في مجال السبق عقبان  
وحاملين سيوف الهند مرهفة \* كأنها في منار النقع نيران

وراء العين وراء البحر في دعوة \* لهم يا واطانهم عز و سلطان  
 أعز دكم نبأ من أهل أندلس \* فقد سرى بحديث القوم ركبان  
 كم يستغيث بنو المستضعفين وهم \* اسرى وقتلى فبايهم ترانسان  
 ماذا التقاطع في الاسلام بينكم \* وأنتم يا عباد الله اخوان  
 أالانفوس أبايات اهاهم \* اما على الخـ ير انصار واعوان  
 يا من لذلة قوم بعد عزهم \* أحال حالهم جور و طغيان  
 بالامس كانوا ملوكا في منازلهم \* واليوم هم في بلاد الكفر عبدان  
 فلوتراهم حيارى لادليل لهم \* عليهم من ثياب الذل ألوان  
 ولورأيت بكاهم حين يبعهم \* لهالك الامر واستوتك احزان  
 يارب أم و طفل حبل بينهما \* كما تفرق أرواح وأبدان  
 لمثل هذا يذوب القلب من كمد \* ان كان في القلب اسلام و ايمان

استمرار وصرت أردده هذه الابيات وغيرها حتى وصلت مدينة ايرون Irun

المسرة

أول تخوم اسبانيا من الشمال فنزلت بها وقد انتصف الليل وما  
 صدقت الوصول الى الفندق حتى اضطجعت على الفراش طلبا  
 للراحة الضرورية ولبنت به على خلاف عادتي الى أن قرب الظهر  
 ولم أستيقظ الا على جلبة الاطفال وصياحهم في اعينهم ولهوهم  
 بترنيمات تكاد تنطبق على وزن هذين البيتين

شرد النوم عن جفونك وانظر \* حكمة توظف النفوس النياما

فخرام على امرى لم يشاهد \* حكمة الله ان يذوق المناما  
فقت فزعا مرعوبا وأنا أقول أين هذه الحكمة ولماذا ورد هذا  
البيت على خاطرى مع ان القصائد التي من بحره كثيرة ثم تذكرت  
ان السبب في ذلك ما كنت فيه بالامس فهرعت الى الخروج لانظر  
البلد وما فيه وما حواليه فرأيت المباني والنوافذ والاسطحة تشبه  
ما عهدته طول عمرى في مصر وكذلك الحارات والزقاق وغير ذلك  
وقد كنت وأنا في باريز درست نحو اللغة الاسبانية للاستعانة على معرفة النحو  
مخاطبة القوم ومبادلة أفكارى معهم مباشرة ولكنى لما حضرت لانتقى  
ايرون وتكلمت مع أصحاب الفندق وخصوصا مع الدليل تحقق لى  
ان درس النحو شئ ومعرفة اللسان شئ آخر وحينئذ زال ما كنت  
أجده من الغرابة من كون بعض الناس يقضون سنين طويلة  
مديدة في درس النحو بجميع فروعه ثم هم لا يعرفون من العربية  
سوى هذه الآلة

وأقول الحق انى لما رأيت اضطرارى لمخاطبة القوم ساعة احتباك الخيرة  
بالايطالية وتارة بالفرنساوية وغالبا باللغة الاشارية التي يفهمها  
جميع أصناف بنى آدم تراخت عزيمتى وثبطت همتى وهممت  
بالرجوع من حيث أتيت وخصوصا لما كان يقوم بفكرى  
من ان أهل الاندلس الآن أشد أهل الارض تعصبا على المسلمين

والهوس  
بالوطن



وكرهاسة للعرب وجفوة للغريب مع ما هم فيه من الهرج الدائم  
على حكومتهم مما كنت قرأته حديثا في التلغرافات وانا في باريز  
فضلا عما رأيته في كتب السياحات من التشنيع عليهم وتخويف  
الغريب من الدخول الى ديارهم ولما كان حب البقاء طبيعة في  
الانسان وان الحياة غالية خصوصا عند الوشوك على الوقوع في  
الخطر مع اشتداد الحنين بل الوله بالرجوع الى الوطن بعد طول  
الغيبه كادت هذه الافكار واضرابها تفوز على ما عندي من الشوق  
لرؤية هذه البلاد الجميله وتعهده بقايا العرب فيها فتمذكرت حينئذ  
على التغلب على الصعوبه المثل السائر (من لم يركب الاهوال لم ينل الرغائب) وانشدت  
على نفسى لاجياء مائت قوتى قول الشاعر

ان كنت تطلب عزافا تدرع تعباً \* أوفارض بالذل واخترراحة البدن  
فوجدت في عوامل القوى وانبعثت في جسمانى روح النشاط  
وتذكرت انى أكون أول من زار جميع الاندلس من المسلمين  
والمصر بين خصوصا من ابناء هذا الجيل وكتب ماراه فيها وقارن  
بين حالتها وفي ذلك نخر عظيم

ومن يجد الطريق الى المعان \* فلا يذر المطى بلا سنام  
ولذلك نوكت على الله وقت من ابرون الى فنترابيا Fontarabiala  
الى سان سيبستيان San Sebastian الى بنبلونه Pamplona  
ريادة بعض المدن

وتسمى في قليل من كتابات العرب بمقلونة وقد حكىها المسلمون انثى عشرة  
سنة فقط وهي أنظف مدينة رأيتها وجميع شوارعها وحاتها وأزقتها

تضاء بالنور الكهربائي ثم إلى سرقسطة (Saragoza) وقد <sup>مدينة</sup> <sup>سرقسطة</sup> <sup>والجمعية العلمية</sup>

نزلنا بها نبعي المقام ثلاثة \* فطابت لنا حتى أقنابها عشرًا  
فأثني النيت بها من كرم أهلها وحسن مجاملتهم وكريم توددهم  
ما كاد ينسني الأخوان وقد اطلمت فيها على كتب عربية نادرة  
جدًا وتعلمت فيها الكلام الأسباني

ثم ان جمعية العلوم الشرعية والادبية - Academia Juridico-literaria  
عينتني عضوا افتخاريا بها واحتفلات بي احتفالا فائقا  
وعقدت جلسة مخصوصة لاستقبالى بغاية التكريم والترحيب فجلت  
ان أدخل بينهم خالي اليدين لا أقدم لهم موضوعا في هذه الحفلة المهمة  
والهمنى الله ان أكتب لهم خطبة باللغة الفرنسية على مدينتهم  
في أيام العرب فاستعنت ببعض الكتب القليلة التي وجدتها عند  
المستغلين بالعربية من اساتذتها وبعض ما عن بالخاطر وقدمت لهم  
خطبة في صحيفة من الورق الكبير المعروف بالنولسكاب المستعمل  
في الدواوين وقد رقت لديهم حتى طنطنت الجرائد بها وذكرت  
هذا الاحتفال بالفاظ التجميل والاجلال وقد أرسلت نسخا من  
هذه الجرائد الى العاصمة لبعض اصدقائى وقد ترجم كثير منها

خطبتى الى اللغة الاسبانية على ما علمته بعد قيامى من سرقسطة  
وان الجمعية شرعت فى طبعتها فى مجموعتها وقد أتخفتنى أكثر  
المؤلفين والعلماء بكتب كثيرة من تأليفهم وخلصه القول ان  
هذا اليوم كان من أسعد أوفاتى وانى أجد الله على هذا التوفيق  
الذى مكنتنى من تشرىف اسم بلادى وقد أجابوا على خطبتى  
بالاسبانية والفرنساوية والعربية والاطليانية والسبب فى ذلك  
انه قد اتفق فى بعض الايام انعقاد جلسة الجمعية الشهرية  
فدعانى حضرة رئيسها الافتخارى وهو العلامة پابلو خيل  
D. Pablo Gil مقدم الاساتذة فى المدرسة العالية للفلسفة  
والاداب لان أزورها فتوجهت بصحبته وأجلسنى على يمينه  
وبعد ان تمت أعمال الجمعية قدمنى اليها ثم دعانى لان أخطب  
عليهم بشئ مما يفتح الله به على واذلم يكن لى سابقة علم بهذا  
الامر وقفت فيهم وحييتهم بالعربية ثم خاطبتهم بالفرنسوية  
بكلام طويل ولما جلست طلبوا منى ان أتكلم بالاطليانية ففعلت  
وحيثئذ قام الرئيس الحقيقى وطلب من الجمعية تعيينى عضوا  
افتخاريا بها فاجابت بالاجماع ثم عينوا جلسة غير اعتمادية  
لاستقبالى وحيثئذ أشار على الرئيس الافتخارى بان أشكر  
الجمعية باللغة الاسبانية فامتثلت مع قلة البضاعة وكنت حينما



لأجد اللفظ المطلوب أضع مكانه كلمة طليانية أو فرنسوية ولو شئت  
ترجمة ما ذكرته الجرائد عن هذا الاحتفال لاستغرق رسالة أكبر  
من هذه الرسالة

فأما الخطبة التي أجب بها بالاسبانية الاستاذ المتضلع العلامة  
خوليان ريبيرا D. Julian Ribera فكانت كلها دررا  
وغيرا تشهد بمزيد اطلاعه على العلاقات العلمية الادبية التي كانت  
بين المشاركة وخصوصا المصريين وبين أهل الاندلس وسأورد ترجمتها  
في فرصة أخرى ويحتمل أن أورد هنا الخطبة العربية التي ألقاها أثناء  
الاحتفال أحد اعضاء الجمعية وهو الدون سان پيو D. San Pio  
الذي تلقيت عليه اللغة الاسبانية وهاهي بنصها الفائق

« بالنيابة عن جميع اخواني سلام عليك يا أيها العلامة المصري »  
« أحمد زكي أفندي بودي أن ألقى الآن خطبة ولكني مثل »  
« أيوب قد ازدحت على الافكار وقد دعاني اخواني أن أقول شيئا »  
« بلغتك الفصحى فاقصر على ايراد بعض جل من الكتاب المقدس »  
« يخرجك الرب الى مصر في سفن واذا كر ما لاقيته في هذه »  
« المدينة والقادر الكافي يبارك لك في السفر والاقامة والسلام »

وقد اطاعت في مكتبة الدون پابلو خيل المذكور على كتب عربية

اللغة العربية  
 الأجمية  
 الأندلسية

كثيرة وأغلبها باللغة التي يسمونها الجيامادو Aljamiado وذلك لان  
 العرب لما انقضت دولتهم بالأندلس وبقي بعضهم فيها حافظوا  
 على دينهم مع شدة الاضطهاد ولكنهم نسوا أو ألزموا باهمال اللغة  
 العربية وصارت اللغة القشتالية أي الاسبانية ملكة متوارثة  
 فيهم فكتبوا علومهم بها لكن بحروف عربية وسموها الجيامادو  
 ووجه هذه التسمية ان العرب يسمون كل ما ليس بعربي أجميا  
 وجرى على منوالهم الأندلسيون فكانوا يسمون اللغة القشتالية  
 أي الاسبانية باسم (الأجمية) ثم انتقلت هذه اللفظة الى اللغة  
 الاسبانية بغير حرف العين لعدم وجود ما يقابله في اللغات  
 الأفرنكية فصارت الكلمة مقابل هذا الصوت (الأجاميا) ولما  
 كان أهل أسبانيا يلقبون أغلب الجيمات خات كما سنبينه  
 قالوا (الأجاميا) أو (أنجيا) وسموها بحروفهم هكذا بعد ان  
 سكتوا حركة اللام (Aljamia) وعلامة النسبة عندهم do  
 يوضع في آخر الكلمة فلذلك قالوا Aljamiado أي «الأجمي»  
 واليك الشواهد على قلبهم الجيم خاء فانهم يقولون في الحمام  
 «الفاخي» وفي علم الجبر «الخبر» وفي الجص «الخيد»  
 وفي الحب بمعنى الصهرج والجايسة «الخبي» وفي الحاجة  
 بمعنى أمتعة البيت «الهاخا» وفي الجعبة «الخابا» وفي الحفنة

تحريف  
 الكلمات  
 العربية

« الخفنا » وفي الجرس « الخرد » وفي البرتقال « نارنخا »  
من قول العرب نارنج وفي محمل سجن النصارى عند عرب  
الاندلس « ساخينا » من قول العرب سجن وفي الترنجة « ترنخا »  
وفي الجوهر « الخوفر » وفي الجبة « الخوبا » وفي المنجنيق  
« المنخنيكي » وللجيفة « خيفا » وتاريخ الهجرة « هخيرا »  
وتخزير الجبل أو الخلاف « خبلي » من قول العرب جبلي \* هذه  
بعض ألفاظ علقها أثناء تلقي اللغة حتى اني لاحظت دوران هذا  
الحرف في غالب كلماتهم الافرنجية التي يكون فيها شين أو جيم  
أوسين بحيث لو سمعهم رجل من أهل المراح لاستمع من القارئ  
السماح وقال ان لغة القوم تدور على حرف الخاء

ولقد سمعتهم في بعض الاحيان يقولون الخيرا Aljecira فسألت  
عن ذلك فاعلموني بانها الجزيرة الخضراء وحينئذ نشوقت لان أعرف  
كيف يسمون بلاد الجزائر فان الفرنسية يقولون الجيري Algérie  
والطليانية الجريا Algeria وليكني حمدت الله حينما رأيتهم قد قلبوا  
فيها وضع الحروف فجعلوا الراء مكان اللام وقالوا أرخليا ولم يقولوا غير  
ذلك . . . وقد لاحظت بعض ألفاظ تنافي هذه القاعدة فيقولون  
في الخزانة « الاثينا » بمعنى الخزانة المنقورة في حائط البيت وفي الخروج  
« تشرفا » وفي طير الخطاف « فاتكسا » وفي المسجد « مسكيتا » وفي الخراز



«المفرين» بياء مماللة وفي الخدّة «الموهادا» وفي تصغيرها «الموهاديديا»  
وفي النخاع «الموكاتي» من قول العرب المخ وفي الخبازي «الهبازي»  
وفي البطيخة «البوديحا والبوديكا وباديها وباديا» وفي الخرشوف  
«الكنشوقا والكرتشوقا» وفي البخور «البافور» وفي الخروب  
«الجروبا» وفي الخزامى «الهوثيما» وفي المخزن «المائن» وهو  
اللفظ الشائع ويقولون فيه أيضا «المجائن والمارثن ومجائن»  
والسخرة بمعنى العونة «اذوفرا» والزرنينج «اذرنيني» بياءين  
ممالتين والرخ في لعب الشطرنج «روكي» وفي الشيخ «كسيكي»  
بياءين ممالتين وفي الخزامى الحرير «التسز» وفي الخياط «القيات»  
هذا بعض ملاحظته وسألم في الرحلة بشيء كثير من قواعد  
التحريف عندهم فهلا من المستغرب بعد ذلك انهم يقولون ان  
كلام العرب كله يشبه هذه الاصوات «خبط خبط خبط»

وقد زرت جميع آثار سرقسطة العربية وغير العربية وصعدت  
الى قمة البرج المائل الذي يشبه برج كنيسة ينشئة وهو من صنع  
الاعراب المرتدين وقد شرع القوم في تقويض دعائمه خوفا من  
سقوطه ثم خرجت منها شاكرا أفضل أهلها مرددائشانى عليهم  
تجسول في وعلى أخلاقهم الزكية وزرت قسطجون Castejon وميرنده  
بعض المدن Miranda ثم برغش Burgos وكأئسها المشهورة وقد رأيت

في احدائها لواء في غاية الابداع والجمال أخذه الاسبانيون من العرب  
في واقعة العقاب التي سأذكر عنها شيئاً يسيراً في هذه الرحلة ثم

زرت آبله Avila ثم مدريد Madrid (وتسمى في كتب العرب مدريد  
ومقابله سفيرة الدولة العلية  
القديمة مجريط <sup>(١)</sup> وقد رأيت جميع ما فيها من المتاحف والمعارض  
ولاقيت علماءها وكبراءها ووزراءها واجتمعت بصاحب السعادة  
طرخان بك سفيرة الدولة العلية الذي كان والياً على جبهة ولايات  
مهمة من قبل مولانا الخليفة الاعظم أدام الله نصره ورفع كلمته  
وقد رأيت فيه رجلاً عالماً بالسياسة والقوانين والنظامات وفيه  
من الوطنية وحب الاسلام ما لم أجده في غيره الى الآن ويسرني  
أن أقول ان له مقام كبير في نفوس كبراء اسبانيا والاسرة المالكة  
باسرها وله تمام الاطلاع على اللغة التركية والفارسية واليونانية  
والفرنساوية والاسبانية وله المام عظيم بالالمانية والارمنية  
وبعض العربية وانى أتمنى من صميم فؤادي ان يكون جميع نواب  
الدولة العلية أيدها الله في جميع الممالك الاوربية على شاكلة فانا  
تعلو الدول بنوابها وتعرف قيمتها بمدوبها وقد آكثرت في مدريد  
من زيارة المعرض الاوربي الاسباني الذي أقيم احتفالاً بهرجان  
كرستوف كولمب وذلك لانني رأيت فيه كثيراً من الآثار العربية  
الاندلسية التي تبعث في النفس نخاراً وفي القلب احزاناً ورأيت لواء

(١) مجريط بفتح الميم كخضبطه ياقوت في معجم البلدان

عربيا يشبهه لواء برغش تمام المشابهة ويجانبه لواء آخر مما أخذه  
الاسبانيون من العرب وقد رأيت في القسم المخصص للطوبجية  
المدافع التي سبق الى اختراعها أهل غرناطة لصد عدوهم عنهم  
ورأيت غير ذلك مما لا يمكن به الاحاطة الآن وكنت أكثر من  
زيارة التيارات في كل ليلة لاتقان اللغة ولانها في مدريد مدرسة  
حقيقية لاخلاق القوم وعاداتهم حتى اني أثناء التشخيص كنت  
أصوّر نفسي في بعض الشوارع أو في إحدى القرى ثم زرت  
طليطلة Toledo وتسمى عند العرب مدينة الاملاك أى الملوك  
لكون اللاتينيين كانوا يسمونها بذلك أيضا (Urbs Regia) وكانت  
تسمى عند الرومانيين كذلك Toletum وبالتصغير Toletula  
ومنه الاسم العربي طليطلة وقد ورد اسمها في قليل من كتابات  
العرب نوليطة مثل التسمية الاسبانية ويقول مؤرخو العرب ان  
معنى نوليطة بلسان فيصر «انت فارح» فاذا هي مدينة عربية محضة  
لم يعتمدها الى الآن أدنى تغيير ولا أتدكر أن مدينة في مصر حفظت  
هذا الشكل العربي الميهود كما بقي فيها الى الآن مع نوالى الازمان  
وتبدل الاحوال فلا تزال شوارعها وأزقتها متعرجة ملتوية ملتفة  
صاعدة نازلة حتى يخالها الانسان أشبه شئ بتلك الحشرة المعروفة  
بأم أربعة وأربعين وقد رأيت فيها من آثار العرب ما ينطق بفضلهم



ويخزم كل متعصب عليهم ثم رجعت الى مدريد وبعد أن أطلت دخول مملكة  
الاقامة فيها توجهت الى بلاد البرتغال Portugal «هذا هو اسمها البرتغال  
في كتب العرب لابورتغال أو بغير واو» وزرت عاصمتها المعروفة وذكر  
بلسبون (Lisboa) (Lisbonne) التي يذكرونها بالعرب باسم لشبونة  
واشبونة والاشبونة وقد بدأت بزيارة - حضرة قنصل جنرال الدولة  
العلية وويس قنصلها ورأيت آثارها العربية وغير العربية وفي ثاني يوم  
من وصولي وردت لي تذاكر من الجمعية الجغرافية بالتحية  
والسلام وبوضع مكتبتها ومتاحفها ومعروضاتها وغرفة السلاح  
والنشان والبياردو وغير ذلك تحت تصرفي فزرتهم وشكرتهم -  
واستفدت كثيرا من لقاءهم وقد زرت المكتبة الاهلية ومدرسة  
المهندسخانة ومعرض التاريخ الطبيعي وكل ما قدرت عليه ورأيت  
من أهلها حفاوة تخلد لهم الثناء على صفحات الفؤاد ثم زرت  
مدينة شنتره Cintra ورأيت - حصون العرب على قم الجبال  
وبجانب بعضها مسجد باقية آثاره للآن وعلى مقربة منه قبر دفن  
فيه القوم عظاما وجدوها ولم يعلموا انها للمسلمين أو للتصارى  
فوضعوا على رجام القبر صورة الصليب وصورة الهلال ثم رجعت  
الى لشبونة وزرت فيها القسم الذي كانت تسكنه العرب وكان يعرف  
عندهم باسم الحجة «بتشديد الميم» ويسميه البرتغاليون الآن من باب

التشريف « الفاما » وقد تشرفت فيها بمقابلة جلالة الملك فأكرم  
وفادتي وأحسن اقامتي ولبثت مع جلالاته مدة طويلة ثم خرجت شاكرة  
جليل رعايته وهذه المدينة لها موقع من أجل مواقع الدنيا يشبه  
أو يفوق موقع جنوة ونابولي ويقرب من القسطنطينية على ما سمعت  
ومنظرها يشبه المدائن الشرقية

الفول  
الملمس  
بأوروبا  
ومما يحسن ذكره من باب التفكهة اني خرجت ذات يوم  
في بكرة النهار لانفراج على حركة المدينة في مبدئها ومن جملة  
ما رأيت فيها كثيرا من النساء يسارعن في حركاتهن وهن حفاة  
الاقدام وعلى وسطهن جزام كبير بارز بروزا شديدا عن بقية  
الجسم بخلاف بقية الافرنجيات فانهن يبذلن غاية جهدهن في  
تحميل الخصر وترقيعه ومما امتاز به هؤلاء النساء في البرتقال  
انهن يضعن في أعناقهن قبطانا يتدلى الى حد وسطهن وينتهي  
بصلب كبير من الخحاس وفوق رؤوسهن قطعة من القماش  
ملتفة على بعضهما مثل الحواية ويحملن عليها شيئا شبيها بطست نحاسي  
مفرطح جدرانته مرتفعة قليلا ورأيت احداهن تصيح بكلام  
لا أفهمه فتشوفت لاستوقفها وأعرف مامعها فسألت الدليل ذلك  
ولكنها لما نظرت الى حالتنا وهيئتنا تومت أتنا من لا يشتري ممامعها  
فهمت بمغادرتنا ولكنني أظهرت لها قطعة من الورق قيمتها نحو

قرش صناع فوقفت وفرجتني على ما في الطست وادا به الفول  
المدمس ففرحت به كثيرا ووطنت نفسي على أكلة مصرية في  
بلاد أوروبا ثم استفهمت عن الاسم فاذا هو Fava Rica  
أي الفول الغني ولما رجعت الفندق أوصيت صاحبه على أن  
يستحضر لي في صباح اليوم الثاني مقدارا من هذا الفول الغني  
وقد كان غير أني اردت أن تكون الاكلة مصرية محضة وعلى  
الاسلوب المتبع عند عموم المصريين فلبنت في غرفة النوم  
وأقفلتها بعد أن استحضرت البصل حتى لا أكون مثل بني اسرائيل  
حينما خرجوا من مصر ولم يجدوا البصل في التيه فتأسفوا عليه  
وتألفوا ثم اني تمتعت بهذا القطور والحق يقال أكثر من جميع  
أيام سياحتي في أوروبا


ثم قت من الاشبونة الى مدينة كويمبرا Coimbra المعروفة بمدينة قلمرية  
في كتب العرب باسم قلمرية وهي الآن دار العلم ومحط المعارف وبرتقال  
في بلاد البرتغال وقد رأيت مدارسها الجامعة ومتاحفها  
وبستان النبات البديع فيها وبعد ان طفت على معظم آثارها  
قت الى مدينة پورتو Porto واسمها في كتب العرب برتقال  
وبها يسمى هذا القطار برتقال كما نقول نحن الآن طرابلس




وحاضرتها طرابلس وتونس وحاضرتها تونس وكما تقول بنى سويف  
وبندرهما بنى سويف والقيوم وبندرهما القيوم والمنايا وبندرهما المنايا  
وهكذا فى أسبوط وقتنا وكما كان الشأن فى القليوبية وجرجا والمنوفية  
قبل أن ينتقل مركز المديرية الى بنها وسوهاج (المعروفة عند  
العرب بسوهاى) وشبين الكوم وساورد فى الرحلة نصوصا عربية  
معتبرة تكاد تكون مجهولة للدلالة على صحة هذا الاسم (برتقال)  
وقد رأيت فى مدينة البرتقال هذه آثارا كثيرة ولكن العرب لم  
يختلفوا فيها شيئا يذكر لانهم كانوا يجيئونها فاتحين ثم يجوزونها الى  
غيرها من البلاد ولم ترسخ فيها قدمهم غير انى رأيت دار البورصة  
فيها وهى من القمامة والجلالة بمكان قد تألف التجار على انشائها  
على الطراز العربى ونقشوا أكبر بهو فيها بحسب الاسلوب العربى  
وزينوه بالزخارف وكتبوا فى ضمن رسومها البديعة أشعارا عربية  
سأوردها فى الرحلة وفى جميع الطرازات هذه العبارة عزز لالانا  
السلطانة مريم ٢ يريدون عزولانا السلطانة مريم الثانية

ورقه

إشكال وقد عرفتلى وأنا فى هذه المدينة أن أمتع نفسى بأكلة ثانية من الفول  
على الفول المدمس (أى الفول المدمس) فأوصيت صاحب الفندق أن يستحضر لى  
جانبنا من هذا الطعام اللذيذ حتى أتعدى به فى وقت الظهر  
وأوصيته أيضا على استحضار الزبد والبصل فنظر الى نظر المستغرب

وقال كيف يمكن الغداء بالفول الغنى والبصل والزبد فقاطعته  
وقلت له هذه ارادنى وما عليك الا الاجابة فامتثل غير قادر على  
اخفاء زيادة الاستغراب ثم توجهت لزيارة الاثارة وغير ذلك حتى  
جاء وقت الظهر فأسرعت الى الفندق وأنا أتلذذ مقدما بأكل  
الفول الغنى التى أعددت نفسى لها فى هذا اليوم السعيد حتى انى  
لم أتناول شياً من الزاد فى الصباح وقد صعدت فى الحال الى غرفة نوى  
فوجدت صينية عليها شئ كثير من . . . . من . . . . من الخروب  
فدقت الجرس بعنف وشدة لكثرة ما عترانى من الغيظ والحرق  
فحضر الخادم فقلت له ما هذا الذى فعلت يداكم فقال انما أجبنا  
أمرنا وأحضرنا الفول الغنى فكررت الاستفهام فقال لى هذا  
هو الفول الغنى بعينه فنزلت لصاحب الفندق وباحثته فى هذا  
الموضوع وأعلمته بمقصودى الذى رأيت به بكل انتمراح فى مدينة  
الاسبونة فأدرنا السر وقال لى  ياسيدى أهل بورتو يسمون الخروب  
قولاً غنيا ولا يعرفون ذلك الصنف الموجود فى أسبونة بل انهم  
يتمكون على الاسبونيين لكونهم يسمون الفول المصنوع بهذه الكيفية  
قولاً غنياً مع انه هو الخروب للشبهه بين قرن الخروب وقرن الفول  
ولما كان فى الخروب ميمرة على الفول دعوه بالفول الغنى ولهم الحق  
(وليتنبه القارئ الى انه منهم فلذلك هو يصوب رأيه) وهذا

مادعاني للاستغراب حينما طلبت مني في الصباح أن أحضر لك  
غدا لك من القول الغني مع الزبد والبصل  فأنشروحت من هذا  
الشرح مع اني انقبضت للحرمان من أكلني المصرية والاضطرار  
للأكل على المائدة العمومية بالطريقة الافرنكية ولكن هي  
السياحة يرى فيها الانسان مايسوء ومايسر

ثم خرجت منها قاصدا سلمنقة<sup>(١)</sup> Salamanca من بلاد اسبانيا  
فما البرتقال ولم أتعرض لتعلم اللغة البرتغالية خوفا من الاختلاط وكني  
والتعريف لاحظت كثرة تردد الفاء والشين والراء فيها فمثال الفاء الخروب  
فيها  
يسمونه القروب والبحيرة يسمونها البفيرة والصهرج يسمونه زفرش  
ويسمون نوعا من الاغذية والفراء يعرف عند العرب بالحنبل بقولهم  
« القامار » وهذه الكلمة الحديثة الآن مأخوذة من الكلمة  
البرتغالية المهجورة المحرفة عن العربية مباشرة وهي « ألفبر »  
ويسمون الخس « أفس » والهدية « الفدية » والحرملة وهو

(١) هذا هو اسمها الحقيقي في كتب الجغرافية العربية القديمة وابن الاثير  
في حوادث سنة ١٤٠ في الجزء الخامس وقد وهم صاحب دائرة المعارف حيث  
سمها سلمنقة بالسين المهملة ثم خلط بينها وبين بلد أخرى اسمها طلمنكة فقال انه  
اسمها في بعض كتابات العرب والصواب غير ذلك فان طلمنكة Talamanca  
بليدة في ولاية مدريد في وسط الابلدلس كانت من أعمال طليطلة في أيام العرب  
وأما سلمنقة فهي في الشمال من ولاية جالقية التي قد سميها العرب غلبية Galicie



السذاب البرى « الفرما » وفي الخلاوة « القلوا » ويقولون في الجملة  
الغاما والخياط يسمونه الفيات وأمثال ذلك كثيرة لأطيل بها الآن  
وأما الشين فان معظم السينات التي في اللغات الافرنجية يقبلونها  
شينا ولعل ذلك هو السبب في ان العرب نطقوا باسماء البلدان التي  
فيها سين بالشين والامثلة كثيرة يعرفها من له أقل اطلاع على جغرافية  
هذه البلاد في كتب العرب وأما الراء فهي كثيرة جدا خصوصا مع  
الشين حتى تكاد لغتهم بسببها تشبه اللغة النمساوية ولكن الخاء  
معدومة بالكلمة

وهنا أذكر أمرا غريبا وهو اني لما كنت في سرقسطة ذكر النفود  
توجهت في صباح يوم وصولي الى أجل دكان للزينة فيها وبعد  
ان حلقت ذقني وأصلحت شعر رأسي وضخمته بأنواع الخلق  
الاستعملة عندهم سألت الرجل عن الاجرة فقال لي ٣ ريالات  
فبعت في قلبي وأسفت على مجيئي اليه ولكنني تجلدت وأظهرت  
تعارف الجاهل بعكس أهل البديع الذين يظهرون تجاهل  
العارف ثم قلت وهو كذلك ودفعت اليه ورقة قيمتها ٢٥  
فرنكا فرد لي ٢٤ فرنكا وربعاً فعلمت ان الريال عند أهل  
اسبانيا يساوي جزءاً من عشرين منه عند أهل بلادنا بل هو  
أقل من الترش الصاغ بقليل ولكنني لما جئت الى بلاد البرتغال

ونزلت في لشبونة اكثر من عربة اوصلتني الى الفندق  
ولما نزلت منها سألت ترجان الفندق عن الاجرة فقال لي ٦٠٠  
ريال فقلت في نفسي هذه هي الطامة الكبرى وكيف أتظاهر  
الآن بتعارف الجاهل وليس معي ورقة تساوي هذه الثروة الجسيمة  
ومع ذلك تجللت وصبرت على مضي الايام واتقيت الله لعله يسهل  
لي سبيل الخلاص من هذه الورطة فقلت له بصوت مبحوح  
« وهو كذلك خذ النقود من صاحب الفندق » وصعدت الى  
غرفتي أضرب أخماسا لاسداس

ولما أصبح الصباح كان أول شيء طلبته هو الحساب بخافي  
بعشرات الآلاف فقلت وأنا خائف واجم وكم يساوي هذا كله من  
النرنكات فقيل لي ان الفرنك مائتا ريال فكذت آخر لله ساجدا  
وصرفت الغلام لا تضرع بالشكر منقرا وقد قاسيت كثيرا من  
اشتداد الازمة المالية على هذه البلاد حتى اني كنت أصرف  
الفرنك الصحيح المعتبر بمائتي ريال وبمائة وتسعين وبمائة وثمانين  
وبمائة وسبعين بل وبمائة وستين في قلمرية وعرفت ان هؤلاء القوم  
يلزمهم عدد كبير لقيمة قليلة

العودتي الى ولما توالت هذه الخسائر المالية استخرت الله في الرجوع الى  
الاندلس ووصلت شلمنقة ورأيت آثارها ومدارسها فانها في اسبانيا

مثل قلمرية في البرتقال ورجعت منها الى مدريد فأصابتنى التزلة الواقعة<sup>(١)</sup>  
واشتدت على وطنها حتى كدت أبتس من الحياة لولا مداركة كثير  
من أصحابي وأصدقائي وعناية الاطباء بشأني وقد كان صاحب السعادة مقابلة  
طرخان بك طلب من البطانة الملوكية تشرفي بمقابله جلالة الملكة جلالة ملكة  
وأجيب السؤل ولكن المرض كاد يحول بيني وبين هذا الشرف لاندلس  
الاسنى غير ان الله سبحانه وتعالى رافى بنى نخنف الثازلة عنى وبذلك  
تيسرلى مقابلة جلالة الملكة فلا طفتنى وتعطفت على كثيرًا وتكلمت  
معى فى اشتمات العلوم والادبيات حتى بهرتنى من كثرة اطلاعها  
ودار الحديث كثيرا على اللغة العربية وآثار العرب باسبانيا وبغيرها

---

(١) عقد العلامة أحمد فارس المشهور فصلا فى كتاب الجاسوس على القاموس  
أشارفيه الى بعض انتقادات جغرافية على الفيروزابادى بمناسبة ذكره لبعض  
بلدان الاندلس فى قاموسه وقد وقع صاحب الجاسوس نفسه فى وهم أرى  
من الواجب اصلاحه فى هذا المقام ويان ذلك ان المجدد ذكر بلدا اسمه  
النبرة وقال انه من عمل ماردة بخاء صاحب الجاسوس (صصفه ٣٠) مقبا  
لهذه العبارة بالتفسير قائلا (أى مدريد) وأقول ان ماردة Mérida بلد  
ومدريد بلد آخر وماردة فى الجنوب الغربى بقرب بطليوس Badajos  
على تخوم البرتقال ومدريد فى الوسط وماردة كانت بلدا مشهورا جدا فى أيام  
العرب ولا يزال فيه الى الآن آثار جليلة تشهد بفخامته بخلاف مدريد  
فإنها عند العرب مجربط وكانت فى أيامهم عبارة عن صنن ليس الا



واستطالت المقابلة مدة تنيف على العشرين دقيقة وكان معي  
حضرة السيد المفضل والامير الكريم طرخان بك وسأذكر في  
الرحلة ما دار بيننا من الحديث وقد خرجت من بين يديها شاكرا  
أفضالها على هذه المقابلة الجليلة وقد أخبرني كثير من أهل  
البطانة وخصوصا صاحب السعادة طرخان بك بانها أكثر من المعتاد  
بكثير فشكرت الله ثم لبنت بمدريد ريثما تعافيت قليلا من النزلة<sup>(١)</sup>  
الوافدة التي ضربت فيها أطنابها الآن وحينئذ أمرني الأطباء  
بالتوجه الى بعض البلاد الحارة في جنوب الاندلس والعبور منها  
مباشرة الى مصر متى ظهرت آثار الصحة وعاودتني العافية

فقممت الى اشبيلية Sevilla التي كانت تسمى أيضا بحمص وقد

مدينة

اشبيلية

(١) اعلم انني تفرجت في مدريد ثلاث مرات على مقابلة الانوار المعروفة  
عند الفرنسيين باسم Combat des و Course des Taureaux وعند  
الاسبانية باسم Corrida de los Toros وقد عرفت جميع تفاصيلها وقوانينها وشهدت غرام الاسبانين رجالا ونساء  
بها الى الدرجة التي لا يكاد يتصورها العقل بحيث ان المقاتلين يعتبرون من  
من أهم رجالهم ومن أحب الناس الى الامة التي تجل ذكركم الى حد  
يستخدم عليه سرة القوم وأمائل الامجاد واني أؤخر شرح ذلك الى فرصة  
أخرى لما يستوحجه من زيادة البيان مع ما فيه من الطلاوة والمباحث الزائفة  
وانما أقول الآن ان أهمل الاندلس كانوا مولعين بهذا القتال أيضا وكانوا  
يضاربون الاسبانين وربما كانوا يفوقونهم

زرت جميع آثارها ودارا للقطاء فيها وكأنتها وصعدت إلى قمة المنارة  
الاسلامية الفخيمة البديعة التي كانت في أحد المساجد فاصبحت  
الآن مقرا للناقوس وزرت القصر الذي أنشاه الاسلاميون فأنسأني  
كل ما رأيته من العمار الجميلة والآثار الجميلة التي رأيته في  
أعظم مدائن أوروبا وقد وقفت فيه متلهنا وكنت كذلك الشاعر  
الذي قال

قلت يوما لدار قوم تفانوا \* أين سكانك العزاز علينا  
فاجابت هنا أقاموا قليلا \* ثم ساروا ولست أعلم أيننا

ومن غريب ما في اشبيلية ان جميع دورها وقصورها لها في وسطها  
فناء في غاية الاتقان مغروس بزهر الاشجار ومحفوظ بفائق العمدان  
وفوقه رواق مثل ما هو معروف في الاسكندرية باسم الحضير  
وعليه عمدان وحنايا مثل التي في الفناء ولقد تحسنت حتى  
باعتلال هوائها حتى صدقت من انشاء مشيبيها

هوائها في جميع الدهر معتدل \* طيبا وان حل فصل غير معتدل  
ما ان يبالي الذي يحتمل ساحتها \* بالسعد ألا تحل الشمس بالحمل  
ولا غرو فقد اشتهرت باعتدال الهواء وحسن المباني وهي  
واقعة على النهر الشهير المعروف بالوادي الكبير Guadilquévir  
يصعد المدفنيه ٧٢ ميلا ثم ينحسر ولذلك قال شاعرهم

شق النسيم عليه جيب قيصه \* فانساب من شطيه يطلب ثاره  
فتضاحكت ورق الحمام بدوحها \* هزا فضم من الحياء ازاره  
ولقد صدقت حينما حلت فيها قول بعض واصفها

ان شرفها غابة بلا أسد ونهرها نيل بلا تمساح

وهذا الشرف المذكور هو اقليم من أعمالها كائن على تل  
عال من التراب الاحمر ومسافته ٤٠ ميلا في مثلها يمشى بها  
السائر في ظل التين والزيتون

واعلم ان الاسبانيين والافرنج يسمون اسم هذه البقعة هكذا  
Axarafe و Aljarafe وهو الآن في الجغرافية الجديدة لتلك  
الاقطار عبارة عن البلاد التي في قسم سان لوكار لا مايور رأى سان لوكار  
الكبير San Lucar la Mayor وبعض القرى التابعة لمدينة  
اشبيلية ثم خرجت من هذه المدينة الجميلة قاصدا غرناطة  
Granada (Grenade) وأنا أردد قول الشاعر فيها

ذكرك يا حصن ذكرى هوى \* أمات الحسود وتعنيته  
كأنك والشمس عند الغرو \* بعروس من الحسن منحوته  
غدا النهر عقدك والطودتا \* جك والشمس أعلاه ياقوته

مدينة غرناطة وصرت أثناء الطريق أمر على بلاد وقرى كثيرة تذكرني بمعهدته  
وقصر الحمراء في بلاد المشرق وخصوصا المنارات التي كانت قائمة بجانب الجوامع  
فصارت مجاورة للصوامع وماذن المساجد التي أصبحت نواقيس



للمعابد وصرت أئذ كرمجد العرب وعظم دولتهم حتى وصلت غرناطة  
المعروفة قديماً باسم اغرناطة ويسمىها العرب دمشق من باب  
التشبيه وقد وصلت الى مالم تكند تصل اليه مدينة ما فانها حينما  
استولى الافرنج على معظم بلاد الاندلس انتقلت اليها بقايا  
المسلمين فصارت المصر المقصود والمعقل الذي تنضوى اليه  
العساكر والجنود حتى بلغ عدد فرسانها وحدها ٥٠٠٠٠  
ورجالها ٣٥٠٠٠ من غير ضواحيها وأعمالها فقد كانت جيوشها  
تبلغ بهم ٢٠٠٠٠٠ يخرجون للقتال من أهل غرناطة والبشرات  
Alpujarrat (Alpuxarat) ووادي آس Guadix وقد رأيت  
أن أختتم رسائلي المؤتمرية في هذه المدينة التي كانت آخر ملاذ للمسلمين  
وقد وصلت بالليل وزلت في فندق واشنطون وقد علمت فيما بعد من  
أهل التحقيق والمعرفة انه قائم على نفس مكان المقبرة الملوكية  
التي كانت ملوك المغرب تدفن بها ويسمىها ابن الخطيب التربة  
وقد سجلت بالاضطجاع بعد ان تناوات شيئاً من الزاد وحينئذ  
ذهب عنى الرقاد لهجوم الافكار وتذكر ما وقع بتلك الاعصار  
والتفكر في أحوال الدنيا وتقلبها باهلها حتى أُنقلى السهر وبرز  
بى التعب فانحضت الجفون وما استيقظت الا على تجاوب الاطيار  
فوق أغصان الاشجار كأنها تقول لى

تنبه فة دمشق البهارة غاسا \* ككأمة عن نوره الخصل الندى

مداهن تبرى أنامل فضة \* على أذرع مخروطة من زبرجد  
فصمت ونظرت الى الرياض ونمايات الاشجار وتدفق المياه فقلت  
لله در الشاعر في وصف مثل هذه المناظر

رياض تعشقها سندس \* نوتت معاطفها بالزهر  
مدامعها فوق خدى ربا \* لها نظرة فتنت من نظر  
وكل مكان بها جنسة \* وكل طريق اليها سقر  
ولكنى تذكرت قول الوزير ابن عبدون الاندلسى ولا غرو فان  
أقوال الوزراء وزراء الاقوال

يانفحة الزهر من سراك وافانى \* خلوص رباك فى انفاس آذار  
والارض فى حلل قد كاد يبحر قها \* نوقد النور لولا ماؤها الجارى  
والطير فى ورق الاشجار شادية \* كنهن قبان خلف استار  
ثم طفت بالجرء Alhambra وقصرها ومساجدها وساحتها  
ونقوشها ورسومها وزخارفها التى تذهب بالجنان وتأتى بالجنون  
فوقفت باهتا حائرا فاقد اللب والرشاد من هذا الاتقان الذى لم يكن  
يخطر على قلبى مع ما سمعته عنها من الاوصاف وما شاهدته من  
غرائب المباني فى غير هذه الدار حتى لقد اشتد بى الهيام وكنت  
أمرء على الديار ديار قومي \* أقبل ذا الجدار وذا الجدارا  
وما حب الديار شغفن قلبى \* ولكن حب من سكن الديارا  
ثم خرجت منها وأنا أحاطبها بقول الشاعر

وقفت بالجرء مستعبرا \* معتبرا انبشاشنا  
فقلت يا جرء الافارجى \* قالت وهل يرجع من ماتا  
فلم ازل ابكى وابكى بها \* هيات يغنى الدمع هياتا  
كأنما آثار من قدمضى \* نوادب ينشدن امواتا  
وعند الباب قدموا الى دفتر الزيارات فكتبت هذه العبارة التي  
املاها الناظر واليد مرتعشة والقواد واجف والعين باكية

أحقا هذه الحمرأ أحقا أنتي فيما

سند هذه القصور وهذه الدور وند قوم خلدوا فخرهم على يدى  
العصور هذى آثارهم الباقية تنطق بعظمتهم الفاتحة وتمب  
الغفلان الى بقاء الملك الديان وأن كل من عليها فان  
وتذكر بنى الانسان بوجوب التعاون على البر والاحسان  
والتباعد عن التخاذل فهو الخسران ويرحم الله عبدا رأى فتدكر

أحمد زكى

ونظر فاعبته

مندوب الحكومة المصرية  
في مؤتمر المستشرقين التاسع بلوندره

يوم الثلاثاء ٧ رجب الفرد  
سنة ١٣١٠ (٢٤ يناير سنة ١٨٩٣)



ثم انتقلت من الحمراء وزرت اسوار المدينة وأبراجها وبعض  
مناراتها وكثرا من قصور ملوكها ويعلم الله اني مارأيت في طول  
سياطحي شيأ أدق واثقن وأجل وأكمل مما رأيت في هذه المدينة  
حتى لقد رأيت ان المقري لم يقرب من الحقيقة حينما مدح  
غرناطة اثنا وصفه للاندلس بقوله

هي جنسة الدنيا التي \* قد أذكرت دار المقامه

لاسيما غرناطة الغراء رائقة الوسامه

بروائها وبماؤها وهو \* ثها النافي الوضامه

ورياضها المهتزة الاعطاف من شدو الخمامه

وبرجها النضر الذي \* قد زين الله ارتسامه <sup>(١)</sup>

وقصورها الزهر التي \* يابى لها الحسن انقسامه

ولقد كانت غرناطة لا يعدلها في داخلها وخارجها بلد من البلدان

---

(١) مرج غرناطة يعرف عند الافرنج بهذا الاسم La Vega وهي  
كلمة اسبانية معناها المرج ومن الغرائب ان الدون ايجيلاذ Eguilaz وهو من  
أعيان أهلها ومن نهبها المشتغين بالاداب والآثار العربية قد أطلعني على صورة  
إليه مصري طولها ٨ سنتيمترات ومنقوشة بالحروف الهيروغليفية وأخبرني ان  
أحد الفلاحين قد عثر عليها في المرج أثناء الفلاحة وتقليب الارض فنهته الى  
وجوب الاعتناء بهذه المسئلة وموالاة البحث لما وراء ذلك من الفوائد التاريخية  
التي لا تنكر كما علمت ان القوم عثروا بمدينة برشلونة على آثار مصرية كثيرة

ولا يظاهرها في اتساع عمارتها وطيب قرارتها وطن من الاوطان  
ولا يأتي على حصر أوصاف جمالها وأصناف جلالها قلم البيان  
وكانت في آخر الامر قاعدة بلاد الاندلس وعروس مدنها ويقول  
كتاب العرب ان خارجها لانظير له في الدنيا وهو مسيرة ٤٠ ميلا  
يخترقه نهر شنييل (Xenil) Jenil المشهور وسواه من الانهار الكثيرة  
والبساتين والجنات والرياض والقصور والكروم محدقة بهامن  
كل جهة ومن عجيب مواضعها عين الدمع وهو جبل فيه الرياضات  
والبساتين لامثيل له بسواها ويعرف عند المؤلفين الاسبانيين بهذا  
الاسم Aindamar محرفا عن اللفظ العربي

وما زلت اتردد بين هاتيك الديار واجوب تلك المعاهد وأنا  
أرى في كل حجر وفي كل جدار آية ناطقة بعظمة هذه الامة  
ومجدها وقد جرتني ذلك الى ذكر بعض أمور مما يدل على بلوغ  
أهل الاندلس أرقى ذروة من ذرى النعم وتائقهم وترفعهم للدرجة  
التي ليس بعدها مطلب أو غاية

فمن ذلك ان اعتماد زوجة المعتمد وأم أولاده المعروفة بالرميكية  
رأت ذات يوم باشبيلية نساء البادية يعين اللين وهن رافعات عن سوقهن  
يخضن الوحل والطين فقالت له اشتهى ان أفعل أنا وجواري  
مثل هؤلاء النساء فأمر المعتمد بالعنبر والمسك والكافور وماء الورد

لمع من تائق  
الاندلسيين

وصير الجميع طينا في التصبر وجعل لها قريبا وجبالا من ابريسم  
وخرجت هي وجواربها تخوض في ذلك الطين الثمين وانالت النفس  
مناها ثم اتفق بعد خلعها انه حصلت بينهما منافرة كما يحصل عادة بين  
الازواج فقالت له والله ما رأيت منك خيرا فقال لها ولا يوم الطين  
تذكري به - هذا اليوم الذي أباد فيه من الاموال ما لا يعلم مقداره  
الا الله فاستحييت واعتذرت وسكتت .

وقدم مدح بعض الشعرا يعقوب أمير المؤمنين بالاندلس بقصيدة  
فيها . ٤ بيتا فأعطاه على كل بيت ألف دينار

وكان بعض ملوكهم اذا جاءته رسل من اعدائه يأمر في  
الحال باصطناع برك وحولها أساد وأشجار وازهار كلها من الفضة  
الخالصة والذهب المنضار ترهيبا لهم وايقاعا للعرب في قلوبهم من  
غير ان يشافههم بكلمة واحدة فينال من ملوكهم كل ما يرتضيه

وقد كان عبدالرحمن بن الحكم أمير الاندلس كثير الميل الى النساء  
وولع بجارية له اسمها طروب وكلف بها كلفا شديدا واتفق انها  
غضت الطرف عنه ذات يوم وقابلته بالصد والاعراض وقتصرت  
في مقصوراتها فأرسل يترضاها وهي لا تزاد الا اصرارا على الجفاء  
حتى أرسل الخصيان يغصبونها على الخروج فغلقت الابواب في  
وجوههم فذهبوا الى الخليفة يستاذنونه في اقتلاع الباب فأمرهم  
بان يسدوه بيد من الدنيا سير يرضونها عليه رضا ثم جاء بعد ذلك



يترضاها بنفسه ويعتذر اليها ففتحت الباب وانتهت عليها الاموال  
فقال لها كل هذا المال لك دون سواك ثم اعطاها حلية قيمتها  
مائة ألف دينار فقيل له ان مثل هذا لا ينبغي ان يخرج من خزنة  
الملك فقال ان لابسه أنفوس منه خطرا وأرفع قدرا واكرم  
جوهرها وأشرف عنصرا وفيها يقول

اذا ما بدت لي شمس النها \* رطاعة ذكرتني طروبا

ومن ذلك ان محمد بن عامر المنصور وزير الاندلس المشهور  
صنع قصرا من فضة صافية واهداه للسيدة صبح البشكنشية أم  
الخليفة هشام وجملة على رؤوس الرجال فجلب جهابذلك وقامت  
بامرءه عند سيدها الخليفة الحكم حتى قال الخليفة لبعض  
خواصه ان هذا الفتى سلب عقول حرمانا بما يتحنهن به

ومن ذلك ان الحكم ثالث خلفاء الاندلس كان له خاصة ألفا  
فارس مرتبطة على شاطئ النهر بقبلي قصره تجتمعها داران

والاجب من ذلك مارواه المؤرخون من ان الخليفة عبدالرحمن  
الناصر المشهور أراد الفصد ذات يوم فجلس في البهو الكبير المشرف  
بأعلى مدينة الزهراء واستدعى الطيب لذلك وأخذ الطيب الآلة  
وحبس يد الناصر فيبينها هو كذلك اذ أطل زرزور فصعد على اناه  
ذهب بالمجلس وأنشد

أيها الفاصد رفقاً \* بأمر أمير المؤمنين

إنما تفصد عرفاً \* فيه محبي العالمينا

وجعل يكرر ذلك المرة بعد المرة فاستظرف أمير المؤمنين ذلك غاية الاستظراف وسره غاية السرور ورسال عن اهتدى الى ذلك وعلم الزرور فذكر لدهان السيدة الكبرى هرجانه أم ولده وولي عهده الحكيم المستنصر بالله صنعت ذلك واعدته لمثل هذا اليوم فوهب لها ما ينيف على ٣٠ ألف دينار.

تقدم  
الاندلسيين  
وأمثال هذه الوقائع أكثر من ان تذكر وأقول ان أول تبليط حصل بالمدائن كان في قرطبة وكذلك الانارة العمومية بالليل قبل ان يعرف ذلك أحد من أهل الارض قاطبة فقد كان السائر يمشى فيها وفي أرباضها على ضوء السرج المتصلة مسافة ١٠ أميال  
معارف  
الاندلسيين  
وأما رسوخ قدمهم في العلم والعرفان فأمر يشهد به العدو والصديق ولا أذكر منهم الآن سوى أبي القاسم بن فرناس فإنه أول من استنبط بالاندلس صناعة الزجاج من الحجارة وأول من فك كتاب العروض للخليل وأول من فك الموسيقى وقد صنع في بيته هيئة السماء وخيل للناظر فيها النجوم والغيوم والبروق وصنع الآلة المعروفة بالمنقالة ليعرف الاوقات على غير رسم ومثال

وقد احتال في الطيران فكسا نفسه بالريش واتخذ جناحين  
وطار في الجو مسافة بعيدة ولكنه لم يحسن الاحتياي في السقوط  
فتأذى اذ غفل عن اتخاذ الذنب ولم يتنبه الى ان الطائر انما يقع  
على زُمَّكاه

ومما ينبغي ذكره في هذا المقام ان القوم ما وصلوا الى هذه أسوء حسنة  
الدرجة الا بالعلم والعرفان وما أجدر شباننا المصريين الاذكياء  
المتعلمين ان يقتدوا بأهل الاندلس في ذلك الزمان فانهم كانوا جميعا  
أحرص الناس على التمييز حتى ان الجاهل الذي لم يوفقه الله للعلم  
يجهد ان يتميز بصنعة ويربأ ان يرى فارغا عالية على الناس وكانوا  
يقرؤن جميع العلوم في المساجد بالاجرة لانهم كانوا يتعلمون لاجل  
ان يعملوا الخلائق وينوروا الازهان لالكي يأخذوا جاريا أو معلوما  
ولذلك كان العالم منهم بارعا لانه يطلب ذلك العلم بباعث من نفسه  
يحملة على ترك الشغل الذي يستفيد منه وينفق من عنده حتى  
يتعلم ومثلهم الآن معظم علماء أوروبا

ومما ينبغي اضافته له لم مراعاتهم للشرع الشريف حتى مراعاة  
الاندلسيين  
لقد كان للدولة الاموية في أيام عز الاندلس هبة وتمكين ناموس للشرع الشريف  
من قلوب العالم فكان في ذلك ضخامة لدولتهم ورسوخ لاقدامهم  
وقد ذكر ابن حبان وقائع كثيرة يستدل منها على توجه الحكيم



على خليفتهم أو على ابنه أو على أحد حاشيته المختص به وانهم كانوا في نهاية من الانقياد للحق لهم أو عليهم وبذلك انضبطت لهم الامور وكبرت الهمم وترتبت الاحوال وتوطدت القواعد ولما اسباب خرقوا هذا التاموس تهتك أمرهم واضمحلت شأنهم وفشلوا وذهبت دمارهم وفيها أعظم عبرة رويحهم حتى قال شاعرهم

مما يزهديني في أرض أندلس \* تلقيب معتضد فيها ومعتقد  
ألقاب مملكة في غير موضعها \* كالهري يحيى انتفاخ صورة الاسد  
وما زالوا على هذا الاضمحلال وهذا الانحطاط حتى تقلبت الدول  
وكان الخرق لا يزداد الا اتساعا فوقع الاختلاف بعد ذلك الائتلاف  
وأعبي العلاج حكما الرجال وعصفت عليهم ريح العدو والحرب  
سجال حتى لقد تمكن منهم بالتفريق وإلقاء العداوة بينهم وبين  
بعضهم بقبيح المنافسة ومرذول الطمع وآل أمرهم الى أن استقل  
العمال وأقام كل واحد منهم نفسه ملكا في بلد واحد وصاروا  
يطعمون في بعضهم ويستحيشون بالاسبانيين وبطاغيتهم ويسلمونه  
حصون المسلمين تشفيا لبعض غاياتهم حتى ان بعض ملوك الطوائف  
واسمه المأمون قبحه الله واخزاه بعث الى ملك قشتالة أو قشتالة  
المعروفة أيضا باسم قشتالية Castilla يستنصره على الموحدين  
ويسأله ان يعث له جيشا من الروم يجوزبه الى العداوة اي

مراً كُش لقتال يحيى ومن معه من الموحدين فقال له ملك  
قسطنطينية « لأعطيك جيشاً الاعلى شريطة ان تعطيني ١٠  
حصون مما يلى بلادى كما اختارها لنفسى واذا من الله عليك  
ودخلت مدينة هراكش تبنى للنصارى الذين يسرون معك كنيسة  
فى وسطها يظهرن بها دينهم ويضربون فيها نواقيسهم أوقات  
صلواتهم وان أسلم أحد من الروم لايقبل اسلامه ويرد الى اخوانه  
فيحكون فيه بحكمهم ومن تنصر من المسلمين فليس لاحد عليه  
من سبيل» فاسعفه النذل الجبان فى جميع ماطلب من غير تبصر  
فى العواقب

ويشبه ذلك أيضا ماجرى فى واقعة العقاب (جمع عقبة لكثرة  
العقاب التى بجانب مدينة طلوسه Tolosa فى شمال اسبانيا وتعرف  
هذه الواقعة عند الافرنج بما هو ترجمتها Las Navas de Tolosa  
وقد أشرت الى الرابة التى أخذها الاسبانيون منهم وهى فى برغش) وذلك  
ان محمد الناصر المشؤم على المسلمين وجزيرة الاندلس بالخصوص جمع  
جوعا اشتملت على نحو ٦٠٠٠٠٠ مقاتل وداخله الاعجاب والغرور  
بكثره من معه من الرجال فصاف الافرنج فكانت الدائرة عليه  
وعلى المسلمين فان الافرنج دهموهم وهم على غفلة وغير أهبة وخلا  
بسبب هذه الواقعة أكثر المغرب واستولى الافرنج على معظم

الاندلس اذ لم ينج من الستمائة ألف غير عدد يسير جدا لا يقارب  
الالف وكانت هذه الواقعة هي الطامة الكبرى على الاندلس  
بل والمغرب وما ذلك الا لسوء التدبير فان الناصر ووزيره استخفا  
برجال الاندلس العارفين بقتال الافرنج وشنقنا بعضهم وظننا ان  
كثرة الاجناد تغني عن دربة القواد ففسدت النيات حتى ان جماعات  
الموحدين لم يسلبوا سيفا ولم يشرعوا رمحا ولا أخذوا في شيء من  
أسباب الدفاع ولا أهبطه القتال بل انهزموا لاول جملة الافرنج  
عليهم قاصدين لذلك والعدو يبلى فيهم بلاء حسنا ويقتل فيهم قتلا  
ذريعا وهم (باللذالة) معرضون عنه بل عن الدفاع عن أنفسهم  
ويقول المؤرخون ان الناصر ثبت في ذلك اليوم ثباتا لم يملك قبله  
ولم يزل حالهم على هذا الاختلاف حتى حينما توضع أمرهم  
وضيق عليهم العدو أشد الضيق واحرق بغرناطة من كل مكان  
ومع ذلك لم تنقطع شأفة الشقاق حتى كان في هذه المملكة الصغيرة  
ثلاثة ملوك أحدهم في غرناطة ونفسها والثاني في أحد ضواحيها  
المعروف بربض البيازين والثالث في عملها القريب منها وهو مدينة  
وادي آس المعروفة أيضا بوادي ياش وبادي الآشات وكانوا قد

(١) هذا المحل سمي كذلك لكونه كان سوفا لنامس اتخذوا تربية الباز حرفة

لهم وتسمى عند الافرنج Albaicin



أحسوا بهذا الخطر احساسا لا مزيد عليه حتى انهم استبدلوا الاقوال التي كانت تستعمل عادة في ضرب السكة بهذه العبارات وقد رأيتها منقوشة على الدراهم والدنانير المحفوظة في متحف مدريد وعند الماجد الفاضل دون أنطونيو فيمس<sup>(١)</sup> D. Antonio Vives وهو من علماء أهلها المشتغلين بالعربية وبفن النقود وذلك مثل (قل اللهم مالك الملك تؤتي الملك من تشاء وتنزع الملك ممن تشاء وتعز من تشاء وتذل من تشاء بيد الخير ولا غالب الا الله) . ومثل (غرناطة حاطها الله) . (غرناطة حرسها الله) . (ماتة حاطها الله) . (المرية حرسها الله) . ومثل (بحمراء غرناطة) . (نصر من الله وفتح قريب) . ومثل (العاقبة للمتقين) . ومثل (وما النصر الا من عند الله) . ومثل (وما النصر الا من عند الله العزيز الحكيم صدق الله العظيم) . ومثل (يا أيها الذين آمنوا اصبروا وصابروا ورابطوا واتقوا الله لعلكم تفلحون) . ومثل (الامير فلان أعانه الله ونصره) . أو (أيد الله ونصره) وجميع هذه العبارات لم تكن مستعملة في نقودهم قبل الياوم الاخيرة التي

(١) انظر النبعة التي وضعها بخصوص أسماء الاعلام صحيفة ٣٧٩

(٢) هذا الاستخراج مما ينبغي الالتفات اليه وأقول انه مما لم ينتبه اليه أحد من العلماء الباحثين على ما أعلم وهذا من ضمن القوائد التي تنبع من علم النقود والمسكوكات

أعقبها انقراض دولتهم وما زالوا على هذه الفتن حتى انجى أثرهم  
من الجزيرة ولقى من بقى فيها من أنواع الاضطهاد والهوان ما أسفله  
في الرحله ان شاء الله

ولقد صدق على العرب ما قاله أحد ملوك فرنسا حينما فزع  
اليه أكبر دولته لما رأوا امتداد فتوحاتهم وسرعة توغلهم في  
البلاد فانه قال لهم مامعناه - (الرأى عندى ان لاتعرضوهم في  
خروجهم هذه فانهم كالسيل يحمل من يصادره وهم في إقبال  
أمرهم ولهم نيات تغنى عن كثرة العدد وقلوب تغنى عن حصانة  
الدروع أمهلوهم حتى تمتلئ أيديهم من الغنائم ويتخذوا المساكن  
ويتنافسوا في الرياسة ويستعين بعضهم على بعض فينشد تتمكنون  
منهم بإيسر أمر) - فكان كذلك بالفتن التي استدامت بين البربر  
والعرب وبين العرب وبعضهم من الأعداء وانقلب الموضوع وتبدلت الأحوال  
فبعد ان أجلى المسلمون في أول الأمر جميع أهل الجزيرة واقصوهم  
الى آخر حدودها شمالا حتى لم يبق منهم الا ٣٠٠ رجل مع ملك  
يسميه العرب بلاى ويسميه الاسبانيون بلايو Pelayo فالتجأ  
هذا العدد القليل بمكان يعرف عند العرب بالصخرة ويعرف عند  
الافرنج الآن باسم جبل كوفادونجا Covadonga ولم يزل

المسلمون يلحون عليهم بالقتال حتى مات أصحابه جوعا وبقي في ٣٠ رجلا و ١٠ نساء ولا طعام لهم الا العسل يشتمرونه من خروق بالصخرة فينتقون به حتى أعيا المسلمين أمرهم واحتمقروهم وقالوا ٣٠ علجا ماعسى ان يجيء منهم وماعلموا ان الائتلاف والاتحاد من جهة القشتاليين والتغابن والتخاذل من جهة ابنائهم واعقابهم جعل لهؤلاء «الثلثين علجا» من القوة والكثرة مالاخفاء به حتى قهروا العرب واجلوههم بالمرّة واذاقوههم أنواع الذل والهوان مما هو مسطور في كتب التواريخ وسألت بعضهم في الرحلة ان شاء الله

هذا وقد رأيت في أخلاق أهل اسبانيا أخلاق العرب أخلاق  
وشهامتهم وكرامتهم فقد لقيت فيهم حسن الوفاء وحفيد  
الطباع والتحبب الى الغريب والفرح بافادته واعانتة سواء كانوا  
يعرفونه أو لا يعرفونه وذلك ما يجعلني أفضلهم جهازا وأشهد على  
رؤس الاشراف بان أخلاقهم أدمث وألطف وأشرف من جميع  
الامم التي طفت ديارها في هذه الرحلة المستطيلة وسأشرح ذلك  
بالتفصيل عند الفرصة اعطاء لكل ذي حق حقه وتقريراً للوقائع  
كلها حتى اني وجدت فيهم من الطباع النبيلة ما قد نساء أهل  
البلاد العربية وانى اذا تعصبت لامة من الافرنج فانما يكون ذلك



لاهل اسبانيا حياهم الله و بياهم فقد آنت فيهم وفي بلادهم  
خصوصا أيام كنت أجهل لغتهم وليس لي من صديق فيهم وقبل  
وصولي الى مدريد ما يجعل لساني يتلو آيات شكرهم في كل ناد  
ويفصح بمفاخرهم وآثارهم في كل واد على نوال الاماد وأ كرر قول  
الاندلسي على جميع البلاد

تلك الجزيرة لست أنسى حسنها \* بتعاقب الاحيان والازمان

---

(كلمة الرسالة السابعة)

وهي

\*(بئذ في امتزاج العرب بالجم في اسبانيا)\*

\*(والاستشهاد على ذلك بالاسماء والالقب)\*

اعلم ان كثيرا من أشرف العائلات الاسبانية الاصلية  
امتزجت بالعرب امتزاجا كليا ودخلت في دين الله القويم ولكنها  
لم تغير ألقابها الخاصة بها لما كان لها بالطبع من الجاه والحسب  
وقد نبغ منها كثيرون مثال ذلك ابن بونه وهو اسم لكثير من أدباء  
الاندلس وأصله الاسباني Bono و Bueno ومعناها الطيب  
والجيد - ولاتزال عائلات اسبانية كثيرة بهذا الاسم الى الآن  
ومثل ابن بيش (وهذا هو الاسم الذي دعاني لتحرير هذه  
الكلمة) وهو اسم للجبهة ادباء اندلسيين منهم الغرناطي اللغوي  
الاديب أبو عبد الله محمد بن بيش Ibn Vivax من شيوخ  
وزير الاندلس المشهور بابن الخطيب وأصل اسم العائلة من كلمة  
اسبانية لاتينية Vivas و Vives مشتقة من فعل معناه  
الحياة والعمر والمعيشة - وربما كان صاحبنا الدون أنطونيو فيثس  
المذكور بالمتن (صحيفة ٣٧٥) من نسل هذه العائلة فإذا صح ذلك الظن  
تكون أصلها اسبانية ثم استعربت ثم استسبنت أي صارت اسبانية

كما كانت ويكون الحكم كذلك في بقية العائلات المذكورة في  
هذه النبذة - ومثل ابن بشكوال Ibn Paxcual وهو الشيخ  
العالم أبي القاسم خلف بن عبد الملك بن بشكوال من مشاهير  
المؤرخين من أهل قرطبة وله كتب كثيرة جزيلة الفائدة منها كتاب  
الصلة في تاريخ أئمة الاندلس وعلمائهم ومحدثهم وفقهائهم وأدبائهم  
وهو حجة ثقة واسمه مشتق من Pascual من كلمة لاتينية  
Paschalis ومعناها المنتسب لعيد الفصح ولا يزال باسبانيا  
وأوروبا عائلات كثيرة بهذا الاسم - ومثل ابن الأقسطين وهو  
لقب لكثير من الاندلسيين منهم الاديب محمد بن موسى بن هاشم  
وهذا الاسم من كلمة اسبانية Agustin فرنساويته Augustin  
ولاتينيةها Augustinus ومعناها العظيم الجليل - ومثل ابن  
البذش وابن البيذش Ibn-al-Pedex وهي كلمة اسبانية  
لاتينية نص ابن الأبار على ان معناها القدمان أي الرجلان Pedes  
وهو لقب لاديب غرناطي توفي سنة ٥٢٨ - ومثل ابن برال  
Burriel أو Borrel وهو أبو بكر من مشاهير أدباء الاندلس  
ولا يزال لقباً لعائلات اسبانية كثيرة - ومثل ابن بشتغير  
Ibn Baxtagair وهو من أدباء الاندلس واسمه أبو جعفر ولقبه  
من كلمة لاتينية Bastagarius معناها الموكل بنقل أمتعة



الدولة أو الكنيسة في الاحتفالات العمومية - ومثل الرشاطى وهو النسابة الاندلسى أبو محمد الرشاطى Arroxati وهذا الاسم مشتق من كلمة اسبانية Roseta بمعنى الوردية تصغير وردة ومثل ابن الرومية وهو لقب لاحد مشاهير علماء النبات من أهل اشبيلية وبما ان عادة العرب النسبة الى الاب لالى الام الا فى احوال استثنائية قليلة جدا فذلك يخيل لى انهم ابقوا له هذا اللقب دلالة على أصله كما فعلوا بالنسبة لابن القوطية أحد مشاهير كتاب الاندلس فان العرب أطلقوا اسم القوطية La Goda بالاسبانية و La Gothe بالفرنساوية على سارة Sara حفيدة الملك القوطى ويتيزا Witiza المعروف عند العرب باسم غيطشه وربما كان الرجل من نسلها - ومثل ابن غرسية وهو لقب لكثير من الانداسيين منهم الفقيه العلامة عبد الرحمن بن أحمد وهذا اللقب اسباني محض Garcia وكان فى القديم يكتب هكذا Garsea و Garsia و Garseas و Garseanus ولازال لقباً لعائلات اسبانية كثيرة - ومثل ذوالوزارتين السرقسطى ابن غندسلب وكان صاحب جاه عظيم ونفوذ كبير فى دولة بنى هود بمملكة النغر الاعلى أى مملكة مرقسطة وله شعر جيد وهذا الاسم اسباني محض Gonzalo و Gonzalve و Gonzalez الخ ولازال لقباً لكثير

من العائلات الآن - ومثل ابن فورتش وهو لقب لبعض علماء  
الاندلس ولايتنيته Fortis بمعنى قوى شديد ولا يزال لقباً لكثير من  
العائلات الاسبانية الآن - ومثل ابن كنبراط Comparath  
وهو من أهل بلنسية العارفين بالطب وعنه أخذ القاضي أبو  
الوليد بن رشد Averroès فيلسوف الاندلس المشهور . وهذا  
اللقب اسباني محض - ومثل ابن ليون لقب لابي عثمان العالم  
الاديب الناشئ بمدينة ألمرية Almeria ولا يبه أبي جعفر من  
علماء الفلاحة المبرزين ومن شيوخ الوزير ابن الخطيب . وهذه  
الكلمة اسبانية محضة Leon تجي من اللاتينية Leo, nis  
بمعنى الاسد ولا زالت لقباً لكثير من العائلات الاسبانية الآن -  
ومثل ابن سلطور من مشاهير علماء الاندلس وهو لقب مستعمل  
اليوم وهو بالاسبانية Salvador وبالطليانية Salvatore  
وبالفرنساوية Sauveur ومعناه المخلص والمنقذ والمنجي وهو علم  
في العادة عند النصارى على سيدنا عيسى عليه صلاة الله  
وسلامه - ومثل ابن فيره لقب لعالم اندلسي وقد نص ابن  
خلكان على انه لقب اسباني معناه الحديد واعلم ان الحديد  
يسمى عند الفرنسيين Fer وعند الطليانيين Ferro وكان  
يسمى كذلك في القديم عند أهل اسبانيا مشتقين له من اللفظة

اللاتينية ولكنهم اليوم حرفوه فلا يقولون « فيره Ferro » اذا أرادوا ذكر الحديد بل يقولون من باب التحريف « Hierro هيره » وهم لا ينطقون مطلقا بحرف H مقابل الهاء ولكنهم يقولون عن السكك الحديدية Ferrocarriles و Caminos de hierro فترى ان كلمة « فيره » لازالت باقية عندهم في بعض التراكيب - ومثل ابن فوربون وابن مورجون لكثير من علماء الاندلس وهما لقبان اسبانيان محضان لا يزال مستعملان الى اليوم Fortun و Morejon وقد اطلعت على أسماء كثيرة للاندلسيين وليست من العربية في شيء على الاطلاق مثل تومرت وانجلينو واشقيلولة ومردنيس وهمشك وكشير غيرها ولكنني لم يتيسر لي ارجاعها الى أصولها الافرنكية وسأستوفي ذلك في فرصة أخرى ان شاء الله

ومن الامور التي يجب ذكرها تكملة لهذه التكملة ان أهل الاندلس المسلمين تفردوا بزيادة الواو والنون في آخر ألقابهم بخلاف المشاركة كما تفرد بعض الأبخام بزيادة « وبه » في سيمويه ونفظويه وعمرويه وخالويه ومردويه ومزرويه وحيويه وشاهويه ودرستويه وراهويه ورزقويه ومادويه وقانويه وشيرويه وككويه وسجويه ورجويه الخ وكاتفرد الارمن بزيادة « يان » و « ان » في آخر اسمائهم وكاتفرد الروس بزيادة « أوف » و « إيف » ولا حاجة



لايراد الامثلة هنا فانها مشهورة سوى اني أقول ان بعض أهالى  
 ايران والچركس وغيرهم من التابعين الآن للروسيا ملزمين  
 باضافة « أوف » أو « ايف » على اسمائهم وقد لاقيت في  
 المؤتمر عالما فارسيا من هذا القبيل اسمه « أحمد انايف »  
 ونظير هذين الحرفين « الواو والنون » في اللغات الافرنكية  
 وخصوصا الاسبانية أى on اذا وضعنا في اخر كلمة افرنجية  
 أفادها القوة والشدة والتفخيم وكأني بالاندلسيين أرادوا ذلك  
 ومثال هذه الاسماء مضافة الى لفظة ابن : بدرون . برون .  
 بكرون - جبرون . جلفون - جبرون . جنون .  
 حسون . حضرون . حفصون . حكون . جدون .  
 حنون . حيون - خلدون (١) خلفون . خيرون - دحون -

(١) أذكر هنا من باب التفكيكة ان أحد شعراء الاندلس وهو أبو علي الملقب  
 بمجا الامة ابن خلدون يهذي البيتين

ياشاعرا يتسامى \* وجده خلدون

لم يكف انك تخل \* حتى ياتك دون

وهذا شبيهه بالشاعر الذي ذم نفظويه والقائل أبو عبد الله محمد بن زيد بن  
 علي بن الحسن الواسطي المتكلم المشهور

من مره ان لا يرى فسقا \* فليجتهد ان لا يرى نفظويه

أحرقه الله ينصف اسمه \* وصير الباقي صراخا عليه

قال ابن خالويه ليس في العلماء من اسمه ابراهيم وكنيته أبو عبد الله سوى  
 نفظويه وهو بكسر النون وفتحها والكسر أفصح لقب بذلك لدمامته تشبها له بالفظ

رزقون - زرقون . زقنون . زكون . زيدون - شجبون .  
سعدون . سلبون . سلمون . سمجون . سمجون .  
سهلون - ضيقون - عبدون . عبيدون ( وفي هذا الاسم  
تصغير بالعربي وتكبير بالافرنجى ) . عجلون . عسلون . عفتون .  
عمرون . عيسون . عيشون - غدرون . غلبون - فحون .  
فلون . فرحون - قلمون . قنون - لطفون - وهبون -  
يسعون . يشعون . يحيون . واعلم ان زيادة الواو والنون تعدت  
أيضا الى بعض أسماء النساء نذكر لك اسم الشاعرة زنهون وهى  
من أشعر نساء الاندلس ومن أكثر المشتغلين بالانظم بديهة واجادة  
كانت تسكن بغرناطة ولها واقعة حال مع شاعر أعمى من المشاركة  
تدل على شدة بديتها حينما طارحته الشعر فى حضرة بعض الامراء  
ولولا ما فيها من بعض الاخلال بالادب لذكرتها من باب التفخر  
بها ولكن ذلك لا يمنع الطالب من البحث عليها فى كتاب نفع الطيب  
ونذكر اسم شاعرة أخرى مشهورة وهى سعدونة فقد أضيف الى  
اسمها علامة التأنيث

والاغرب من ذلك ان بعضهم أضاف على اسمه حرفى الواو والسين  
وهما علامة الانتهاء فى اللغة اللاتينية Us ومثال ذلك : أجدموس

أنسوس - عبدوس . عروس - طحاوس . طماوس - فالوس  
فرعوس . فرغوس - قبتروس . قبياسُ ومنهم من يسمي  
جديس وهذاان الحرفان الانتهايان هما من خصائص اللغة  
اللاتينية is كما لا يخفى على العارف . واعلم أن هذه الاسماء التي  
ذكرناها هي أعلام لعلماء ترى تراجمهم في كتب ابن البار وابن  
القرضي والضبي وابن بشكوال ونفح الطيب وابن خلكان ودائرة  
المعارف و آثار الادرها و مجموعة القطع العربية التي انتخبها العلامة  
الاسبانيان لرتشندي و سيمونيت Lerchundi y Simonet  
والمعجم العربي الاسباني الذي ألحقاه بكليهما المذكور

ولما آل أمر بقاياهم بالاندلس الى منتهاه من التلاشي والاضمحلال  
وتناسوا اللغة العربية وأساليها مرة واحدة أهملوا لفظة « ابن »  
واستبدلوها بعلامة الاضافة في اللغة القشتالية وهي « دو » فكانوا  
يقولون فلان دو فلان أي من أو ابن فلان وقد استبدلوا لفظة  
السيد بالكلمة المقابلة لها في اللغة القشتالية (الدون) كما يفعل الآن  
بعض العوام من وضع كلمة موسيو الفرنسية امام الاعلام العربية  
في الكتابات والمحادثات على ما هو مشاهد اليوم ومثال ذلك عندهم  
الدون عيسى دو جابر الفقيه الاكبر والمفتي بجامع شقوبية Ségovie  
في سنة ١٤٦٢ أفرنكية فإنه ألف كتابا جليلا في الفقه الاسلامي باللغة



الاسبانية وطبعته جمعية التاريخ الملوكية بمدريد في سنة ١٨٥٣  
(في الجزء الخامس من مطبوعاتها) وعندى نسخة منه تدل على  
غزارة فضله وواسع علمه وقد بلغنى من بعض العلماء أن بعض  
المراكشيين المتوطنين على الساحل يستعملون ذلك اليوم والاغرب  
من هذا وهذا مابلغنى في مدريد من بعض أهل السياحة والتحقيق  
ان الاعراب البدويين المتوطنين في صحارى مراکش (أى بعيدا  
عن الساحل بمسافات شاسعة تمتع خيال الظن بوجود أى تأثير  
للاختلاط مع أهل أسبانيا الآن) لا يزالون يستعملون هذه الطريقة  
في التسمية أى وضع كلمة « دو » في المكان الذى يضع فيه بقية  
العرب لفظة « ابن » وهذا دليل على اتصال نسبتهم بالاندلسيين  
الذين أخرجوا من ديارهم هذا وقد رأيت عند الدون پابلو خيل  
حججا شرعية ومكولة معاملات ووقفيات مكتوبة باللغة الابعمية  
(انجليا) وفيها « الدنيا عائشة » أى السيدة عائشة والدون  
فلان وهكذا

ثم أقول من باب الاستطراد غير متعرض في هذا المقام الى  
استكمال البحث فاننى أريد توفيقه في فرصة أخرى ان الاسبانيين  
وقع منهم مثل ما وقع من العرب فان الناظر الى اسمائهم  
لا يعسر عليه ان يتعرف فيها اعلاما عربية قديكون بعضهم مأخوذا

بالوراثة وبعضها عفواً أو لمناسبة أخرى ومثال ذلك Codera وهو  
قديرة (ولايزال الحاج قديرة والحاج قدور من اسماء أهل طرابلس  
وتونس والجزائر ومراكش) ومثل Zaïdyn = زيدبن و Abad  
أي عبادو Alvarez = الفارس و Alvarez del Campo أي  
فارس الميدان و Baguer = الباقر و Moreira = مريرة  
و Sofi = صوفي و Ferran = فران و Almenara أي  
المنارة و Alcayde = القائد و Alcalde = القاضي (ولايزال  
هذا اللقب عندهم مراداً للمحافظ والمدير وحاكم البلد كما كان  
يسمى عند العرب بالقاضي إذ له اختصاصات كثيرة في الشرع  
الشريف ويسمى عند الفرنسيين Alcade وان كان  
الاسبانيون اضافة لاما L من باب التحريف في قولهم Alcalde  
لاظهار تفخيم الضاد) و Rabadan = رمضان (الباء حلت  
محل الميم العربية) و Nasarre = نصار (والاسبانيون ينطقون  
بحرف S سيناعلى الدوام مهما كان موقعه بين الحروف الاخرى)  
و Calaf = خلف و Maymon = ميمون و Alvaro =  
البرّ و Meaza = معازة و Alfageme = الجمام الخ  
وهذه الاعلام كلها لاناس موجودين في اسبانيا الآن  
رأيت بعضها في كتب الدلالات وعرفت بعضهم بنفسى ومن  
ينظر الى اعلام الاسبانيين الآن يرى في آخرها هذين

الحرفين Ez وهما على ما تأكدته علامة على البنية فكل  
اسم في آخره ذلك يكون معناه ابن فلان مثل Fernando أى  
فرندو ثم Fernandez أى ابن فرندو وهكذا في جميع الاسماء ولم  
أر ما يشبه ذلك في بقية اللغات الا فرنجية التي أطلعت عليها وهذا  
ما يدعوني الى الظن بأنه أثر باق من آثار العرب الذين يتسببون  
على الدوام الى الاب مع لفظه ابن وهذه الزيادة في اخر الاعلام  
الاسبانية تشبه تمام المشابهة لفظة « زاده » و « أوغلى » التي تضاف  
على أواخر الاعلام التركية

---



(الخاتمة)

بعدان زرت غرناطة وكتبت رساتي الاندلسية التي لم يتيسر لي  
أن أو رد فيها جزأ من عشرين مما وقفت عليه من أحوال الاندلس  
وما رأيته فيها من آثار العرب وبقية أخلاقهم وغير ذلك مما قد  
يستغرق مجلدا ضخما قت القرطبة وشاهدت معاهدها وبقاياها  
وأهم ما رأيته فيها هو المسجد الجامع الذي لانظيره في العالم  
الاسلامي وقد بقيت معالمه الرئيسية على ما هي عليه وأقسم بالله  
انني أكثر من البكاء المرحينما درت في صحونه وبين عمده  
ووقفت في محرابه وتأملت ما فيه من غرائب الاتقان التي لاتخطر  
على بال مع الفخامة والضخامة وهو متجلبب بجلباب من الجلالة  
يوجب المهابة التعبدية في نفس الزائر ويجعله يشعر حقيقة بوجود  
خالق معبود قسم الخطوط وقدر الارزاق وأراد ما أراد ولا أتصور  
ان الخشوع الديني والخضوع التعبدى يحدث في نفس أي انسان  
في أي معبد من المعابد التي اقامتها جميع الامم على اختلاف  
نجلها ومقالاتها بكيفية أكثر وأظهر وبانفعال أتم وأكمل  
مما رأيته في هذا الجامع الذي يحتوي على انني عشر ألف عمود  
من مختلف الصوان وكلها منقوشة التاج والقاعدة بكيفية

تخالف بعضها وأما المحراب فهو مصنوع من أبحار دقيقة مختلفة  
الالوان متر كبة مع بعضها على نظام الفص والفسيفساء فتحدث  
منها أشكال متناهية في الجمال وآيات قرآنية وأحاديث نبوية  
وإذا نظرلها الانسان من ذات اليمين رأى ألوانا وأضواء وأشكالا  
وتراكيب تخالف كل ما يراه لو وقف جهة الشمال وكذلك الامر  
فيما لو وقف في الوسط أو تقدم أو تأخر وهكذا وخلاصة القول انني  
أتصور هذه القبلة مر كبة من أبحار كريمة مرصوفة بجانب  
بعضها با كل ذوق وأحسن أسلوب

ثم خرجت من قرطبة الى مدريد الى مرقسطة الى برشلونة  
Barcelona الى مارسيليا فبقيت بها أياما شاهدت كل ما يجوز  
للغريب وعابر السبيل ان يراه فيها وفي أول فبراير سنة ١٨٩٣  
امتنع الحبارون عن اصطناع الخبز لخلاف في التمثين وقع بينهم  
وبين البلدية فكان لذلك منظر من أغرب المناظر واستمر الحال  
ثلاثة أيام كاد الناس يقتلون بعضهم فيها ثم انحسرت النازلة على  
أحسن حال

ثم فت الى مدينة نيس (Nice) المعروفة عند العرب باسم  
نيقة فانهم قد احتلوها هي وشواطئ فرنسا الجنوبية زمنا مديدا  
وهي من أجمل المدن وأظننها وأنظفها وغاية ما أقوله عنها الآن

اننى شاهدت فيها الاحتفال بالكرنقال ( أى عيد المرافع ) وهو  
أعظم احتفال يحصل فى العالم كله من هذا القبيل اذ تجيى اليها  
قطارات مخصوصة لحضور هذا اليوم المشهود من لوندن وباريس  
وبرلين وويانة ورومة وغيرها من مدن أوروبا كلها بل ويحضرها  
فى هذه الفرصة كثير من أهل أمريكا ويحتفل به الاهالى والبلدية  
احتفالاً يشمل جميع أجزاء المدينة ويدفع التجار رسماً معيناً للمعاونة  
البلدية على تنظيم الاحتفال والانوار باعرب ما تتصوره العقول  
ومتى حلت أيام المرافع ارتفع سلطان العقل من آفاقها وذهب موليا  
الادبار طالبا النجاة بنفسه فى غير هذه الديار ثم يحتلها سلطان الجنون  
بجنوده فتسقط التكاليف وتمتنع الخيّمات ويبقى الناس كلهم كلهم  
فى درجة واحدة فرحين مستبشرين ضاحكين ساخرين وهم  
متشحون بغرائب المسابح ويتخذون لوجوههم ورؤسهم صوراً  
ما أنزل الله بهامن سلطان ويرقصون جميعهم فى الشوارع محتلطين  
نساء ورجالاً وعذارى وأطفالاً ويسترامون بقصاصات الورق  
Confetti والارز والفصولية وباقات الازهار وغير ذلك مما لا تحيط  
به الافكار وهم يسرون زرافات ووحيداناً ومشاءة وركباناً ويتخذون  
عربات غريبة الشكل تفحك الشكى وتزبل طوعاً أو كرهاً تقطيب  
الوجه العبوس ويصطنعون سفناً تجرها الافراس والخلاصة انهم



يركبون من الرقاعة والخلاعة كل متن ويذهبون فيهما كل مذهب  
ومع ذلك ترى النظام سائدا والادب العمومي ضاربا أطنابه في قواعده  
الكلية فقط وهم في هذه الايام لا يعرفون الزعل أو الكدر أو الغيظ  
أو الخلق أو المضايقة أو غير ذلك مما هو من مستوجبات الطبيعة  
البشرية ولهم في ذلك نظامات ورسوم معلومة لكل يوم من أيام  
الاحتفال ولاشك ان شرح ذلك بالبيان الذي يجيش في صدري  
يستوجب رسالة ضافية مطولة لا يسعها المقام الآن

ثم قمت الى مدينة موناكو ومنت كارلو ورأيت جمال مناظرهما  
الطبيعية وصفاء البحر تحت أقدامهما وبهاء الجبال فوقهما ونضرة  
الاشجار في جميع جهاتهما وغير ذلك من المنازه الطبيعية والصناعية  
التي تنبسط لها النفس وينشرح منها الخاطر ومدينة منت كارلو  
مشهورة بالمنتدى الذى هو من أكل وأجل متنديات العالم في لعب  
الميسر (القمار) وقد زرته للوقوف على حقائقه وأحطت علما  
بقوانينه واجرا آتة

ثم خرجت منهما قاصدا بلاد ايطاليا فررت على جنوة فيبشة  
فروسة وأقت بها ثلاثة أيام ورأيت فيها الاحتفال بالكرنقال  
وشاهدت حرب الزهور Combat des fleurs ولكن احتفالها

مع جسامته وفخامته لا يساوى جزءاً من عشرين مما رأيته في نيقية  
Nice ثم ركبت البحر عن طريق برندزى ووصلت الى الديار وحدث  
الله على ما حصل من توفيقه لى وعناية بى أكثر مما كانت تحوم  
حولها آمالى



والناظر الى هذه الرسائل يعلم اننى بارحت القاهرة فى يوم ١٤  
اغسطس سنة ١٨٩٢ ورجعت اليها فى يوم ١٤ فبراير سنة ١٨٩٣  
فتكون مدة رحلتى ستة شهور بالتمام قد لاقيت فيها حراً ورباً ووجَّارة  
كأشد ما يكون وقاسيت بردها وصبارته فوق ما يقدر عليه شرقى  
منلى تغرب فى أوروبا والاول مرة ويرى اننى زرت مرتين ثنتين  
خمس من عواصم أوروبا وهى رومة وباريس ولوندره ومدريد  
ولشبونة وتقايات بمسلى ليفربول وتشرفت بلقاء ملك البرتغال  
وملكة الاندلس واننى زرت أكثر من أربعين مدينة زيارة تدقيق  
وتحقيق وتعلمت لغة أهل الاندلس الحالية حتى توصلت الى الكتابة  
والخطابة بها على قدر الامكان وزرت مناجم الفحم وبلاد الاندلس  
بالتفصيل وكتبت شيئاً يسيراً مما عرفته عنهما ففتحت هذا الباب  
وشاهدت ثلاث مدائن مخصصة لطالبة العلم فقط وهى أكسفورد فى  
النجارة وقلربنة فى البرتغال وشلمنة فى إسبانيا وحضرت عيد الميلاد

في مدريد وعيد رأ من السنة في لشبونة وأكث القول المدمس وحضرت  
جلسات مجلتي النواب والشموخ في فرنسا وشاهدت الاحتفال  
الرسمي بافتتاح مجلس نواب بلاد البرتغال وحضور الملك والملكة  
والقاء الخطبة الملوكية وشاهدت قتال الأتوار في اسبانيا واعتصاب  
الخبازين وامتناعهم عن عمل الخبز مدة ثلاثة أيام في مارسيليا  
والاحتفال بالكرنقال (المرافع) في نيقمة Nice ورومية وغير  
ذلك من الامور الكثرية المتعددة التي لم يتيسر حصولها مرة واحدة وفي  
رحله واحدة لمصرى قبلي وان ما ذكرته وخصوصا عن الاندلس في هذه  
الرسائل هو قليل جدا في جانب ما أتوسل الى القادر الكافي بوال نعمائه  
ان يوفقني ويعينني على تحريره وتدوينه في الرحلة الكبرى لتكون  
هي وهذه الرسائل وسيلة لحث بني الاوطان على السياحة والافادة  
والاستفادة وعسى ان كل واحد يذهب في أوروبا من طريق غير  
الذي رسمته يكتب لنا عما يراه وعماتنبئه به احساساته ليتكون في  
لغتنا العربية مجموعة سياحات توقف القارئ على أحوال هاتيك  
البلاد التي أصبحت منبع التقدم ومقر العرفان

\* \* \*

والمسؤل في وجه الله الكريم المنان ان يوفق أبناء الوطن الى  
توفيقته حقه من الخدمة في ظل نخر الانام وعماد الزمان ولي العصر



ومليك مصر مولانا الاكرم وخديونا المبجل عباس باشا حلمي الثاني  
أدامه الله كهفا للعالى فهو الذى تفضل على بمنظره العالى وانعامه  
المتوالى حتى كتبت هذه الرسائل وبثنتها فى قومي قياما بما وجب  
له من فرائض الشكر على عبده

المخلص

احمد زكى

(استدراكات)

(١) أنبه القارئ الى اننى أشرت فى صحيفة ٦ عند الكلام على جزيرة أقریطش مايشعر باحتمال اشتقاق لفظه القند بمعنى السكر عند العرب من اسم هذه الجزيرة الآن الذى هو كنديا لاشتهارها باصطناع العسل الجيد - ولكننى تحريت ذلك فرأيت انه غير حق ويجب على تلقاء الذممة ان أبادر بالرجوع عنه بنفسى وأذكر الصواب وهوان المسلمون لما فتحوا هذه الجزيرة فى سنة ٢١٠م اختطوا بهامدينه سموها **الخندق** ثم حرف الروم والافرنج هذا الاسم الى كنديا وتعارفه العرب بهذا الاسم وتناسوا الاسم العربى القديم كما حصل مثلافى «دارالصنعة ودارالصناعة» فانه اسم عربى معتبر يدل على المكان الذى تصنع فيه السفن ذكره بهذا المعنى المقرى وابن بطوطة وابن الاثير والادريسى وابن خلدون وابن جبير والمسهودى وغيرهم وهو عند العرب يدل أيضا على المكان الذى يصنع فيه شئ من الاشياء ولكنه بالسفن أخص حرفه الاسبانيون الى Darsena و Atarzana و Arsenal ونقلها الطليانيون هكذا Arsenal و Darsena والانكليز الى Arsenal والفرنساوية الى Arsenal و Darse ومن المعلوم أهل مصر فى هذا الزمان أى من أيام محمد على استعملوا فيما يتعلق

بمن البحر كلمات كثيرة نقلوها عن اللغات الافرنكية وأخصها  
الطليانية فلم يلتفتوا الى ان كلمة Darsena أصلها عربي بل اضافوا  
لفظة (خانة) التركية وقالوا ترساخانة لاعتيادهم على اضافة «خانة»  
على اسماء جميع الاماكن العمومية الاميرية بالنسبة لتأثير اللغة  
التركية في ذلك الزمان ثم انهم أحسوا ببعض المخالفة بين لفظتي  
(ترساخانة) و(دارسنا Darsena الطليانية) فحذفوا خانة  
واقصروا على قولهم «ترسانة» ومثل هذه الكلمة كثير نقله الافرنج  
الى لغتهم ثم استرجعها العرب من غير أن يعيدوا لها شكلها بل  
أبقوها بكيفية لا يكاد يتعرفها الباحث

\* \* \*

(٢) ذكرت في صحيفة ٤٦، ان كلمة Chapeau ومعناها عند  
الفرنساويين البرنيطة ربما كانت محرفة عن كلمة عريسة وربما  
كانت هذه الكلمة هي «قبعة» وهو وهم محض فان الكلمة  
الافرنجية مشتقة من كلمة لايتنيه Caput بمعنى الرأس - والذي  
أوقعني في هاتين الغلطتين اني أوردته - ما في كتابتي اثناء الاسفار ولم  
يكن معي منها شيء استعين به على المراجعة فوجب الرجوع عن ذلك  
والحمد لله

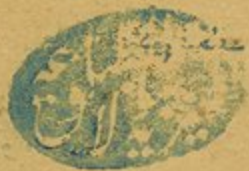


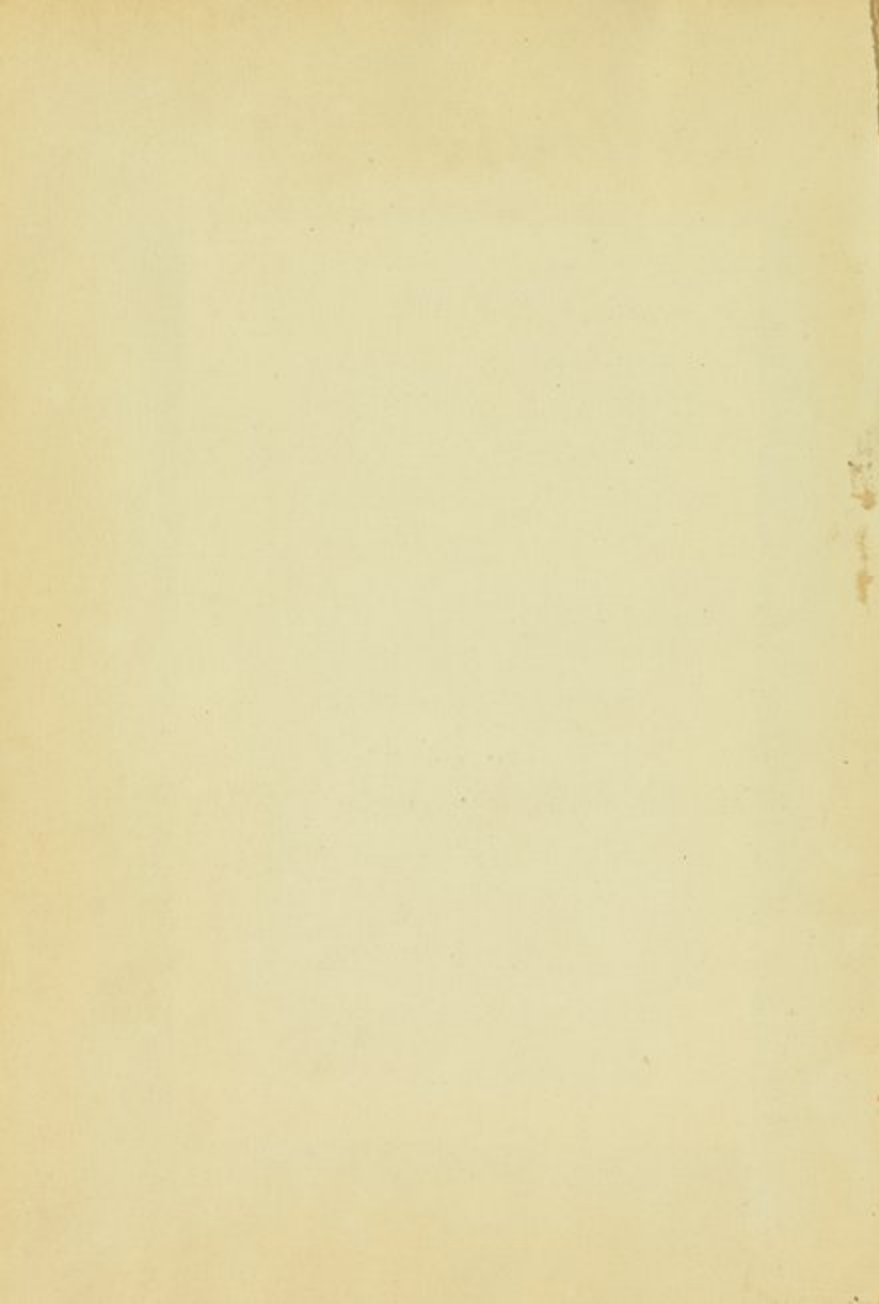
\* \* \*

(٣) قد سقطت عبارة من المطبعة أثناء طبع صحيفة ١٨٦٢ في منتهى الكلام على قبر (هيلوييس وأبييلار) ولزيادة الايضاح وجب علينا استدراك ذلك فالرجا من القارى ان يضيف العبارة الآتية على منتصف السطر الثالث من صحيفة ٦٨٢ المذكورة وهذه هي «وهذا الرجل من مشاهير الفلاسفة واسمه ورد بهذه الاختلافات Abailardus, Abaulardus, Abaielardus, Belardus, Abélard, Abeillard, Abailard, Abaalard, Baillart وهو من كبار الفلاسفة اللاهوتيين التعليميين وله مذهب مشهور في الفلسفة وابتكارات ومصنفات مفيدة في الموسيقى وكان يعيش في منزل شماس له حفيده من أشراف فرنسا بارعة في الجمال واسمها هيلوييس فكأنه ان يتم تعليمها ويؤدبهم فكلف بها ابييلار حتى لقد كتب في هذا المعنى يقول «ما كان لنا سوى بيت واحد فخللنا ان صار لنا فؤاد واحد» وبعد زمن قليل أحست الفتاة بالحبل فكشفت استاذها (أوخليلها) بذلك فهرب بها ذات ليلة واخفاها في شمال فرنسا عند اخته فوضعت ولد اسمته بطرس اسطرلاب وحينئذ أراد الرجل أن يتزوج عشيقته ولكنها رفضت قائلة بان ذلك وخيم العواقب على محبوب قلبها وقد كتبت له (ان أصحاب المسدرك ونوابخ الرجال لا يصح لهم ان يربكوا أنفسهم بالعائلة

ومشاغلها) وأيدت رأيها بنصوص من أقوال اللاهوتيين من  
 اللاتينيين واليونان ويقال انها أجابت بعد كثرة الجاحه في آخر الامر  
 ولما اطلع الشماس على هذا السر شرع في الاقتصاص من الفيلسوف  
 فارشى خادمه ودخل عليه بالليل ومعه نقر من ذوى قرابته وصحابته  
 ثم أوثقوا كتاف ابي لار ووجبوا خصاه فالح الفيلسوف اللاهوتي  
 المخصى على خليلته أو زوجته بان تهرب فاجابت ثم لحق بها في  
 الدير واسس دير الراهبات وما زال يمارس التعليم والتدريس بما ينطبق  
 تارة على أفكار اللاهوتيين ويخالفهم أخرى وهو يوالى وداده لصاحبه  
 التي بقيت أصدق الناس على ولاءه

٢









893.785  
Z13

COLUMBIA UNIVERSITY LIBRARIES



0040282953

BOU D

JAN 18 1956

